الآلاف يتظاهرون في لندن لأجل استفتاء جديد

ص2

معين عبدالملك

فيلسوف معماري على رأس الحكومة اليمنية

ص8

الصورة تصنع الهوية

ص12

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2018/10/21

12 صفر 1440

السنة 41 العدد 11145

Saturday 21/10/2018

41st Year, Issue 11145

الرواية السعودية تخرج قضية خاشقجي من دائرة التسريبات

● توفير التفاصيل يعزز من قدرة الرياض على إدارة حملة علاقات عامة مضادة

السعودية تبدد الغموض في قضية خاشقجي

❑ **الرياض** – بددت الرواية الرسمية السعودية بشأن مقتل الصحافي جمال خاشقجي الغموض الذي أحاط بالقضية وأعادت للرياض المبادرة في قضية هي أولى بأن تقدم تفاصيلها بدل ترك الباب للتسريبات التركية المتتالية.

وقال النائب العام السعودي في بيان، السبت، إن شجارا وقع بين خاشقجي وأشخاص قابلوه في القنصلية مما أدى إلى وفاته. وأضاف البيان أنه ألقي القبض على 18 سعوديا.

وكشف مسؤول سعودي لرويترز أن اشتباكا دار بين مجموعة من السعوديين وخاشقجي الذي توفي على إثره، مضيفا أنهم كانوا يحاولون إسكاته.

واعتبر متابعون خليجيون أن تقديم السعودية روايتها التفصيلية للحادث أعاد الأمور إلى نصابها، فالخبر بالأساس هو خبر سعودي والتحقيق كذلك، قبل التحقيق التركي وقبل الدعاية القطرية الإخوانية، وأن الجانب السعودي هو الجهة التي يجب أن ترشح عنها المعلومات وأن الغرب الذي خاض يمينا ويسارا في الموضوع، ينتظر أن تعطيه السعودية المعلومات بشفافية.

وأضاف هؤلاء المتابعون أن انتزاع السعودية المبادرة الإعلامية في هذه القضية من خلال الحقائق وعبر تكليف فريق متخصص في توزيع نتائج التحقيق وتفاصيلها، سيحرم أعداءها المتربصين من فرصة الاشتغال في منطقة الغموض كما حدث في الجزء الأول من قضية خاشقجي إذا استمر سيل لا ينقطع من التسريبات والأخبار المغالية والبعيدة عن الحقيقة.

وتشير ردود الفعل الغربية إلى أن الدول الكبرى، وخصوصا الولايات المتحدة، تميل إلى الرواية السعودية في قضية خاشقجي وأن حرص الرياض على توفير التفاصيل سيعزز من قدرتها على إدارة حملة علاقات عامة مضادة تخفف من تأثيرات الحملة الشرسة التي تعرضت لها فيما اكتفت بالصمت ومراقبة الوضع.

وقال الرئيس الأميركي دونالد ترامب، الذي جعل من توثيق العلاقات مع السعودية نقطة رئيسية في سياسته الخارجية، للصحافيين في أريزونا السبت إن التفسير الذي قدمته الرياض "معقول".

وأضاف "أعتقد أنها خطوة أولى جيدة. إنها خطوة كبيرة".

وشدد ترامب على أهمية الرياض في مواجهة النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط.

وقالت الحكومة البريطانية، السبت، إنها تدرس "الخطوات التالية" غداة الاستماع إلى رواية الرياض للظروف التي حفت بمقتل خاشقجي.

وكشفت الإقالات التي صدرت بأوامر ملكية أن جهاز الاستخبارات السعودي يتحمل المسؤولية عن الحادثة في حين أن إقالة المستشار في الديوان سعود القحطاني ترتبط بترتيبه اللقاء مع خاشقجي بهدف إقناعه بالعودة إلى السعودية.

وكان العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز قد أصدر قرارا بإقالة نائب رئيس جهاز الاستخبارات أحمد عسيري وعدد من كبار مساعدي رئيس الجهاز، كما أمر بإعادة هيكلة الجهاز تحت إشراف ولي العهد الأمير محمد بن سلمان.

ويعد الخطأ الذي ارتكبه الجهاز مثالا كلاسيكيا على خروج أفراد الأجهزة الأمنية السرية عن قواعد العمل الحكومي والأمني التقليدية بحكم حجم السرية الذي يحيط بنشاطهم.

ويعتقد مراقبون أن إزاحة الغموض عن قضية خاشقجي ستعزز إصرار السعودية على عقد مؤتمر "دافوس الصحراء" في موعده خاصة أنها لم يعد لديها الآن ما تخفيه في هذه القضية.

وأشاروا إلى أن عددا من الذين قرروا الغياب عن المؤتمر ربطوا مشاركتهم بتوضيح بشأن ما جرى ومن جهات سعودية رسميا، وهو ما تم فعلا.

واعتبر المراقبون أن الرواية الرسمية السعودية حول مقتل خاشقجي سحبت البساط من تحت أرجل مطلقي التسريبات، خاصة من الدوائر التركية التي عملت على إدامة الغموض وتعطيل التحقيق لقضاء المزيد من الوقت في تشويه السعودية سواء عبر وسائل إعلام محلية أو وسائل إعلام غربية.

وبدا وكأن تركيا تفاجأت بالرواية السعودية التي تركتها في التسلل، خاصة أنها كانت تريد أن تقدم هي التحقيقات وأن تستثمرها في الضغط على الرياض.

وليس مستبعدا أن تجد نفسها مضطرة للمسارعة إلى تقديم رواية في أقرب وقت، لتبقى في صورة من يسعى للاستفادة من الأزمة.

ووعدت أنقرة، السبت، بالكشف عن كامل تفاصيل مقتل خاشقجي، وفق ما نقلت وكالة أنباء الأناضول الرسمية عن المتحدث باسم الحزب الحاكم عمر جليك.

وقال جليك المتحدث باسم حزب العدالة والتنمية الإسلامي "إن تركيا ستكشف كل ما حدث. لا يشكّ أحد في ذلك".

وأضاف "نحن لا نتهم أحدا بشكل مسبق لكننا لن نقبل أن يبقى أي شيء مخفيا".

وأشادت دول عربية بينها الإمارات ومصر والبحرين بقرارات السعودية.

وقالت وكالة الأنباء الإماراتية على تويتر إن الإمارات تدعم بيان المملكة و"تشيد بتوجيهات وقرارات خادم الحرمين الشريفين بشأن قضية خاشقجي".

وذكرت وزارة الخارجية المصرية في بيان أن "القرارات والإجراءات الحاسمة والشجاعة التي اتخذها خادم الحرمين الشريفين في هذا الشأن إنما تتسق مع التوجه المعهود لجلالته نحو احترام مبادئ القانون وتطبيق العدالة النافذة".

وجاء في بيان لوزارة الخارجية البحرينية "تشيد مملكة البحرين بالاهتمام الكبير لخادم الحرمين الشريفين... لأجل إرساء العدل والإنصاف وكشف الحقائق بكل نزاهة وموضوعية".

حسابات سعودية لإيران وحزب الله تعرقل الحكومة اللبنانية

❑ **بيروت** – أغلق حزب الله، ومن خلفه إيران، مجددا الأبواب أمام تشكيل حكومة لبنانية جديدة برئاسة سعد الحريري بعدما كان قدّم قبل أيّام قليلة تسهيلات جعلت اللبنانيين يستبشرون بقرب ولادة هذه الحكومة.

واعتبرت مصادر سياسية أن التغيير في موقف الحزب من تشكيل الحكومة مرتبط بشعور لدى إيران بأن الحريري صار مضطرا إلى تقديم التنازلات بعدما وجدت السعودية نفسها غارقة في قضية جمال خاشقجي.

ولاحظت هذه المصادر أن الأمين العام لحزب الله حسن نصرالله ركز في خطاب ألقاه الجمعة على ضرورة تمثيل معارضي الحريري من السنّة في الحكومة مشيرا إلى أنهم يمثلون نسبة تقترب من ثلث أبناء الطائفة. وفسر مراقبون ذلك بأن المعارضة السنّية يجب أن تطالب بوزيرين في الحكومة الجديدة.

وأوضحت أن الحسابات الإيرانية المرتبطة بتشكيل الحكومة اللبنانية تغيّرت فجأة في ضوء شعور إيران بضعف الموقف السعودي واضطرار الرياض إلى الاعتراف بأن خاشقجي قتل داخل قنصليتها في إسطنبول. إضافة إلى ذلك، لم تعد إيران مستعجلة على إشراك حزب الله في الحكومة اللبنانية قبل موعد تطبيق العقوبات الأميركية الجديدة عليها.

وقالت المصادر ذاتها إن الرهان الإيراني صار الآن على احتمال خسارة الجمهوريين مجلسي الكونغرس أمام الديمقراطيين في الانتخابات المقررة في السادس من نوفمبر.

واعتبرت أن خسارة الجمهوريين لمجلسي الكونغرس، ستشكل في حال حصولها، ضربة قويّة لإدارة ترامب وستشلّ سياساتها المتشدّدة تجاه إيران.

ومعروف أن الولايات المتحدة صارت، مع مباشرة تطبيق العقوبات الجديدة على إيران ابتداء من الأسبوع الأول من الشهر المقبل، تعتبر حزب الله بمثابة "منظمة إجرامية".

وذكر سياسي لبناني أن معنى ذلك هو أن الحكومة اللبنانية ستتأثر بالموقف الأميركي السلبي من مشاركة حزب الله فيها.

وكانت عقدة وزارة العدل التي أصرّ رئيس الجمهورية ميشال عون على أن تكون من حصّته العقبة الأخيرة التي أخرت الجمعة الإعلان عن الحكومة.

وتعتبر الأوساط اللبنانية هذه العقدة ذات طابع مسيحي-مسيحي نظرا إلى أن المنافسة عليها بين رئيس الجمهورية و"القوات اللبنانية" بزعامة سمير جعجع. لكنّ حزب الله جاء ليثير عقدة جدّية مرتبطة بسعد الحريري وكأن المطلوب تصفية حسابات معيّنة معه في ظل ما تشهده السعودية في هذه المرحلة.

العثماني يفشل في تطويق الخلافات داخل حزب العدالة والتنمية المغربي

● أمين عام الحزب يعمل على خلق نوع من التسويات مع تيار بن كيران ● نتائج متعثرة لجلسات الحوار الداخلي في غياب أدبيات جديدة

محمد بن امحمد العلوي

❑ **الرباط** – تكررت الاجتماعات التي تجريها قيادات حزب العدالة والتنمية المغربي في إطار الحوار الداخلي، لكنها فشلت إلى حدّ الآن في تطويق الأزمات المتناسلة داخل الحزب منذ عامين، وخاصة الدور الذي تلعبه مجموعة الأمين العام السابق عبدالإله بن كيران.

واعتبر الأمين العام للحزب سعدالدين العثماني أن "بعض أعضاء الحزب يعبرون عن مواقف مخالفة للحزب"، مشددا على أن "مواقف الحزب الرسمية تعبر عنها الهيئات المسؤولة والرسمية المخولة، أو الأمين العام باعتباره ناطقا رسميا".

وسعى العثماني عند افتتاحه، السبت، أشغال الندوة الوطنية الثالثة للحوار الداخلي للحزب إلى تحميل الأزمة لأطراف خارجية، دون أن يعترف بأن الخلافات قديمة وعميقة وأنها لا يمكن أن تنتهي بالتكتم أو تغليب منطق الأخوة والتماسك التنظيمي.

وقال إن "الحزب بقي موحدا وفاعلا على عكس ما يتمناه الخصوم وما يبشر به المنجمون" مضيفا أن العدالة والتنمية "استعاد عافيته وقواعده تشتغل، وهيئاته بعافيتها التنظيمية".

وتعود خلفية تدشين الحوار الداخلي إلى الصراع بين قيادات العدالة والتنمية إلى المرحلة التي تزامن فيها إعفاء عبدالإله بن كيران من تشكيل الحكومة مع انتخاب سعدالدين العثماني أمينا عاما جديدا للحزب دون التمديد لبن كيران لولاية ثالثة، وقد راهن العثماني بمعية ما يسمى تيار الوزراء على الحوار لتجاوز الخلافات المطروحة بين أعضاء الحزب الذي يقود الحكومة المغربية.

وقال مراقبون إن العثماني يبحث عن تلميع صورة العدالة والتنمية أمام الرأي العام خاصة في ضوء فشل الحكومة التي يقودها في مواجهة الكثير من الأزمات. كما سعى العثماني إلى إرسال رسائل طمأنة للقواعد وكذلك العمل على خلق نوع من التسويات مع تيار بن كيران، ليكف الأخير عن تقويض سلطة العثماني كأمين عام داخل الحزب.

ولفت العثماني في كلمته، السبت، إلى أن الحوار يسهم بشكل مقدَّر في الاستعادة التدريجية للعافية التنظيمية للحزب كما أنه علامة على هذه العافية.

ورغم أن الحوار الذي تم تدشينه في أبريل الماضي في أول اجتماع للجنة الحوار داخل الحزب بهدف تجاوز تبعات تصدع الصف الداخلي، فما زالت التشنجات قوية بين قيادات الصف الأول والتي تؤثر سلبا على تماسك العدالة والتنمية.

وبشأن نجاح العدالة والتنمية في كسب رهان الحوار الداخلي، أكد محمد الغزالي أستاذ بكلية علوم التربية بالرباط، أنه من المبكر الحديث عن نجاح الحزب في الحوار لأننا يجب أن ننتظر المخرجات، لأنه من المفروض أن يعطينا الحوار الداخلي أدبيات وأفكارا جديدة أو على الأقل قراءة موحدة للشأن السياسي المحلي، لذلك لا يزال من المبكر الحديث عن نجاح الحوار الداخلي.

وعادت إلى واجهة النقاش الطريقة التي تم بها انتخاب رئيس مجلس المستشارين (الغرفة الثانية بالبرلمان المغربي)، حيث قال العثماني، إن "ما رافق انتخابات مجلس المستشارين من نقاش لن يضر العمل الحكومي الذي لا يعرف أي مشكلة على مستوى تماسك الأغلبية"، معتبرا أن الخلافات داخل حكومته مثلها "مثل ما يوجد في جميع حكومات العالم".

واستغرب العثماني ممّا اعتبره ردّ فعل بعض مكونات الأغلبية؛ مشددا على أن اللقاء الذي اجتمع فيه الحلفاء لم يخرج بقرار نهائي رغم أن البعض منهم طالب بالاكتفاء بمرشح المعارضة.

وأوضح العثماني أنه رفض مصادرة حق الأمانة العامة لحزبه في اتخاذ ما تراه مناسبا، كاشفا عن "أنني أخبرتهم (أحزاب الائتلاف الحكومي) بأننا لا نطلب منهم التصويت لمرشح حزبنا لأن هذا قرار يخصنا".

وقال مراقبون إن موافقة العثماني على ترشيح نبيل شيخي، رئيس فريق حزب العدالة والتنمية بمجلس المستشارين، لرئاسة المجلس، جاءت تلبية لضغوط من داخل حزبه وحتى لا يصطدم معهم داخل الحوار وخصوصا من طرف التيار المعارض ومنهم القيادي حامي الدين.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الصراع على الرئاسة يفاقم أزمة البرلمان الجزائري

الموالاة تطيح بسعيد بوحجة للاستحواذ على السلطة ببقاء بوتفليقة أو برحيله

بعد أسابيع من صراع بين نواب الموالاة، وسعيد بوحجة رئيس البرلمان الجزائري، قرر مكتب المجلس النيابي إعلان منصب الرئيس شاغرا، وقد أيدت اللجنة القانونية بالهيئة القرار رغم تعارضه مع الدستور، ويرى متابعون أن عزل بوحجة يأتي في إطار الصراع على السلطة ومحاولة الموالاة الاستحواذ عليها مع اقتراب السباق الرئاسي.

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – يخيم الصمت على معسكر رئيس البرلمان المخلوع سعيد بوحجة، حيث لم يصدر بوحجة أي رد فعل على قرار تنحيته، رغم الخطوات التصعيدية التي قطعها خصومه بالتوجه إلى انتخاب خليفة له على رأس الهيئة التشريعية، وبتأكيد الرأس المدبر للانقلاب أمين عام حزب جبهة التحرير الوطني جمال ولد عباس، على عودة نشاط البرلمان بصفة طبيعية بداية من الأحد.

وقطع خصوم رئيس البرلمان المخلوع خطوات كبيرة في مشروع عزل سعيد بوحجة، بعد تأييد اللجنة القانونية مقترح قرار المكتب القاضي بشغور منصب الرئيس.

ويستعد نواب الموالاة لانتخاب رئيس جديد للهيئة وإعادة ترتيب أوراق البيت، مقابل التزام سعيد بوحجة الصمت ورفضه إلى الآن التعليق على التطورات الأخيرة، مما يوحي بأن الرجل لا يزال في انتظار إشارة فوقية تدعوه إلى الرحيل أو شن هجوم معاكس.

> إصرار معسكر الموالاة على خرق القانون من أجل فرض أجندته السياسية والتنظيمية في إحدى أهم مؤسسات الدولة، يعود إلى إدراكه بأن أي خطأ أو فشل في إدارة معركة البرلمان، ستنتهي برأسي حزبي السلطة جمال ولد عباس وأحمد أويحيى

ويرى متابعون للشأن السياسي الجزائري بأن "المعركة التي يديرها البرلمان بالوكالة عن أجنحة السلطة تحسبا للانتخابات الرئاسية المنتظرة في أبريل القادم، قد تكون من آخر المواجهات المحتدمة بين أنصار العهدة الخامسة لبوتفليقة وبين الرافضين لها، بما أن الإفرازات المنتظرة ستثبت أركان معسكر الموالاة وتزيح من أمامهم كل المعوقات وجيوب المقاومة".

وتحدثت مصادر مطلعة عن أن المعركة ستنتهي إلى إعادة توزيع مهام الهيئة التشريعية بين أكبر الحزبين في البلاد، حيث يجري الحديث عن صفقة سياسية بين جبهة التحرير الوطني والتجمع الوطني الديمقراطي، تعود بموجبها رئاسة الغرفة الأولى (المجلس الشعبي الوطني) لصديق شهاب، الرجل الثاني في حزب رئيس الوزراء أحمد أويحيى، ورئاسة الغرفة الثانية (مجلس الأمة) لجمال ولد عباس الرجل الأول في حزب جبهة التحرير الوطني.

ووفق هذا السيناريو يكون معسكر الموالاة قد ثبّت أركانه ومهّد بالشكل اللازم الطريق لمشروع استمرار بوتفليقة في السلطة، بولاية رئاسية خامسة أو بخلق وضع استثنائي يسمح له بذلك، وهو ما ألمح له أحمد أويحيى، في ندوته الصحافية الأخيرة، حين نفى نفيا قاطعا الذهاب إلى حل البرلمان أو تأجيل موعد الانتخابات الرئاسية، وهو الكلام الذي أكده أمس، حليفه جمال ولد عباس، في تصريح له أمام جمع من كوادر حزبه في العاصمة.

وتذهب مصادر مطلعة إلى أن الخطوات التي حققتها الموالاة في غضون الأيام الأخيرة، رغم تنافيها مع مضمون التشريعات والقوانين المنظمة للمؤسسة التشريعية، تهدف إلى إعادة التموقع للمرحلة المقبلة، سواء مع بقاء بوتفليقة في السلطة أو سارت لغيره.

وستسمح لها هذه الإجراءات أن تقطع الطريق على الأجنحة المعارضة لها داخل النظام، ولن يزعجها بذلك الذهاب لانتخابات أو وراثة السلطة بواسطة التسلسل الدستوري للسلطات، بما أن منصب الرجلين الأول والثاني في الدولة سيكون بحوزتها.

وتضيف المصادر "كل ما أثير من مبررات حول أسباب سحب الثقة من سعيد بوحجة، هي ذر للرماد في العيون، إذ أن محيط الرئاسة لم يكن مطمئنا لتحركات رئيس البرلمان في الأشهر الأخيرة، بعدما تناهى إلى علمه أن الرجل التقى ابن النظام ورئيس الحكومة السابق مولود حمروش في باريس. ولم تستبعد فرضية بلورة سيناريو استقدام الرجل لقيادة البلاد لعهدة رئاسية واحدة، تمهد لانتقال سياسي سلس، وهو ما نفاه سعيد بوحجة، وأكد في أكثر من تصريح بأنه "يبقى وفيا للرئيس بوتفليقة".

ولفتت المصادر إلى أن إصرار معسكر الموالاة على خرق القانون من أجل فرض أجندته السياسية والتنظيمية في إحدى أهم مؤسسات الدولة، يعود إلى إدراكه بأن أي خطأ أو فشل في إدارة معركة البرلمان، ستنتهي برأسي حزبي السلطة جمال ولد عباس وأحمد أويحيى.

وأشارت إلى أن مسألة الإطاحة ببوحجة لا تحظى بالإجماع داخل الحزبين، وكل الأصابع موجهة إليهما، وبالتالي فإن أي تسوية خارج خطتهما لا بد أن تتم من دونهما.

ومع استمرار صمت سعيد بوحجة، المثير لاستفهامات المتابعين والطبقة السياسية، خلال الأيام الأخيرة، تبقى الأنظار مشدودة لإفرازات الحراك الدائر في هرم السلطة، ونتائج التغييرات العميقة التي مست الكثير من المؤسسات الرسمية، وموقف العسكر من الاستحقاق الرئاسي القادم، ومن مشروع استمرار بوتفليقة في السلطة.

ويطرح ذلك بشكل لافت بعد أن طفا إلى السطح، توتر العلاقة بين محيط الرئاسة ومؤسسة الجيش والاستعلامات في الآونة الأخيرة، وقد جرى بث ملاسنة حادة في مكالمة هاتفية بين مدير الذراع الإعلامية للرئاسة وبين ضابط سام في دائرة التحريات بجهاز الاستعلامات، مما يكشف انزعاج محيط الرئاسة من المؤسسة العسكرية، في خطوة تشير إلى أن الخلافات بلغت مرحلة متقدمة.

وتنزعج الموالاة من طروحات بعض الأطراف الفاعلة في السلطة، حول استقدام شخصية وسطية تحوز على تنشئتها السلطوية وعلى ثقة المعارضة، في صورة واحد من رؤساء الحكومات السابقين، كمولود حمروش أو أحمد بن بيتور وحتى علي بن فليس، لقيادة مرحلة رئاسية انتقالية تضمن الانتقال الديمقراطي السلس في البلاد. وهو الخيار الذي يبعث صدى إيجابيا لدى بعض الدوائر في الجيش والبرلمان، مما دفع الموالاة إلى التحرك بكل الوسائل حتى ولو كانت غير قانونية، لقطع الطريق أمام هؤلاء، والإطاحة بأحد رؤوس المشروع وهو سعيد بوجحة، الذي تعمدت تسريب معارضته للعهدة الخامسة، لتزكية وشرعنة مشروع إسقاطه من رئاسة البرلمان.

وعارضت أغلب قوى المعارضة في البرلمان وفي مقدمتها حركة مجتمع السلم (أكبر حزب إسلامي)، والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية (علماني)، والتحالف من أجل العدالة والنهضة والبناء (إسلامي)، قرار عزل بوجحة رغم وقوفها على الحياد في الأزمة. ووصفت بيانات صادرة عن هذه الأحزاب القرار بـ"الانقلاب" كون منصب الرئيس لم يشهد شغورا، وسعيد بوجحة يرفض فقط التنحي لأنه منتخب لولاية من خمس سنوات بين (2017 و2022).

الصراع يحتدم داخل أروقة البرلمان

الآلاف يتظاهرون في لندن للمطالبة باستفتاء جديد حول بريكست

❑ **لندن** – شارك عشرات الآلاف من البريطانيين المعارضين لبريكست في تظاهرة في وسط لندن السبت، بحسب تقديرات الجهات المنظمة، في محاولة جديدة للحؤول دون خروج بلادهم من الاتحاد الأوروبي.

واتسمت مسيرة المتظاهرين نحو مقر البرلمان بالاحتفالية والضجيج، وقد جمعت حشدا كبيرا في مسعى لا تبدو حظوظه كبيرة لإقناع رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي بتنظيم استفتاء ثان. واصطحب عدد من المشاركين في المسيرة كلابهم، تلبية لمطالب الجهة المنظمة لـ"مسيرة تصويت الشعب" والتي انطلقت من منطقة هايد بارك إلى قصر وستمنستر في أجواء صافية.

وسعى المشاركون في التظاهرة إلى توجيه رسالة مفادها أن بريكست الذي وعد به مؤيدوه قبل استفتاء يونيو 2016، بعيد كل البعد عما يتم التفاوض حوله حاليا.

ويقول المتظاهرون إنهم كانوا ليصوتوا ضد بريكست لو علموا حينها الأثمان المترتبة عن ذلك. ولف المتظاهر بيتر هانكوك، وهو صاحب شركة صغيرة، كلبه بالعلم الأوروبي وقال لوكالة فرانس برس "أعتقد أنه تم تضليل الشعب بطرق مختلفة". وقالت زوجته جولي من على كرسيها النقال "نريد أن نبقى أوروبيين. لا نرى أي فائدة في الخروج من الاتحاد الأوروبي".

وبلغ عدد التواقيع على عريضة تطالب بتنظيم استفتاء ملزم حول أي اتفاق يتم إبرامه قبل موعد خروج بريطانيا من التكتل في مارس المقبل 950 ألف توقيع قبيل انطلاق المسيرة.

وكانت رئيسة الوزراء أعلنت بوضوح أنها لا تنوي السماح بإعادة النظر في بريكست. وقالت ماي الأربعاء الماضي في البرلمان "يطالبون الآن باستفتاء ثان والعودة للشعب البريطاني ليقولوا له نحن آسفون للغاية نعتقد أنك أسأت الخيار".

وأضافت ماي "لن يجري استفتاء ثان. الشعب قال كلمته، وهذه الحكومة ستنفّذ قرار الشعب"، لكن وصول المفاوضات بين لندن وبروكسل إلى حائط مسدود يثير الشكوك حول ماهية الاتفاق الذي يمكن أن تتوصل إليه الحكومة البريطانية، أو ما إذا كان الاتفاق ممكنا.

ومع قرب موعد خروج البلاد من الاتحاد الأوروبي المقرر في مارس 2019، تواجه الحكومة البريطانية احتمال الخروج من دون التوصل لاتفاق ينظم العلاقة مع الاتحاد الأوروبي بعد بريكست، أو البقاء لسنوات في فترة انتقالية مع تعديلات سيكون أبرزها خسارة بريطانيا قدرتها على التأثير في قرارات الاتحاد الأوروبي.

ولا يحظى أي من هذين الخيارين بتأييد كبير، كما أن تبادل الاتهامات على خلفية ما آلت إليه الأمور في بريطانيا يزيد من عزلة ماي وضعفها. ويطرح قادة أوروبيون، على غرار الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، تساؤلات حول ما إذا كان يمكن لاستفتاء ثان أن يزيل الفوضى القائمة.

وتظهر الاستطلاعات تعادلا بين مؤيدي ومعارضي تنظيم استفتاء ثان، وكذلك الأمر بالنسبة للموقف من بريكست بحد ذاته.

وأيد 52 بالمئة من المشاركين في استفتاء 2016 الخروج من الاتحاد الأوروبي في تصويت بلغت نسبة المشاركة فيه 72 بالمئة.

ويتوقع البعض أن يطالب النواب في ربع الساعة الأخير بإجراء استفتاء ثان لتفادي فوضى عارمة قد تنجم عن اتفاق قد يتم فرضه على بريطانيا ولا قدرة لهم على رفضه.

وتوقع المنظمون أن يتجاوز عدد المشاركين في المسيرة مئة ألف متظاهر كانوا خرجوا لهذه الغاية في يونيو الماضي، وأن ينظموا التظاهرة "الأكبر" التي تضم مناصرين لمختلف الأحزاب الرئيسية.

وقال جيمس مجروري، أحد منظمي المسيرة، إن المواطنين يجب أن يحصلوا على فرصة لتغيير رأيهم لأن القرار سيؤثر في حياتهم. وأضاف "يرى الناس أن مفاوضات الخروج في فوضى عارمة وليست لديهم ثقة في أن الحكومة ستفي بتعهداتها، والسبب إلى حد ما أنها غير قابلة للتنفيذ".

أما فيونا غودفري التي تمثل مجموعة من المهاجرين البريطانيين في لوكسمبورغ، فقد أتت إلى لندن لأن بريكست سيضع عقبات كبيرة أمام عودتها إلى بلادها مع زوجها الألماني.

وقالت غودفري "سيتعين علينا التقيّد بقواعد حد أدنى للمدخول، علما أنني أعمل لحسابي الخاص"، مضيفة "أنا أخسر حق التصويت، وحق كسب المعيشة، وحرية التنقل في لوكسمبورغ التي يمكن عبورها خلال 15 دقيقة".

وتضم لائحة المتحدثين المتوقع مشاركتهم السبت في وسط لندن، رئيس بلدية العاصمة صادق خان الذي ينتمي لحزب العمال، فضلا عن أعضاء من حزب المحافظين وحزب العمال وحزب الديمقراطيين الأحرار وحزب الخضر والحزب الوطني الاسكتلندي.

واعتبرت كارمن سميث، من مؤيدي حركة "من أجل مستقبلنا" في بيان، أن "المسائل الأكثر أهمية لم يتم التفاوض عليها بعد. وأن الوقت بدأ ينفد، وهذه مسألة ملحة. نخبة بريكست أظهرت أنها غير قادرة على حل المشكلة، ولكن بإمكانكم فعل ذلك، بطلبكم التصويت من الشعب".

واكتسبت فكرة الاستفتاء الجديد شعبية في الأشهر الأخيرة في المملكة المتحدة، وتدعمها شخصيات سياسية من جميع الاتجاهات، مثل رئيس الوزراء السابق توني بلير، لكن ذلك يحتاج إلى اتفاق غالبية أعضاء البرلمان البريطاني كما أن حكومة ماي تعارضه في حين يرفض حزب العمال استبعاد مثل هذا السيناريو.

وتأتي مسيرة السبت في وقت تتزايد فيه الضغوط على رئيسة الوزراء تيريزا ماي بسبب إستراتيجية التفاوض مع الاتحاد قبل نحو خمسة أشهر فقط على موعد خروج بريطانيا. ولا يوجد حتى الآن اتفاق للخروج، وقد هدد بعض أعضاء حزب المحافظين الذي تنتمي إليه ماي بإسقاط الاتفاق من خلال التصويت إذا تم إبرام اتفاق.

وتتعثر مفاوضات الطلاق بين الاتحاد والمملكة بشأن الحدود بين جمهورية أيرلندا العضو في الاتحاد الأوروبي ومقاطعة أيرلندا الشمالية التابعة للمملكة المتحدة وتحديد مفهوم "شبكة الأمن" المطلوبة لضمان ألا تعود مجددا الحدود المادية في الجزيرة، وذلك للحفاظ على اتفاقات السلام للعام 1998.

بريكست يقسم البريطانيين

ألمانيا تؤكد استمرار دعم البلديات في ليبيا

❑ **طرابلس** – أكد السفير الألماني لدى ليبيا أوليفر أوفتشا استمرار دعم بلاده للبلديات الليبية. وحسبما ذكرت، السبت، بوابة أفريقيا الإخبارية، أكد أوفتشا في تغريدة له بموقع تويتر "استمرار التعاون الألماني الليبي، وذلك من خلال التخطيط المشترك مع ممثلي الحكومة الليبية وعمداء البلديات وخبراء ألمان من أجل تعزيز الدعم الألماني للبلديات الليبية".

وكانت ألمانيا تعهدت بتقديم مليوني يورو لمشروع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لدعم الانتخابات المحلية في ليبيا وذلك بهدف مساعدة اللجنة المركزية لانتخابات المجالس البلدية على تنظيم الانتخابات البلدية في مدن مختلفة من البلاد.

وذكرت بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا، في وقت سابق من الشهر الجاري، أن رئيسها غسان سلامة طلب دعما من ألمانيا لمعالجة الجذور الأمنية والجنائية للصراع في ليبيا.

جاء ذلك خلال لقاء سلامة في التاسع من الشهر الجاري مع أعضاء لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان الألماني (البوندستاج) حيث أطلعهم على الوضع السياسي والإنساني في ليبيا، حسبما ذكرت البعثة الأممية في موقعها على تويتر.

وقدمت ألمانيا في شهر ديسمبر الماضي مليون يورو كمساهمة في مشروع الأمم المتحدة الانتخابي في ليبيا.

ومن المقرر أن تشهد ليبيا انتخابات في شهر ديسمبر المقبل بموجب البيان المشترك الصادر في ختام اجتماع باريس حول ليبيا، الذي عُقد في وقت سابق من العام الجاري برعاية الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، وبحضور الأطراف الليبية الفاعلة، وممثلي 20 دولة إلى جانب المبعوث الأممي غسان سلامة.

وتشهد ليبيا انفلاتا أمنيا عقب الإطاحة بالزعيم الليبي معمر القذافي، إضافة إلى تنازع ثلاث حكومات على إدارتها وهي، الحكومة المؤقتة المنبثقة عن مجلس النواب المنتخب، وحكومة الوفاق الوطني المدعومة دوليا، وحكومة الإنقاذ المنبثقة عن المؤتمر الوطني العام المنتهية ولايته.

طائرة إيرانية تزود حزب الله بشحنة أسلحة متطورة

أدلة جديدة على وجود مصانع أسلحة في لبنان

بعدما تجند كل من الرئيس اللبناني ميشال عون ووزير الخارجية باسيل جبران للنطق باسم حزب الله والدفاع عنه في علاقة بالاتهامات التي جاءت على لسان رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو ومفادها وجود مواقع سرية تابعة لحزب الله قرب مطار بيروت الدولي، وهي مواقع يتم فيها تخزين أسلحة إيرانية ومكونات نظام تحديد المواقع العالمي، كشفت مصادر استخباراتية أميركية أن إيران زودت الأربعاء حزب الله بشحنة جديدة من الأسلحة عبر رحلة جوية مشبوهة قادمة من دمشق ومن ثمة توجهت إلى الدوحة بعد تنفيذ عمليتها.

❏ **واشنطن** – كشفت مصادر استخباراتية أميركية وغربية أن إيران زادت شحناتها من الأسلحة المتطورة إلى حزب الله اللبناني، ومن بينها برمجيات الصواريخ الموجهة، عبر رحلة طيران مشبوهة.

وأوضحت المصادر الاستخباراتية أن طائرة شحن إيرانية تابعة لشركة طيران "فارس قشم" حطت في دمشق، قبل أن تصل بيروت، ثم توجهت إلى الدوحة مساء الأربعاء، وأخيرا عادت إلى طهران الخميس.

ونقلت قناة "فوكس نيوز" عن المصادر قولها إن طائرة الشحن الإيرانية كانت تحمل مكونات أسلحة، بما في ذلك أجهزة نظام تحديد المواقع العالمي (جي بي أس)، لتصنيع أسلحة موجهة بدقة في المصانع الإيرانية داخل لبنان.

وكانت الولايات المتحدة وإسرائيل، فضلا عن وكالات استخبارات غربية أخرى، قد كشفت عن أدلة تفيد بتشغيل إيران لمصانع أسلحة في سوريا واليمن، بالإضافة إلى لبنان.

> طائرة شحن إيرانية تزود حزب الله بأسلحة، بما في ذلك أجهزة نظام تحديد المواقع (جي. بي. أس)، لتصنيع أسلحة موجهة بدقة في المصانع الإيرانية داخل لبنان

وفي الشهر الماضي عرض رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، صوراً لما قال إنه ثلاثة "مواقع سرية" تابعة لحزب الله قرب مطار بيروت الدولي، وهي مواقع يتم فيها تجميع مكونات نظام تحديد المواقع العالمي من طهران. وقالت مصادر غربية إن مكونات الأسلحة التي كانت على متن الطائرة المستأجرة من طهران هذا الأسبوع كانت متجهة إلى هذه المواقع السرية لحزب الله بالقرب من مطار بيروت.

معطيات جديدة تورط طهران وحزب الله

وأكد الرئيس السابق للمخابرات العسكرية الإسرائيلية عاموس يادلين أن إسرائيل لن تسمح بشحن الأسلحة الإيرانية إلى لبنان وسوريا، قائلا "إسرائيل مصممة على عدم السماح بحدوث ذلك، هذا مصدر قلق لأنه إذا كان الإيرانيون من جهة، مصممين على بناء هذا المشروع الدقيق بالصواريخ البالستية، والإسرائيليون مصممين، من جهة أخرى، على عدم السماح بحدوث ذلك، فنحن أمام وصفة للتصادم".

ورغم عدم تمكن الجنرال يادلين من تأكيد آخر رحلة شحن من طهران إلى بيروت، إلا أنه على دراية وثيقة بتاريخ إسرائيل في الضربات الاستباقية، حيث كان واحدا من ثمانية طيارين مقاتلين على طائرات F-16 قاموا بقصف المفاعل النووي العراقي في عام 1981. وخدم يادلين كرئيس للمخابرات العسكرية الإسرائيلية وساعد في التخطيط للضربة الإسرائيلية على المفاعل النووي السوري الوشيك عام 2007.

وقال يادلين إن الإيرانيين يبنون تواجدا عسكريا هائلا في سوريا بالقذائف الموجهة، والصواريخ البالستية الدقيقة، والطائرات دون طيار، والدفاع الجوي، مؤكدا أن إسرائيل "لن تسمح لإيران بتكرار حزب الله في سوريا".

ويقول الجيش الإسرائيلي إنه نفذ أكثر من 200 غارة جوية داخل سوريا منذ العام الماضي، مستهدفا شحنات الأسلحة الإيرانية.

وتأتي هذه المعطيات الجديدة بعد أن تمسّكت لبنان على لسان رئيسها ميشال عون ووزير خارجيتها جبران باسيل بنفي مزاعم نتنياهو أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وفي أول خطوة للرد على اتهامات إسرائيل، أقدم وزير الخارجية اللبناني جبران باسيل على تنظيم جولة حضرها 73 سفير دولة لنفي وجود مخازن صواريخ إيرانية تابعة لحزب الله في محيط مطار رفيق الحريري. ومن جهته، قال الرئيس اللبناني ميشال عون إن ادعاءات نتنياهو لا أساس لها من الصحة، إلا أنها تخفي تهديدا إسرائيليّا جديدا للسيادة اللبنانية واستهدافا لمطار بيروت الدولي. ونبه لما تخطط له إسرائيل تجاه بلاده.

وفي المقابل، دعم وزير الدفاع الإسرائيلي أفيغدور ليبرمان اتهامات نتنياهو للبنان بقوله إن لدى إسرائيل معلومات جديدة عن منشآت نووية أخرى في إيران ولبنان، مشيرا إلى أن إسرائيل ستزيد في كشف هذه الحقائق في أوقات لاحقة.

وتم اتهام شركة الطيران الإيرانية "فارس قشم" في أكثر من مرة بنقل الأسلحة إلى الحرس الثوري الإيراني وفيلق القدس الذي يقوده الجنرال سيء السمعة قاسم سليماني.

وفي العام الماضي، فرضت إدارة ترامب عقوبات على قوات الحرس الثوري الإيراني وفيلق القدس.

وتوقفت شركة الخطوط الجوية الإيرانية عن العمل في عام 2013، لكنها استأنفت أعمالها مع تغيير الإدارة في مارس عام 2017.

ومن بين مسؤولي الإدارة الجديدة، ثلاثة من القادة الحاليين في الحرس الثوري وهم: علي ناغي غول بارستا وحميد رضا بهلفاني وغلام رضا قاسمي.

موسكو تعترف بمقتل 88 ألف مسلح في سوريا

❏ **موسكو** – أكد وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو السبت مقتل قرابة 88 ألف مسلح من الفصائل المعارضة والمقاتلة في سوريا خلال السنوات الثلاث، منذ تدخل موسكو لدعم القوات الحكومية، وفق بيان لوزارة الدفاع الروسية.

ونقل البيان عن شويغو قوله خلال منتدى في سنغافورة إنه "على امتداد العملية، تم القضاء على أكثر من 87500 مسلح وتحرير 1411 بلدة وأكثر من 95 في المئة من الأراضي السورية". وقال شويغو "لقد تمت تصفية معظم المسلحين".

ويفيد المرصد السوري لحقوق الإنسان ومقره في بريطانيا أن ما يقرب من 365 ألف شخص قتلوا خلال النزاع الذي اندلع قبل سبع سنوات.

وتدخلت روسيا في النزاع في سبتمبر 2015 ووفرت الإسناد الجوي لنظام الرئيس بشار الأسد.

وقال شويغو إن القوات الجوية الروسية نفذت أكثر من 40 ألف مهمة قصف وأصابت نحو 120 ألف هدف للبنية التحتية "الإرهابية".

وقال وزير الدفاع إن "القوات المسلحة السورية تسيطر حاليا على الأراضي التي يعيش فيها أكثر من 90 بالمئة من السكان".

وتنفي كافة الأطراف المشاركة في الحرب السورية مسؤوليتها عن تعمد استهداف المدنيين في هذا البلد. وتؤكد أنها تبذل أقصى جهدها لتجنب وقوع ضحايا.

وتشهد سوريا نزاعا داميا بين قوات بشار الأسد وفصائل المعارضة تسبب منذ اندلاعه في منتصف مارس 2011 بمقتل أكثر من 350 ألف شخص وبدمار هائل في البنى التحتية ونزوح وتشريد أكثر من نصف السكان.

وتواصل روسيا دعمها لنظام الرئيس السوري بشار الأسد الذي التقى مؤخرا مبعوث الرئيس الروسي الخاص إلى سوريا ألكسندر لافرينتييف ونائب وزير الخارجية الروسي سيرغي فيرشينين في دمشق، وأكد لهما أن بعض الدول تواصل التدخل في المسار السياسي وممارسة الضغوط لفرض إرادتها على السوريين.

وأكد الكرملين أن الرئيس بوتين سيقوم في الـ27 من الشهر الجاري، بزيارة عمل إلى تركيا للمشاركة في قمة رباعية روسية تركية فرنسية ألمانية لبحث الملف السوري.

وتستضيف مدينة إسطنبول التركية في السابع والعشرين من أكتوبر الجاري، قمة رباعية بحضور كل من رؤساء تركيا وروسيا وفرنسا والمستشارة الألمانية.

وبحسب المتحدث باسم الرئاسة التركية إبراهيم قالن، فإن الزعماء سيبحثون في القمة الوضع الميداني في سوريا، واتفاق إدلب، والعملية السياسية، وكل جوانب الملف السوري. وتوقع قالن أن "تتم خلال القمة الرباعية مواءمة الجهود المشتركة لإيجاد حل دائم للأزمة في سوريا".

طهران تواصل مطامعها في البحرين بتهديد مرشحين للانتخابات

❏ **المنامة** – قالت السلطات البحرينية إن مرشحين لانتخاباتها المرتقبة في نوفمبر المقبل، تلقوا تهديدات عبر مواقع تواصل تدار من إيران، لثنيهم عن المشاركة في العملية الانتخابية.

وحسب بيان نقلته وكالة الأنباء البحرينية، باشرت الإدارة العامة لمكافحة الفساد والأمن الاقتصادي، النظر في بلاغات عدد من المرشحين (لم تحددهم أو تسمهم)، مفادها تلقيهم تهديدات عبر مواقع التواصل الاجتماعي تدعوهم للانسحاب من الترشح وعدم المشاركة في الانتخابات المقررة في 24 نوفمبر المقبل.

وأوضحت أنه "فور تلقي هذه البلاغات تمت مباشرة عمليات البحث والتحري للكشف عن ملابسات هذه التهديدات ومن يقف وراءها".

وكشفت التحريات أن "مصدر التهديدات حسابات للتواصل الاجتماعي تدار من إيران، وكذلك تنظيمات سياسية تعمل في الخارج بينها جمعية الوفاق المنحلة، بهدف محاولة إرباك العملية الانتخابية".

ولم يتسن الحصول على تعليق فوري من طهران أو جمعية الوفاق بشأن تلك الاتهامات، غير أن العلاقات بين البحرين وإيران تشهد توترا مؤخرا.

والأربعاء، فتحت البحرين باب الترشح للانتخابات البلدية والمحلية وسط دعوات بالمقاطعة من قبل جمعية الوفاق المنحلة، ترجعها لشكلية العملية الانتخابية وهو ما تنفيه المملكة.

وتجرى الانتخابات البلدية بالتزامن مع النيابية في 24 نوفمبر، على أن تكون جولة الإعادة مطلع ديسمبر المقبل، ويحق لـ365 ألفا و467 ناخبا التصويت في 40 دائرة انتخابية في 4 محافظات.

وتأتي هذه التهديدات الإلكترونية الإيرانية، وسط تصاعد الجدل في البحرين بشأن مشاركة البحرينيين في الانتخابات النيابية الجديدة، أو مقاطعتها، حيث سبق لمرشحين للانتخابات أن أكدوا أن يكون المزاج الشعبي العام إزاء المشاركة في الانتخابات متقلبا إلى حد كبير على خلفية الأوضاع المعيشية والاقتصادية التي تعيشها المملكة.

وكانوا قد قالوا في تصريحات لـ"العرب" إن الشيعة في البحرين يشعرون بأهمية البرلمان لكنهم يتطلعون إلى أن يكون النواب أكثر جدية واهتماما بشؤون الناس، خاصة مع ارتفاع الأسعار والتكلفة الاقتصادية والضرائب، متوقعين تراجع نسب العزوف عن المشاركة في الانتخابات هذه المرة.

وكشفت اللجنة التنفيذية لانتخابات 2018 أن إجمالي الكتلة الناخبة بلغ 365 ألفا و467 ناخبا، بعد أن أصبحت جداول الناخبين نهائية على إثر انتهاء محكمة الاستئناف العليا المدنية من الفصل في الطعون. وأكد مراقبون لسير عملية التسجيل للانتخابات أن إقبال الناخب البحريني على المشاركة في الانتخابات يختلف من منطقة إلى أخرى، خاصة أن الناخب الذي يعيش في مناطق بعيدة عن أجواء المعارضة السياسية، عادة ما يشارك دون جهود استثنائية لدفعه نحو ذلك، أما الناخب في مناطق المعارضة فعادة ما يكون مزاجه تابعا لمزاج القوى السياسية في الانتخابات.

وتوقعوا مشاركة شيعية واسعة في الانتخابات على اعتبار أن جمهور الشارع الشيعي يصطف في خانة جماهير البحرين التي تحمل الهواجس والمخاوف نفسها من المجلس المقبل، خاصة مع وصول عناصر تدعي الاستقلالية وهي ليست كذلك.

> البحرين تؤكد تلقي مرشحين للانتخابات المرتقبة في نوفمبر المقبل، تهديدات عبر مواقع تواصل تدار من إيران، لثنيهم عن المشاركة في العملية الانتخابية

وكان المرشح الشيعي عن الدائرة الثالثة في محافظة المحرق محمد حسن العرادي قد قال لـ"العرب" إن المشاركة في انتخابات هذا العام ستكون واسعة، لأن المواطن رغم حالة الإحباط التي يعيشها، لا يجد مخرجا آخر سوى مجلس النواب لتمثيله وتحسين ظروف حياته المعيشية وتنظيمها، مشيرا إلى أن ذلك بدا واضحا في عدد المترشحين، الذي وصل إلى 400 مرشح بمتوسط 10 مرشحين لكل دائرة.

وتؤكد العديد من التقارير والدراسات الدولية منذ 14 فبراير 2011 أن المعارضة البحرينية انخرطت في مؤامرة إيرانية على البحرين، لتتأكد بذلك صحة مطامع طهران المتواصلة في زعزعة استقرار البلد الخليجي.

كما أشارت نفس التقارير إلى وجود تحرك مدروس وثابت التوجه، من قبل المعارضة التي كان أغلبها يمارس نشاطه من خارج البحرين، ثم استفاد من المشروع الإصلاحي والميثاق الوطني وتعديل الدستور، وعاد لينشط من الداخل ضدّ البحرين وينفذ خطة إيرانية تاريخها ضارب في القدم.

ولمطامع إيران في البحرين جانب تاريخي، حيث قاد شاه إيران في عام 1957 البرلمان لمناقشة تدابير للاستيلاء على البحرين، كما أشار إلى إمكانية تجديد الادعاءات الإيرانية حيال المملكة الخليجية عقب الانسحاب البريطاني من شرق السويس. غير أن استفتاء شعبيا بحرينيا جرى في العام 1971 قرر تأسيس البحرين كدولة مستقلة دون معارضة من الشاه أو البرلمان الإيراني.

إيران لا تكف عن مطامعها في البحرين

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

مليارات من الدولارات على محك مقاطعة دافوس الصحراء

- الشركات الكبرى تبحث عن التوازن بين القيم الحقوقية والمصالح الاقتصادية في قضية خاشقجي
- روسيا والصين والشركات الآسيوية تغلب المصلحة على المغامرة بإفساد علاقتها مع السعودية
- الرياض تشدد على عدم خلط الأوراق وتعدل برنامج مؤتمر مستقبل الاستثمار

أعلن متحدث باسم "مبادرة مستقبل الاستثمار" الذي سيعقد في الرياض، أن المؤتمر يمضي قدما نحو الانعقاد مع برنامج معدل يشمل رؤساء دول من العالم العربي وأفريقيا وآسيا، وذلك إثر انسحاب لفيف من وزراء الاقتصاد والمسؤولين في المؤسسات المالية الدولية ورؤساء الشركات الغربية، على خلفية قضية الصحافي السعودي جمال خاشقجي، وفي خطوة تكشف مدى تداخل السياسة مع الاقتصاد، وكيف ستتجاوز الشركات الغربية هذا المأزق خاصة وأن الشركات الآسيوية أكدت على مشاركتها في المؤتمر ما يعني منافسة قوية على سوق الاستثمار في السعودية التي أكدت على الفصل بين مختلف القضايا وأن لا شيء يمكن أن يعيق مسار الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية.

❑ **موسكو** – في خضم الجدل حول قضية مقتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي وحالة الارتباك التي سادت قرارات ومواقف عدد من الحكومات في علاقتها بالرياض، اختارت روسيا، ودول أخرى صاعدة مثل الصين واليابان، كما الشركات الآسيوية، تغليب المصالح السياسية والاقتصادية وعدم التدخل في عمل المؤسسات القانونية، وجسدت بذلك التمسك بمشاركتها في المؤتمر السعودي للاستثمار (دافوس الصحراء).

وتعرّضت الرياض لضغوط دولية إثر اختفاء خاشقجي بعد دخوله قنصلية بلاده في إسطنبول في 2 أكتوبر، في قضيّة دفعت بالعديد من المسؤولين ورجال الأعمال الغربيين إلى إلغاء مشاركتهم في مؤتمر اقتصادي تنظمه الرياض الأسبوع المقبل.

وترى روسيا أنه من الضروري انتظار نتائج التحقيق النهائي في تركيا، قبل تخريب العلاقات مع المملكة العربية السعودية، مشددة على أنها تعول أن تحل هذه القضية في الإطار القانوني، وأنها ستشارك في مؤتمر مبادرة مستقبل الاستثمار في السعودية.

ويشاطر الصحافي الأميركي بول مارينغوف الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قوله "لا يمكننا إفساد العلاقة مع السعودية ما لم تكن لدينا حقائق ملموسة".

وكتب مارينغوف قائلا "من وجهة نظري، يجب ألا يتسبب مقتل خاشقجي في تغيير الولايات المتحدة لسياستها الخارجية بشكل جوهري".

وأضاف منتقدا الأصوات المنادية إلى التصعيد السياسي ضد السعودية وحتى قطع العلاقات معها "سيكون من الغباء أن نغير العلاقة بشكل جذري. إن علاقتنا الوثيقة مع السعودية قائمة على المصالح المتبادلة والخصوم المشتركين".

أيضا، لم تبد الشركات في الصين واليابان أي بادرة انسحاب من المؤتمر ولا حتى أظهرت دلائل محدودة في هذا الاتجاه، وفي المقابل قد تخسر الشركات الأميركية والأوروبية أنشطة إذا ظلت على موقفها غير المكترث تجاه الرياض لفترة أطول كثيرا.

وألغى أكثر من عشرين من كبار المسؤولين والتنفيذيين من الولايات المتحدة وأوروبا، بمن فيهم وزير الخزانة الأميركي ستيفن منوتشين والرئيسان التنفيذيان لبنكي جيه.بي مورجان واتش. اس.بي.سي، خططهم لحضور مؤتمر مبادرة مستقبل الاستثمار بسبب القلق بشأن قضية خاشقجي.

ولا يبدو أن ذلك سيحول دون المضي قدما في انعقاد المؤتمر في ظل اشتراك أكثر من 150 متحدثا وما يزيد على 140 مؤسسة ابتداء، لكن هذا يجرد المؤتمر من معظم الشخصيات المؤثرة.

> لم تبد الشركات في الصين واليابان أي بادرة انسحاب من المؤتمر ولا حتى أظهرت دلائل محدودة في هذا الاتجاه، في المقابل قد تخسر الشركات الأميركية والأوروبية أنشطة إذا ظلت على موقفها غير المكترث تجاه الرياض لفترة أطول كثيرا

الاقتصاد يتقدم على السياسة

وإذا كان مديرو شركات كبرى لن يتوجهوا إلى الرياض، فإن بعضهم سيرسل موفدين على غرار مجموعة تاليس الفرنسية. وذكرت وكالة بلومبرغ أن بعض المصارف الكبرى سيقوم بالخطوة نفسها. ويقول جايسون توفي، كبير اقتصاديي الأسواق الناشئة لدى كابيتال إيكونوميكس، إن "كثيرين سيحرصون على الحفاظ على علاقات وثيقة مع الحكومة" السعودية، على غرار مجموعة سيمنز الألمانية التي أكدت مشاركة رئيسها في المؤتمر السعودي.

كذلك، يصعب أن تتم قطيعة بين السعودية والقطاع التكنولوجي الأميركي، لا سيما أن السعوديين استثمروا في شكل كبير في "سيليكون فالي" التي تسعى في المقابل إلى الفوز بعقود مرتبطة بالمشاريع المقبلة في رؤية السعودية 2030 وخاصة مشروع نيوم.

وقال متحدث باسم المؤتمر السعودي للاستثمار، إن المؤتمر يمضي قدما نحو الانعقاد مع برنامج معدل يشمل رؤساء دول من العالم العربي وأفريقيا وآسيا، مضيفا "نتطلع إلى استقبال الآلاف من المتحدثين والمشرفين والضيوف من جميع أنحاء العالم إلى الرياض في الفترة من 23 إلى 25 أكتوبر".

السعودية 2030

توحي "المقاطعة" الغربية للمؤتمر الاقتصادي في الرياض بأن القضية قد تلحق الضرر بطموحات المملكة لجذب رأس المال الأجنبي وتنويع موارد اقتصادها بدلا من الاعتماد على النفط.

ولفت المراقبون إلى سرعة إعلان بعض الوزراء والمسؤولين الغربيين مقاطعة دافوس الصحراء، حتى قبل التطورات الأخيرة بشأن مقتل خاشقجي، واعتراف الرياض بوفاة خاشقجي داخل قنصليتها في إسطنبول؛ الأمر الذي يدفع إلى التساؤل عما بين سطور هذا الموقف، وإلى أي مدى يمكن ربطه برؤية السعودية 2030 وكل ما له علاقة بمشاريع الإصلاح استعدادا لمرحلة ما بعد النفط، وهل الهدف الحقيقي دفاع عن حرية التعبير بقدر ما أم استهداف للمشروع التحديثي.

ويرى الكاتب العراقي فاروق يوسف أن هناك رابطا لا يمكن إغفاله بمراجعة سير تطورات القضية، كما تطورات العلاقات السعودية الأخيرة مع عدد من الحكومات والمسؤولين الغربيين.

ويعتبر فاروق يوسف أن "تحديث السعودية وفتح أبوابها ونوافذها على العصر لم يرق للكثيرين الذين طالما ابتزوا المملكة بالحديث عن الإصلاح وحقوق الإنسان". ويضيف أن "الإصلاح الذي يليق بالسعودية من وجهة نظرهم لا يتخطى مثلا منح المرأة حق قيادة السيارة. هذه هي الحدود القصوى المسموح بها. وليبق البلد كله نائما في نعيمه المتخيل".

ولا ينفي المراقبون مسؤولية الرياض في كل ما يجري من جدل وتوتر ومواقف متداخلة، خاصة من جهة التعاطي الإعلامي، ومن جهة أخرى الموقف السعودي الذي تراوح بين الصمت والنفي ثم الاعتراف بأن خاشقجي قتل داخل القنصلية السعودية في إسطنبول.

ويقول مسؤولون تنفيذيون ومحللون إنه كان على السعودية أن تكون أكثر يقظة وتتخذ خطوات من قبيل تبديد الغموض من الأياما الأولى للقضية، ومع تواتر التسريبات، ومراعاة توقيت المؤتمر كمناسبة تهدف إلى أن تثير الاهتمام بفرص الاستثمار السعودية.

مليارات على المحك

تؤكد التجارب أنه في مثل هذه المواقف تنتصر المصالح الاقتصادية على شعارات "حقوق الإنسان"، فمثلا بعد مقتل طلاب باحتجاجات بكين في يونيو 1989، انخفض الاستثمار الأجنبي المباشر ما يزيد على 20 بالمئة في النصف الأول من 1990، لكنه، وبعد عام تقريبا، عاد للنمو بقوة مجددا.

وتظهر تحركات الأسواق العالمية قلق المستثمرين إزاء قضية خاشقجي، لكن ليس بقدر حالة الخوف التي انتابتهم بعد أن بدأت أسعار النفط في التراجع في 2014.

ومع خشية الشركات الغربية من المخاطرة بسمعتها في إبرام صفقات والانكشاف المحتمل على أي عقوبات تُفرض بشأن قضية خاشقجي، من المرجح أن تعلق معظم الأنشطة الجديدة في السعودية، لكن لبعض الوقت.

وربما يُطبق التجميد على العقود أو الاستثمارات الغربية الجديدة في السعودية، وعلى البرنامج الخاص بالحكومة السعودية لشراء أصول شركات بالخارج عبر صندوق الاستثمارات العامة التابع للمملكة والبالغ حجمه 250 مليار دولار.

وقال أيهم كامل مدير الشرق الأوسط لدى مجموعة أوراسيا لاستشارات المخاطر السياسية، "معظم الشركات الغربية ستتعرض لضغوط لإعادة النظر في انكشافها على السعودية في ضوء قضية خاشقجي".

لكن تجميد الصفقات الجديدة قد يبدأ في الانحسار خلال أشهر قليلة. فهناك الكثير الذي قد تخسره شركات غربية عديدة إذا تخلت عن أكبر اقتصاد في الشرق الأوسط. وأسرّ البعض لوكالة رويترز بأن الشركات سترسل مسؤولين تنفيذيين على مستوى منخفض إلى المؤتمر. وقال لاري فينك الرئيس التنفيذي لشركة إدارة الاستثمار الأميركية بلاك روك، إنه ينسحب من المؤتمر لكنه لن يقطع العلاقات مع السعودية لرغبته في "الحفاظ على العلاقات التي عكفنا عليها لفترة طويلة".

وقال جيسون توفي "في العام الجديد ربما يبدأ الأثر في الانحسار، لا سيما أنه يبدو أن الولايات المتحدة تساعد السعودية ليصبح الحادث طي النسيان".

ولئن توعد الرياض بعواقب "وخيمة جدا" إذا ثبتت مسؤوليتها، ذكّر الرئيس الأميركي دونالد ترامب مرارا بالثقل الاقتصادي لحليفه السعودي. وأكد حرصه على عدم خسارة "عقد (تسلح) ضخم" يقدر قيمته بـ110 مليارات دولار. وقال ترامب إنه يريد حماية التعاون الأمني لواشنطن مع السعودية ومبيعات معدات عسكرية بالمليارات من الدولارات إلى الرياض.

وفي خطاب مزدوج، شدّد وزير الخارجية البريطاني جيريمي هانت على أن "المزاعم المتعلقة بقضية الكاتب الصحافي السعودي لن تكون مقبولة إطلاقا"، غير أنه أضاف أن "لبريطانيا علاقة إستراتيجية مع السعودية"، وأن أي رد فعل من جانبها سيكون "محل دراسة".

ويتوقع جيسون توفي وآخرون أن تكون تكلفة أي عقوبات محدودة. والخيار الأكثر نقاشا بين السياسيين الأميركيين هو ما يُطلق عليه قانون ماجنيتسكي، الذي يمكن أن يفرض حظرا على التأشيرات وتجميدا لأصول الأفراد في قضايا تتعلق بحقوق الإنسان.

وقال مصرفي خليجي، يعمل مع السعودية، إنه أيا كانت خاتمة قضية خاشقجي، فإن فرص تحقيق أرباح من رسوم ترتيب الصفقات لصالح صندوق الاستثمارات العامة ستجعل البنوك الغربية "تعود جاثية على ركبتيها تطلب العمل" منه.

الأجل الطويل

حتى بعد استئناف علاقات العمل الطبيعية مع الغرب، فإن قضية خاشقجي قد تلقي بظلالها على تدفقات الاستثمار الأجنبي على السعودية. وربما تكون الشركات الغربية حريصة على تحقيق أرباح من الرسوم والفوز بعقود، لكن إدراك تزايد المخاطر السياسية قد يقيد الاستثمار الأجنبي المباشر.

وقالت مصرفية خليجية إنها تتلقى أسئلة كثيرة بشأن قضية خاشقجي من عملاء أجانب، مشيرة إلى أن الأمر يتجاوز قضية خاشقجي ليطرح على الطاولة مختلف الأوراق محل جدل دولي-سعودي. وقالت "إنها تراكمات حرب اليمن والنزاع مع قطر والتوترات مع كندا وألمانيا وحملة الاعتقال. يعطي هذا انطباعا بالاندفاع في صنع السياسات، وهو ما يثير بواعث قلق عند المستثمرين".

> جايسون توفي، كبير اقتصادي الأسواق الناشئة لدى كابيتال إيكونوميكس، يؤكد أن كثيرين سيحرصون على الحفاظ على علاقات وثيقة مع الحكومة السعودية، على غرار مجموعة سيمنز الألمانية التي أكدت مشاركة رئيسها في المؤتمر

وإذا تبين أن مجموعة صغيرة من السعوديين مسؤولون عن موت خاشقجي وجرت معاقبتهم بتلك الوسيلة، فإن الأمر قد يكون مبعث حرج للرياض لكن دون أثر اقتصادي يذكر. وإذا تفادت الرياض عقوبات كبيرة بخصوص القضية، فمن المحتمل أن تظل تواجه تعاطفا أقل من جانب الكونغرس الأميركي. وقد يؤدي هذا على سبيل المثال إلى إحياء مساع للموافقة على تشريع يعرض منتجي النفط بأوبك إلى دعاوى قضائية تتعلق بمكافحة الاحتكار.

ويخشى البعض من أن القضية قد تُضعف السلطة المحلية لولي العهد الأمير محمد بن سلمان بما يتسبب في اضطراب سياسي أو يبطئ سعيه الإصلاحي. وأدت الإصلاحات والحملة على الفساد إلى فوز الأمير محمد بن سلمان بدعم الكثير من السعوديين. وقال مصرفي في الرياض "نحن قلقون من أن هذا قد يعرقل كل العمل الذي بُذل خلال السنة الأخيرة في سبيل الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية".

وفي المقابل، يؤكد مراقبون سعوديون أن بلادهم بعد أن خطت خطوات كبيرة في طريق التغيير، لن تتراجع ولن تكرر أخطاء سابقة بالصمت وتقليص الحضور، وأن مشروع رؤية السعودية 2030 يتجاوز شخص الأمير محمد بن سلمان، ليشمل أغلب السعوديين، خاصة الشباب.

بوتين والوجود الإيراني في سوريا

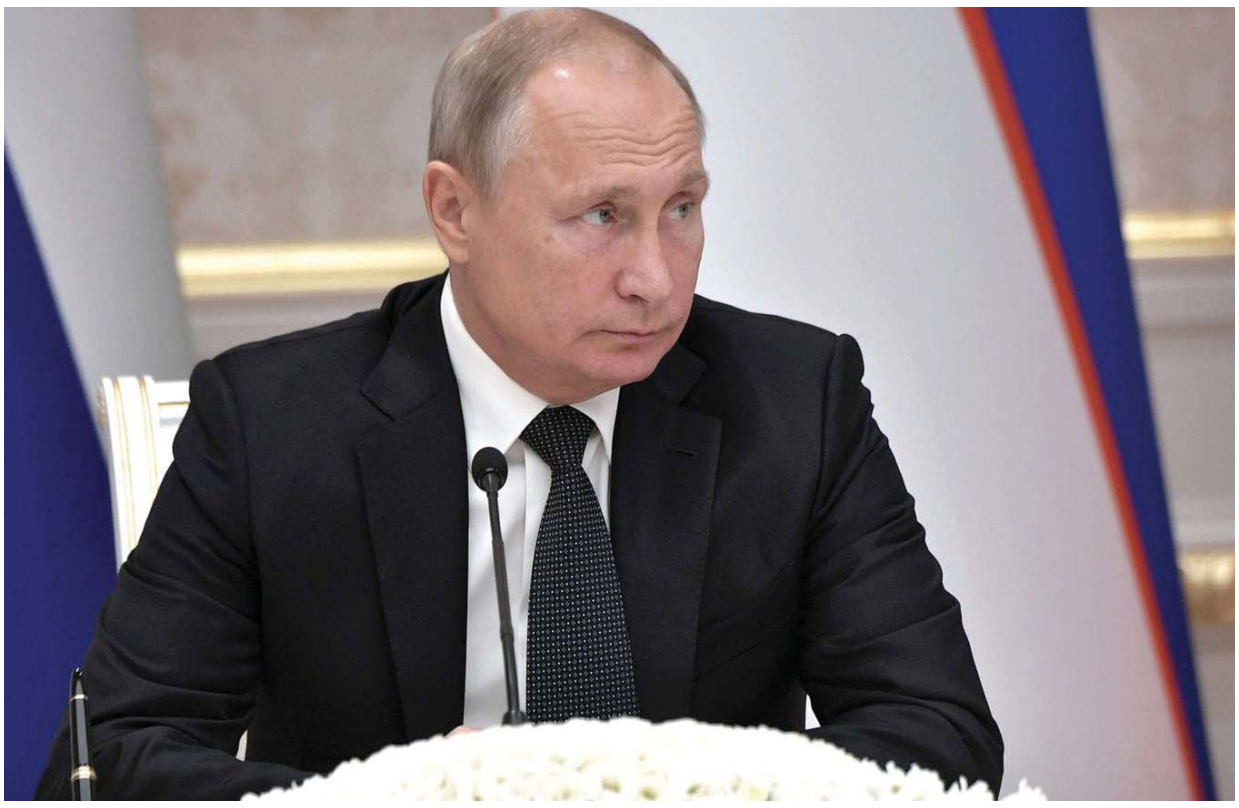

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ ليس كلام الرئيس فلاديمير بوتين في منتدى "فالداي"، وهو مركز أبحاث روسي، عن تحقيق روسيا أهدافها في سوريا سوى من نوع الكلام الموجه للاستهلاك الداخلي. لم تنجح روسيا في سوريا بعد. إنّها أبعد ما تكون عن تحقيق أهدافها. هذا عائد إلى سبب في غاية البساطة يتمثل في أن ليس هناك من هو على استعداد لدفع أي ثمن لروسيا في مقابل إمساكها بالورقة السورية. أكثر من ذلك، لا يوجد من هو على استعداد لإعادة إعمار سوريا... هذا إذا كان في الإمكان إعادة إعمارها في ظلّ الدمار الذي تسببت به الحرب التي يشنها النظام على شعبه. هذه الحرب مستمرّة منذ العام 2011، بمشاركة روسية وإيرانية، وهي تتمة لحرب تستهدف إفقار سوريا والشعب السوري بدأت عمليا مع تأسيس النظام الأمني على يد الضابط عبدالحميد السراج إبان الوحدة مع مصر بين العامين 1958 و1961.

كان واضحا أنّ همّ الرئيس الروسي محصور في إقناع مواطنيه بأن التدخل في سوريا من أجل ضمان بقاء بشار الأسد في دمشق له أبعاد سياسية تشكل أولوية روسية. تحدث فلاديمير بوتين عن الحرب على الإرهاب متجاهلا دور النظام السوري منذ العام 1970 في دعم الإرهاب والمتاجرة به في سياق لعبة الابتزاز التي أتقنها.

لا بدّ من الاعتراف بأنّ لكلام الرئيس الروسي تأثيرا على المواطن العادي. لا يزال الحنين إلى عظمة روسيا يثير المشاعر الوطنية في داخل هذا المواطن الذي لا يدرك مغزى أنّه لا توجد في منزله أي قطعة أثاث أو آلة كهربائية صنعت في روسيا التي تفتخر بامتلاك ترسانة نووية. لو كانت الترسانة النووية تبني دولة عصرية، لما كان الاتحاد السوفييتي انهار بالطريقة التي انهار بها مباشرة بعد سقوط جدار برلين في تشرين الثاني – نوفمبر من العام 1989.

> لا يمكن أن تمر على أي سوري فكرة إعادة تأهيل النظام. هذا نظام غير قابل للتأهيل بأي شكل مهما فعل الروسي والإيراني والإسرائيلي ومهما مارس الأميركي لعبة الانتظار

شكّل الكلام عن تحقيق الأهداف الروسية جانبا من الكلمة التي ألقاها الرئيس الروسي في منتدى "فالداي" الذي انعقد للمرة الخامسة عشرة والذي استضافه هذه السنة منتجع سوتشي.

الجانب الآخر المهمّ في كلمته كان مرتبطا بالوجود الإيراني في سوريا. اعتبر بوتين أن ليس من مهمّات روسيا إقناع إيران بسحب قواتها من سوريا، مضيفا أنّ على الحكومات التي تدعو إيران إلى الرحيل عن سوريا تقديم ضمانات بأنّها لن تتدخل في الشأن السوري.

من الواضح أنّ الرئيس الروسي يوجه كلامه إلى الأطراف المهتمة بالانسحاب الإيراني من سوريا. في مقدّم هذه الأطراف إسرائيل والولايات المتحدة. فوق ذلك كله، يعتبر أنّ النظام الروسي القائم نظام شرعي لا بدّ من التفاوض معه في حال كان مطلوبا البحث في مستقبل الوجود الإيراني في سوريا. الأكيد أن إسرائيل لم تعترض يوما على شرعية النظام السوري. لو كان لديها أيّ اعتراض على ذلك ولو لم يكن رهانها الدائم على هذا النظام الذي سلّمها الجولان، لما كان مطلبها الأساسي العودة إلى اتفاق فك الاشتباك للعام 1974. إنّه الاتفاق الذي يبدو أن النظام السوري ليس مستعدا للتخلي عنه في يوم من الأيّام نظرا إلى أنّه يعتبره الضمانة الأولى لبقائه، أقله في دمشق.

هل يراهن بوتين في نهاية المطاف على صفقة إيرانية–إسرائيلية عنوانها الوجود الإيراني في سوريا؟ هذا ما يوحي به مضمون كلامه في منتدى "فالداي". ففي نهاية المطاف، يبدو جليّا أن روسيا ليست قادرة على تنفيذ أي تعهد في شأن الوجود الإيراني في سوريا، وهو وجود غير مرتبط برغبة سورية، كما يفترض.

هناك نفوذ إيراني في سوريا تحوّل إلى أمر واقع أكثر من أي شيء آخر. الأكيد أن روسيا تعرف قبل غيرها أن بشار الأسد ليس والده وأن اعتماده على إيران زاد منذ اضطرت إلى الخروج عسكريا من لبنان في نيسان – أبريل من العام 2005 نتيجة اغتيال الرئيس رفيق الحريري ورفاقه.

ما يتبيّن يوما بعد يوم أن تظاهرة "شكرا سوريا" في الثامن من آذار – مارس 2005، كانت تظاهرة تستهدف بالفعل شكر النظام السوري على المساهمة في عملية اغتيال رفيق الحريري، وهذا ما أظهره الادعاء العام في المحكمة الدولية الخاصة بلبنان بالأدلة الدامغة الشهر الماضي.

في الواقع، كان لا بدّ في الثامن من آذار – مارس 2005 من توجيه الشكر إلى النظام السوري على تخليه عن الوصاية المشتركة، مع إيران، على لبنان وترك "حزب الله" يملأ الفراغ الأمني الذي خلفه انسحابه العسكري من البلد.

يعكس كلام فلاديمير بوتين استسلاما لإيران في سوريا وتركها تتدبر أمرها مع إسرائيل والولايات المتحدة. الأكيد أن الأمور لن تتوضح قبل مرور بعض الوقت ومعرفة ما الذي ستفعله روسيا في حال شنت إسرائيل غارات جديدة على مواقع إيرانية في سوريا بعد هدنة استمرت منذ منتصف أيلول – سبتمبر الماضي. ففي منتصف الشهر الماضي، تاريخ إسقاط النظام السوري طائرة "اليوشن–20" روسية في أثناء غارة إسرائيلية على مواقع في الساحل السوري، تغيرت طبيعة العلاقات الروسية–الإسرائيلية وذلك بعد سقوط تفاهمات معيّنة.

سارعت روسيا إلى تحميل إسرائيل مسؤولية سقوط الطائرة التي قتل جميع من كانوا فيها وقررت إرسال منظومة صواريخ "اس. اس–300" المضادة للطائرات إلى سوريا. ما الذي ستفعله روسيا في مرحلة معيّنة؟ هل من خيار آخر أمامها غير ترتيب اتفاق إيراني –إسرائيلي لا يمكن للولايات المتحدة غير القبول به وبنتائجه؟

يبدو مثل هذا الاتفاق المخرج الوحيد لروسيا في سوريا، خصوصا أن النظام السوري يسعى بيديه ورجليه إلى التأكيد لإسرائيل أنّه مع العودة إلى اتفاق فك الاشتباك في الجولان. صار عمر هذا الاتفاق الذي أشرف عليه هنري كيسينجر أربعة وأربعين عاما. ما الذي يمنع استمراره أربعة وأربعين عاما أخرى ما دام الجولان المحتل منذ 1967 صار قضية منسية؟

> همّ الرئيس الروسي فلاديمير بوتين محصور في إقناع مواطنيه بأن التدخل في سوريا من أجل ضمان بقاء بشّار الأسد في دمشق له أبعاد سياسية تشكل أولوية روسية

تنقص مثل هذا السيناريو، الذي يبحث بوتين من خلاله تأمين النظام في انتظار يوم يستطيع فيه استخدام الورقة السورية في صفقة مع الأميركيين، حلقة واحدة. هذه الحلقة هي الشعب السوري. يفترض في رجل ذكيّ مثل الرئيس الروسي يعرف مواطنيه جيّدا ألا يستخف بالسوريين.

لن يقبل السوريون، بأكثريتهم الساحقة، في يوم من الأيّام باستمرار النظام القائم، حمته إسرائيل أم لم تحمه، توصلت إيران إلى تفاهم مع إسرائيل، أم لم تتوصّل. لا يمكن أن تمرّ على أي سوري فكرة إعادة تأهيل النظام. هذا نظام غير قابل للتأهيل بأيّ شكل مهما فعل الروسي والإيراني والإسرائيلي ومهما مارس الأميركي لعبة الإنتظار. لا حل في سوريا قبل رحيل النظام. كلّ ما تبقى تفاصيل وإضاعة للوقت بغية الوصول إلى نتيجة وحيدة هي تفتيت سوريا نهائيا.

هذا التفتيت الذي يسعى فلاديمير بوتين إلى تفاديه يبدو الخيار الوحيد المتاح أمامه في حال إصراره على كلام من نوع الذي صدر عنه في منتدى "فالداي" أخيرا عن تحقيق روسيا أهدافها في سوريا... وترك أمر الوجود الإيراني لتفاهمات مع النظام نفسه.

تركيا تسعى لبقاء دائم في سوريا

❑ **باريس** – بعد احتلالها العلني لمنطقة عفرين في شمال سوريا، تسعى حكومة العدالة والتنمية إلى إقرار دولي يحافظ لها على البقاء الدائم على الأرض السورية. المباركة الدولية تريدها أنقرة غطاء للمضي في عملياتها وعمليات الجماعات المسلحة الموالية لها وتاليا تحقيق أطماعها ومصالحها.

وفي هذا الصدد يأتي انعقاد قمة في إسطنبول أواخر الشهر الحالي لبحث الصراع في سوريا، حيث قال مسؤولون إن زعماء تركيا وروسيا وألمانيا وفرنسا سيعقدون قمة، وذلك بعد شهر من توصل أنقرة وموسكو لاتفاق لإقامة منطقة منزوعة السلاح في إدلب شمال غرب البلاد.

وإدلب ومناطق مجاورة لها هي آخر معقل للمعارضة التي انتفضت ضد الرئيس بشار الأسد عام 2011، ويقدر عدد سكانها بثلاثة ملايين نسمة أكثر من نصفهم نازحون من مناطق أخرى.

وتوصلت تركيا وروسيا لاتفاق الشهر الماضي لإقامة منطقة عازلة بعمق يتراوح بين 15 و20 كيلومترا داخل الأراضي الخاضعة لسيطرة مسلحي المعارضة، على أن يتم إخلاؤها من الأسلحة الثقيلة والمتشددين الاثنين الماضي. وكان هدف الاتفاق هو تجنب شن هجوم على إدلب. وموسكو هي أكبر داعم أجنبي للرئيس السوري بشار الأسد.

ونقلت وسائل إعلام رسمية عن المتحدث باسم الرئيس التركي رجب طيب أردوغان قوله إن القمة بين قادة الدول الأربع ستعقد في 27 أكتوبر لمناقشة الوضع في إدلب والعملية السياسية الرامية لإنهاء الصراع.

وقال مكتب الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إن فرنسا تريد تجنب وقوع كارثة إنسانية في إدلب والحيلولة دون تدفق موجة جديدة من اللاجئين.

وقال مصدر دبلوماسي فرنسي كبير "نود الحفاظ على هذا الاستقرار والعمل انطلاقا من هذا الاتفاق نحو مرحلة جديدة من المناقشات المتعلقة بالعملية السياسية... هذا يساعد في إطلاق اللجنة الدستورية التي تعكف الأمم المتحدة على تشكيلها كي يتسنى لها الاجتماع في أسرع وقت ممكن".

وقالت متحدثة باسم الحكومة الألمانية إن المستشارة أنجيلا ميركل ستركز على الوضع في إدلب ودعم تطبيق اتفاق سوتشي بين روسيا وتركيا. وأضافت المتحدثة "ترى الحكومة الاتحادية روسيا شريكا يتحمل مسؤولية دقيقة للغاية نظرا لكونها حليفا لنظام الأسد".

وذكر يان إيجلاند مستشار الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية أن روسيا وتركيا تعتزمان إتاحة المزيد من الوقت لتطبيق اتفاقهما الخاص بعدم التصعيد في منطقة إدلب.

لكن إيجلاند قال إنه لا يزال هناك مليون سؤال بلا إجابة بشأن كيفية نجاح الاتفاق وما سيحدث إذا رفضت الجماعات المصنفة إرهابية إلقاء السلاح.

واعتبرت الرئاسة الفرنسية، أن القمة الرباعية حول سوريا ستكون الخطوة الأولى لدفع العملية السياسية وضمان الأمن شمالي سوريا لأمد طويل.

وأوضحت مصادر في الحكومة التركية أن الزعماء سيبحثون في القمة الوضع الميداني في سوريا واتفاق إدلب والعملية السياسية وجميع جوانب الأزمة السورية. كما لفت إلى أنه "من المتوقع أن تتم خلال القمة الرباعية، مواءمة الجهود المشتركة لإيجاد حل دائم للأزمة في سوريا".

حكومة العراق عالقة في مأزق المحاصصة الحزبية

❑ **بغداد** – تتواصل التجاذبات بين القوى السياسية في العراق مع بدء العد التنازلي لموعد عرض رئيس الحكومة العراقي عادل عبدالمهدي لتشكيلته الوزارية على البرلمان لمنحها الثقة. و

وتشكل الحقائب الوزارية، وفقا لنظام المحاصصة، إحدى أبرز نقاط الخلافات. وتمارس الكتل السياسية ضغوطا في الخفاء على عبدالمهدي، لاختيار مرشحين يمثلونها في التشكيلة الوزارية. وفي ظل هذه التعقيدات، اقترح تحالف القرار العراقي، الذي يتزعمه نائب رئيس الجمهورية السابق أسامة النجيفي، السبت، على رئيس الوزراء المكلّف بتشكيل الحكومة عادل عبدالمهدي، عرض تشكيلته الوزارية على الكتل السياسية، قبل عرضها على البرلمان.

وقال تحالف القرار العراقي (11 مقعدا من أصل 329)، في بيان إن "التشاور حول التشكيلة الوزارية لم يرتق إلى مستوى ما هو مطلوب في هذه المرحلة الدقيقة". واستطرد "وتلافيا لأي إشكال نقترح عرض أسماء الوزراء مع السير الذاتية لكل شخصية منهم على الكتل السياسية، والإصغاء إلى الملاحظات من أجل كسب التأييد والدعم في البرلمان". وبخصوص الأنباء التي تحدثت عن احتمال إرجاء تقديم أسماء الوزراء للوزارات السيادية، شدد التحالف على ضرورة أن يقدم عبدالمهدي "تشكيلة وزارية كاملة". وقبل أسبوعين، قال مقتدى الصدر زعيم التيار الصدري، إن تحالف سائرون الذي يدعمه والذي تصدر الانتخابات برصيد 54 مقعدا (من أصل 329)، "لن يقدم مرشحين لإتاحة الفرصة أمام عبدالمهدي لاختيار تشكيلته". واتخذ تحالفا الفتح، الذي جاء في المركز الثاني برصيد 48 مقعدا، والنصر، الذي احتل المركز الثالث في الانتخابات بحصوله على 42 مقعدا، قرارين مماثلين لقرار الصدر.

وجاء اختيار عبدالمهدي لتشكيل الحكومة المقبلة، بناء على توافق بين الكتل الشيعية الفائزة في الانتخابات. وتم تكليفه بمهمة تشكيل الحكومة في الثاني من أكتوبر الجاري، وأمامه مهلة شهر لتقديم التشكيلة للبرلمان لمنحها الثقة، ما يعني أن الفترة القانونية المحددة لتشكيل حكومته، تنقضي في الأول من نوفمبر المقبل. ويقول مراقبون إن الضغوط السياسية على عبدالمهدي ربما تشتد مع بدء العد التنازلي، وصولا إلى انتهاء المهلة الدستورية، وسط توقعات بأن تتشكل حكومة جديدة تضم خليطا من التكنوقراط والحزبيين، على أمل أن تلبي مطالب العراقيين.

بدء العدّ التنازلي لحوار بين المعارضة والنظام في السودان

تجاوب الخرطوم مع التطورات الإقليمية والدولية يقلّص فرص المعارضة

تجمعت مجموعة من التطورات المحلية والإقليمية والدولية تؤكد أن انقطاع الحوار السياسي بين المعارضة والنظام السوداني على وشك الانتهاء، فقد تيقنت الأولى من أن الأفق يزداد انسدادا أمامها مع اتساع نطاق الانفتاح بين الخرطوم والفضاء الإقليمي، وتراجع حدة الانتقادات الدولية للرئيس عمر حسن البشير، ولم يبق أمامها سوى الرضوخ للحوار معه.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

❏ تواترت الإشارات الإيجابية التي أرسلتها قوى في المعارضة السودانية خلال الأيام الماضية، بصورة تنطوي على ملامح تغير لافت في موقفها الصارم من النظام الحاكم في الخرطوم، ورفض الحوار معه تحت أي سقف جديد.

أبدى الصادق المهدي، زعيم حزب الأمة القومي، رغبة في العودة إلى الخرطوم وممارسة دوره من هناك، ليس تحديا للاتهامات التي تطارده وقد يصل الحكم فيها إلى السجن المؤبد أو الإعدام، لكن تجاوبا مع الدعوة التي وجهها أخيرا ثامبو مبيكي، رئيس جنوب أفريقيا الأسبق، رئيس لجنة الوساطة بين المعارضة والخرطوم، وترمي إلى التوصل إلى صيغة للتفاهم بينهما حول القضايا الشائكة.

يقود مبيكي وساطة بين تحالف نداء السودان، ويضم أطيافا سياسية وعسكرية متعددة، والحكومة، وتبلورت ملامحها في سبتمبر من العام الماضي في شكل توافق على "خارطة طريق" لم يتم تنفيذ بنودها، تسعى إلى تهيئة البلاد لمرحلة جديدة من الانفتاح السياسي وتستوعب جميع الأطراف.

أعاد مبيكي في زيارته إلى الخرطوم الأسبوع الماضي، طرح مقترحه الذي يتضمن دعوة إلى الحوار المباشر حول كتابة دستور للبلاد والانتخابات الرئاسية والبرلمانية والولايتية 2020، ومع أن المعارضة رفضت المقترح واعتبرته يتجاوز "خارطة الطريق"، غير أن التلميحات الصادرة من بعض قياداتها تشير إلى احتمال قبول المقترح أو التباحث بشأنه، فلم تعد الممانعات السابقة مجدية.

وكتب ياسر عرمان، الأمين العام للحركة الشعبية-جناح عبدالعزيز الحلو، مسؤول العلاقات الخارجية في تحالف نداء السودان مقالا مؤخرا، ألمح فيه إلى إمكانية عودة المعارضة المسلحة والمدنية إلى الداخل، وهي علامة تؤكد أن الرجل قرأ المعطيات الإقليمية جيدا، وربما يدعو إلى قطع الصلة مع الثوابت التي حكمت مواقفه سلفا.

أخفقت المعارضة، المسلحة والسياسية، وهي في أوج نشاطها خلال تسعينات القرن الماضي، في إجبار النظام السوداني على تقديم تنازلات واضحة، والقبول بإصلاحات هيكلية تهيّئ البلاد لتصحيح المسار، وفشلت في توظيف مواقف قوى إقليمية ودولية مناوئة للخرطوم لصالحها وفوتت الفرص لتكون رقما مركزيا في المعادلة الرئيسية في البلاد.

تجربة يصعب تكرارها

ربما نجحت تجربة الحركة الشعبية لتحرير السودان في فصل جنوب السودان عن شماله والتوصل إلى اتفاق نيفاشا 2005 ثم الحصول على الاستقلال بعده بستة أعوام، في وقت كان هناك زخم دولي مؤيد لهذه الخطوة، لكن لم تتمخض محاولات الفصائل المسلحة في كل من دارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق، في الضغط على النظام السوداني لانتزاع مكاسب نوعية منه وتحسين الأوضاع التي قاتلت من أجل تغييرها.

كذلك لم تستفد قوى المعارضة السياسية من الأزمات الاقتصادية التي يموج بها السودان، وعلى العكس وجه لها النظام الحاكم ضربات متتالية وسد أمامها الأبواب والنوافذ والثغرات التي يمكن أن تنفذ منها، ما قلل من فرصها في أن تكون ولو معارضة مشاغبة، تحظى بتأييد في الشارع وكلمة مسموعة لدى المواطنين.

أعاد الرئيس السوداني عمر البشير هيكلة حزب المؤتمر الوطني الحاكم بشكل أبعد عنه المناهضين لسياساته، وقام بتغييرات كبيرة داخل الأجهزة الأمنية، بدءا من وزارة الدفاع التي وضع على رأسها الفريق أول عوض محمد أحمد بن عوف، وجهاز الاستخبارات ووضع على رأسه الفريق صلاح عبدالله (قوش)، والإدارات المختلفة التابعة لكل منهما، فضلا عن إعادة تدوير مناصب وزارية وتقليصها بصورة تضمن لرئيس الجمهورية سيطرة كاملة على مفاتيح الأمور.

فوت البشير الفرصة التي كانت تريد المعارضة استثمارها والخاصة بتذمر قطاعات واسعة من المواطنين احتجاجا على الغلاء، وفرضت أجهزته الأمنية قبضتها على الشارع بما حال دون خروج مظاهرات كبيرة، الأمر الذي جعل المعارضة تتكفئ على نفسها، وتكتفي بإصدار بيانات تندد بتصرفات النظام السوداني، وحتى هذه لم تجد آذانا صاغية من قبل جهات خارجية درجت على التفاعل معها.

جاءت الضربة القوية للمعارضة السودانية عقب غلق محيط الحركة الإقليمي في وجهها، وهي التي كانت نواتها الرئيسية تنطلق من السودان وتتمركز في إثيوبيا وإريتريا وكينيا ومصر وجنوب السودان، وكلها دوائر استطاعت الخرطوم إعادة التموضع معها بطريقة إيجابية. وأحد أهم التجليات الظاهرة وقف الحرب التقليدية التي كانت المعارضة في هذه الدول وقودها الرئيسي.

أقام السودان علاقات جيدة مع إثيوبيا، ويعتزم الاستفادة من الانفتاح عليها، تنمويا وسياسيا، ضمن روزنامة إقليمية واعدة، وفكك العُقد التي تراكمت مع إريتريا بسبب الحرب بالوكالة من خلال المعارضة، وضاعف من توطيد العلاقات مع كينيا، على غرار التفاهمات السابقة التي توصل إليها مع تشاد، وأغلقت الجبهة الغربية أمام المعارضة المسلحة.

وأخيرا، قادت الخرطوم معركة السلام الطويل في جنوب السودان بدلا من الحرب، ورعت اتفاقا تاريخيا في 5 أغسطس الماضي بين الرئيس سيلفا كير ونائبه الأول السابق رياك مشار، أصبح النواة التي ينطلق منها الهدوء والاستقرار في الجنوب..

بموجب هذا الاتفاق بدأت تطوى إحدى الصفحات القاتمة بين الخرطوم وجوبا، وكان دعم المعارضة على الجانبين أهم أوراقها السياسية والعسكرية، وعندما تغلق هذه الصفحة يكون السودان تمكن من السيطرة على أخطر الجبهات التي كانت مفتوحة أمام معارضيه المسلحين، في جنوب كردفان والنيل الأزرق وإقليم دارفور، لأن دولة جنوب السودان كانت الداعم الأول لهؤلاء، لذلك كان مقال ياسر عرمان الأخير معبرا عن ضرورة العودة إلى الداخل، ما يعني تزايد فرص عدم الاعتماد على الحلول العسكرية.

ازدهرت الخيارات المسلحة لدى المعارضة السودانية جراء الدعم الذي توافر لها من خلال البيئة الإقليمية الرخوة، ومحاولات بعض الدول تصفية حساباتها السياسية دون التورط مباشرة في نزاعات وصراعات، فجرى اللجوء إلى دعم قوى المعارضة وتوفير أنواع مختلفة من الدعم اللوجيستي لأجنحتها المسلحة.

انحسار الحركة الإقليمية

انعكس تحسن علاقات السودان مع مصر على المعارضة أيضا، وكان الكثير من قياداتها يجدون في القاهرة ملاذا آمنا طوال السنوات الماضية، ربما لم تقدم مصر دعما ظاهرا لها، لكن مجرد وجودها على أرضها حمل دلالات على أنها تحظى برعايتها الضمنية، إلى أن أصبح الوجود الرمزي للمعارضين مرفوضا من جانب الخرطوم، وهو ما اضطر القاهرة إلى منع دخول الصادق المهدي مثلا، وإنهاء فترة ممتدة عاش فيها آمنا داخل مصر، ويتحرك منها وإليها كيفما شاء.

كانت هذه واحدة من الاختراقات الواضحة التي حققها النظام السوداني منذ حوالي ثلاثة أشهر، وقد تكون هذه هي المرة الأولى التي يجري التعامل فيها مع المهدي بهذه الطريقة، ما يشير إلى أن حقبة المعارضة السودانية في الخارج يتم إغلاقها تدريجيا.

هل ستقبل المعارضة بما رفضته سابقا

يأتي انحسار مجال الحركة الخارجية في وجه المعارضة في سياق عام أشمل وأهم، يتعلق بقدرة النظام السوداني على نسج علاقات متينة مع قوى كثيرة في المجتمع الدولي، على رأسها الولايات المتحدة، التي رفعت عقوبات اقتصادية كانت مفروضة على الخرطوم منذ سنوات، ويخوض الجانبان حوارات جادة لرفع اسم السودان من على قوائم الإرهاب الأميركية، وهي خطوة مهمة تكمل ما سبقها من تحركات تريد أن يكون السودان رقما مسالما في المنطقة.

يمثل هذا التطور أحد المعالم التي تؤكد أن النظام السوداني الذي كان يئن تحت وابل من الضغوط الخارجية، نجح في التخلص من تركة أثقلت كاهله طوال سنوات طويلة، وبدأ يعيد صياغة مفاهيمه بما يضبطها على موجة دولية لم تعد تتقبل وجود قوى مشاغبة أو معطلة لبعض الأفكار المطلوب ترويجها في المنطقة، وتمنح الجانب التنموي بعدا خاصا.

من هنا قلصت الخرطوم الكثير من توجهاتها الإسلامية، وهي واحدة من الاستدارات التي قامت بها لطمأنة القاهرة وكسب ودّها، والأهم أنها تحمل رسائل سياسية لجهات وضعت السودان في خندق مغلق مع الجماعات الإسلامية المتطرفة والدول الداعمة لها، خاصة الراغبة في التأثير على مجريات الأحداث في البحر الأحمر.

التقط السودان فكرة التغيرات الحاصلة في الإقليم وبدأ يتعامل معها ويطوعها وفقا لظروفه الداخلية، وعلى أساسها قام بعملية إحلال وتجديد في بعض القيادات المعروفة بانتمائها إلى الحركة الإسلامية، وأوقف تصورات سلبية عدة حيال جنوب السودان ومع إريتريا ومصر وقبلهما إثيوبيا، وأخذ يتجاوب مع مكونات قد تجعله محورا مهما يمكن الاستفادة منه عند تدشين بعض المشروعات التنموية العابرة للدول الأفريقية.

إذا كان النظام السوداني نزع الكثير من الأدوات التي كانت سيفا مسلطا على رقبته من قبل معارضيه، فكيف يستطيع هؤلاء مناطحته، وهم لا يملكون وسائل قوة حقيقية على الأرض؟ وكيف يتسنى لهم التحريض إقليميا ودوليا عليه، وهي واحدة من أهم الوسائل التي جعلت للمعارضة السودانية جاذبية سياسية في الخارج على مدار السنوات الماضية؟

> المعارضة في السودان لم تنتج نسلا حيويا يستطيع مواصلة المسيرة، بينما جدد النظام في نخبه، ما وفر له قدرا من العافية التي تمكنه من الصمود ومواجهة العواصف الطارئة

اختصر الصادق المهدي وياسر عرمان الطريق بعد أن قطعا مسافات طويلة من المناكفة عديمة الجدوى، ويبدو أن القراءة السليمة للمعطيات الدولية وفرت لهما فرصة جيدة للمصارحة مع النفس، لأن الضجيج الذي مارسته المعارضة في أثناء إقامة قياداتها بالفنادق الفخمة في عواصم مختلفة، فقد أو على وشك أن يفقد، مردوديته السياسية، لذلك جاء قرار العودة بالمعارضة من داخل البلاد، عسى أن تستطيع قياداتها الحصول على مكانة شرفية، لأن هذه المناكفة لم تعد مضمونة في ظل مواصلة التكسير في عظام السودان من الخارج.

يأمل المهدي وعرمان وأمثالهما أن يكون حظهم أفضل هذه المرة، لأن التشبث بمواقف صارمة وفرض شروط قاسية تجاه التعامل مع النظام السوداني لن يكون لهما مكان حاليا أو مستقبلا، بعدما نجحت الخرطوم في تطبيع علاقاتها مع قوى إقليمية ودولية عديدة، وربما تنتج المبادرة التي يحملها ثامبو مبيكي شيئا ملموسا يحفظ للمعارضة الحقيقية ماء الوجه.

تمكن الرئيس البشير ورفاقه من تشويه صورة غالبية قوى المعارضة عندما استقطبوا بعضها وأبعدوا آخرين، كلما أرادوا ذلك، وتحول الحوار السياسي إلى هواية أدت إلى إجادة التعامل معهم وعدم الاستجابة لمطالبهم في غالبية المحطات التي اضطر الطرفان إلى الجلوس معا على مائدة واحدة في أي من العواصم المجاورة.

إذا لم تستفد المعارضة من مبادرة مبيكي، وتحولها إلى فرصة ستتلاشى، ومن يراجع الأسماء والرموز التي اعتمدت عليها المعارضة على مدار العقود الثلاثة الماضية يجدها لم تختلف كثيرا، والتغير الذي يمكن ملاحظته يتعلق بظهور بعض الأبناء بجوار الآباء، فلم تنتج المعارضة نسلا حيويا يستطيع مواصلة المسيرة، بينما جدد النظام في نخبه، ما وفر له قدرا من العافية التي تمكنه من الصمود ومواجهة العواصف الطارئة.

يجبر العدّ التنازلي للمعارضة قياداتها على قبول ما تم رفضه سابقا، وتبقى المشكلة تتعلق بحجم التنازلات التي يمكن أن يقدمها النظام، وهو الذي رفض في أوج ضعفه تقديمها، فما بالنا وهو يدرك أنه قوي والفرصة مواتية أمامه بأقل صخب إقليمي ودعم دولي.

سوار الذهب واحد

فاروق يوسف
كاتب عراقي

❏ رجل فذ واستثنائي لن يتكرر في تاريخنا العربي المعاصر. السوداني الذي دخل التاريخ بأريحية من جهة الزهد فيه وإنكاره وعدم الإنصات لأبواقه المثيرة. لقد قطع صلة بلاده الكئيبة والقاسية بالماضي غير أنه ترك للآخرين مهمة صناعة الحاضر والمستقبل وهو ما فشلوا فيه بامتياز.

عبدالرحمن سوار الذهب الذي توفي مؤخرا هو الرجل الذي أطاح بنظام جعفر النميري عام 1985 في استجابة منه لنداء الشعب الذي استعبده النميري بمزاجه المتقلب. أنهى الرجل حقبة عبثية من غير أن يعد ببقائه منقذا ومخلصا.

اعتبر ظهوره على المسرح السياسي الذي حدث من غير أي تمهيد مجرد فاصلة بين مرحلتين، تمنى أن تكونا مختلفتين. التزم بالوقت الذي قرره لنفسه رئيسا خامسا لجمهورية السودان. سنة واحدة فقط، لم يقبل بتمديدها. غادر يومها السلطة ونزع رتبته العسكرية.

ترك سوار الذهب لأبناء وطنه حرية أن يديروا المرحلة التي انمحت فيها آثار الحكم الفردي ليبدأوا بتقرير مصيرهم بأنفسهم. هل كان على يقين من أن الحياة السياسية في بلده هي على درجة من النضج التي تؤهلها لصناعة قدر ديمقراطي مباغت؟ أم أنه تخلى عن الحكم ليأسه من إمكانية أن يدير حياة سياسية بنيت على أساس عبثي مادته المصالح الحزبية الضيقة وغوايات السلطة؟

هل كان سوار الذهب خائفا من إدارة بلد، تتوزع مشكلاته بين الأديان والأعراق وتتجاذبه قوتا العروبة والأفرقة، الإسلام والمسيحية، بحيث يكون الفشل مضمونا من غير سلطة مستبدة، هو من أسقطها؟

تلك أسئلة لم يجب عليها الجنرال الذي قرر الذهاب إلى غيبته.

في كل المراحل التي تلت غيابه لم يدل سوار الذهب بتصريح سياسي، يستشف من خلاله شيء من الرغبة في أن يلتفت إليه أهل الحكم أو أهل المعارضة، كونه الرجل الذي صنع المعجزة.

توارى كما لو أنه لم يكن الصانع الماهر لفيض التحولات التي غمرت السودان بجمل حسن الترابي الطويلة التي ما هي إلا متضادات لغوية تضمر الكثير من الشرور التي سيدفع السودانيون ثمنها على يد المشير عمر حسن البشير الذي قرر أن يقتفي أثر خطوات سلفه جعفر النميري من غير أن يطمئن أو يغمض عينيه خشية أن تسلمه الغفلة إلى سوار ذهب جديد.

اليوم ليس السودان أحسن حالا مما كان عليه قبل أكثر من ثلاثين سنة، يوم أنهى سوار الذهب حقبة النميري إذا لم تكن أسوأ حالا. ما فعله الرجل عن كرم لم تقابله الأحزاب المتصارعة إلا بفظاظة سلوك عبرت من خلالها عن أسوأ ما ينطوي عليه الصراع الفئوي من رغبة في الانتقام من الآخر وتصفيته وحرمانه من حقوقه في التعبير.

> اليوم السودان ليس أحسن حالا مما كان عليه قبل أكثر من ثلاثين سنة، يوم أنهى سوار الذهب حقبة النميري. ما فعله الرجل عن كرم لم تقابله الأحزاب المتصارعة إلا بفظاظة عبرت من خلالها عن أسوأ ما ينطوي عليه الصراع الفئوي من رغبة في الانتقام

حين انقلب عمر حسن البشير عام 1989 على الحكومة المنتخبة برئاسة الصادق المهدي فإنه انقض على حلم سوار الذهب في قيام دولة جديدة في السودان تسودها قيم ديمقراطية. غير أن المفاجئ أن سوار الذهب نفسه كان قد عبر غير مرة على انفتاحه على حكومة البشير، وهو تصرف لا يمكن فهمه واستيعاب أسبابه إلا من خلال التعرف على الظروف التي أدت إليه.

وعلى العموم فإن هفوة من ذلك النوع لن تؤثر على مكانة الرجل الذي عُرف بالتزامه الديني في التاريخ. لقد صنع وحده لحظة تاريخية لا يمكن أن تتكرر، مقارنة بما رأيناه من تشبث حكام عرب بالسلطة كما لو أنهم أصيبوا بلوثتها باعتبارها مرضا مزمنا لا خلاص منه إلا عن طريق الموت.

في الرابعة والثمانين من عمره توفي عبدالرحمن سوار الذهب على سريره، بعد أن رأى بعينيه مصائر طغاة أعمتهم السلطة عن رؤية الحقيقة.

بكين عدو افتراضي لواشنطن على جميع الجبهات

معدات الفضاء وتكنولوجيا معلومات الجيل القادم هدف الجواسيس الصينيين

الصينيون يترصدون أحدث التكنولوجيات الأميركية

❑ **واشنطن** – في العاشر من شهر أكتوبر، سلمت بلجيكا ضابط مخابرات صيني إلى الولايات المتحدة بعدما أدانته محكمة في أوهايو بتهمة "تجسس اقتصادي اشتمل على سرقة أسرار تجارية من شركات طيران أميركية رائدة". اعتقلت السلطات البلجيكية شو يان جون، وهو نائب مدير قسم المكتب السادس في وزارة أمن الدولة الصينية في إقليم جيانغسو في الأول من شهر أبريل في بروكسل، وذلك بناء على أمر اعتقال صادر ومرتبط بشكوى جنائية أميركية.

ويتابع سكوت ستيوارت محلل الشؤون الاستخباراتية والأمنية في مركز ستراتفور، سير هذه القضية مشيرا إلى أنه على الرغم من إلقاء القبض على الجاسوس الصيني، فإن المخاطر الكبرى تعني أن القبض عليه لن يفعل الكثير في ما يتعلق بإيقاف التهديد المستمر الذي يمثله التجسس الصناعي.

وصرح جون ديميرس مساعد المدعي العام لقسم الأمن القومي بوزارة العدل بأن "هذه القضية ليست حادثة منعزلة.. إنها جزء من سياسة اقتصادية شاملة لتنمية الصين على حساب الولايات المتحدة". وفي الفترة الأخيرة، تصاعد التوتر بين واشنطن وبكين بسبب القضايا الجيوسياسية والتوترات التجارية والقرصنة والتجسس على الشركات.

وصنف نائب الرئيس الأميركي مايك بنس، الصين عدوًا افتراضيًا للولايات المتحدة على جميع الجبهات، مشيرا إلى أن "ما يفعله الروس يتضاءل مقارنة بما تقوم به الصين في البلاد". وقال بيل بريستاب مساعد مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية "إن التسليم غير المسبوق لضابط مخابرات صيني، يكشف عن الإشراف المباشر للحكومة الصينية على التجسس الاقتصادي ضد الولايات المتحدة".

قائمة تسوق الصين

يكشف إلقاء القبض على عميل صيني في دولة ثالثة، ثم تسليمه بعد ذلك إلى الولايات المتحدة، عن التهديد الذي يمثله التجسس الصناعي. وفي نفس الوقت، فإن نشر الشكوى ولائحة الاتهام أيضا يقدمان لمحة نادرة ومثيرة للاهتمام لمهارات التجسس الصينية، كما يقدمان أيضا نظرة ثاقبة إلى حد ما في ديناميكيات أساليب التجسس الصناعي في تجنيد الاستخبارات البشرية.

وتجري معظم هذه العملية الآن عن طريق الإنترنت، على عكس العصور السابقة، عندما كان يتطلب الأمر تفاعلا مباشرا في موقع الحدث، وتطوير وطرح عميل. وما هو أكثر واقعية هو أن القضية ترسل إشارة واضحة إلى بكين بأن واشنطن وحلفاءها جادون حيال مواجهة التهديد الدائم الذي يمثله التجسس الصناعي الصيني وأنهم قادرون على اتخاذ إجراءات حاسمة.

ويقول ستيوارت إنه مثل جميع قضايا التجسس، فإن قضية شو بدأت بقائمة تسوق معلومات أصدرت السلطات الصينية توجيهاتها إلى وزارة أمن الدولة لجمع هذه المعلومات. وفي حالة وكالات التجسس الصينية مثل وزارة أمن الدولة، فإن هذه القائمة لم تشتمل فقط على معلومات مخابراتية تتعلق بالتطورات السياسية والعسكرية في البلدان محل الاهتمام، لكن اشتملت أيضا على تقنيات ترغب الصين في الحصول عليها من شركات أجنبية.

وكثيرا ما أظهرت بكين جسارة في محاولاتها للحصول على تقنية. ويستحضر ستيوارت أوراق قضية مماثلة تتعلق ببرنامج بحوث وتطوير التكنولوجيا العالية الذي تديره منذ فترة طويلة وزارة العلوم والتكنولوجيا الصينية والمعروف أيضا باسم برنامج 863. وفر البرنامج الإرشاد والتمويل للاستحواذ على أو تطوير تكنولوجيا متعلقة بمجالات المعلومات، والأحياء والزراعة والصناعة والطاقة ومجالات أخرى ذات "تأثير مهم على تعزيز جوانب القوة الوطنية الشاملة في الصين".

لكن حتى مع تحدث موقع الوزارة عن تطوير محلي لمثل هذه الأنواع من التكنولوجيا، فإن الجوانب العملية كانت تفرض ولفترة طويلة الحصول على هذه التكنولوجيا ببساطة بطريقة أرخص وأسرع، وبأي طريقة ممكنة، إذا ما اقتضت الحاجة.

المحرك لتجنيد الأصول

في شهر مايو من عام 2015، أعلنت الحكومة الصينية عن خطة تطوير مدتها عشر سنوات أطلقت عليها اسم "صُنع في الصين". تستهدف هذه الخطة التكنولوجيات المتطورة، وتحديدا معدات الطيران والفضاء والمواد الجديدة وتكنولوجيا معلومات الجيل القادم وآلات التحكم الرقمي الراقية والإنسان الآلي وأدوات الهندسة البحرية وتصنيع السفن البحرية عالية التقنية ومعدات السكك الحديدية المتقدمة، وتكنولوجيا توفير الطاقة والحافلات الجديدة والأدوات الكهربائية وأدوات الطب ذات التكنولوجيا المتقدمة والطب الحيوي، بالإضافة إلى التكنولوجيا والآلات والمعدات الزراعية.

في تقرير آخر لمركز ستراتفور حول السياسات الصينية، يذكر المحلل ماثيو بي أن سياسة الصين في تفويض نقل التكنولوجيا في مشاريع مشتركة مع شركات أميركية واحدة من الطرق المثيرة للجدل التي تحصل بها الصين على التكنولوجيا التي تريدها، لكن بالنظر إلى قضية شو، يرى ستيوارت أن هناك طريقة أخرى مثيرة للجدل ألا وهي التجسس. وطبقا للائحة الاتهام، فقد حاول شو سرقة تصميمات لتكنولوجيا جهاز محرك الطائرة المجمع (والذي تحتاجه الصين لتنأى بنفسها عن روسيا) من "الشركة أ" والتي عرفتها تقارير إعلامية على أنها شركة جنرال إليكتيريك آفييشن، ويبدو هذا منطقيا مع الوضع في الاعتبار أن القضية مرفوعة في مكتب المدعي العام الأميركي للمقاطعة الجنوبية في ولاية أوهايو.

وكجزء من مرحلة الاكتشاف الأولية لعملية استخدام الاستخبارات البشرية، من المرجح أن شو عمل على جمع قائمة من الأشخاص الذين يستطيعون الوصول إلى المعلومات قبل تقييم أي من هؤلاء الأشخاص قد يكون أكثر تقبلا للتجنيد.

وينقل ستيوارت عن بعض التقارير أن شو عمل مع نائب مدير جامعة نانجينغ للملاحة الجوية والفضائية لتوجيه الدعوة إلى "الموظف رقم 1" وهو مهندس في الشركة أ، للمشاركة في تبادل في الجامعة. وتشير المزاعم إلى أن شو أرسل بريدا إلكترونيا للموظف رقم 1 وتنكر في شكل "المتآمر رقم 1".

وقبل الموظف رقم 1 العرض وسافر إلى الصين لتقديم عرضه في جامعة نانجينغ للملاحة الجوية والفضائية في الثاني من شهر يونيو من عام 2017. وتحملت الجامعة تكاليف سفر المهندس ومنحته مبلغا قيمته 3500 دولار أميركي نقدا كرسوم كونه متحدثا.

وخلال الرحلة، قدم نائب مدير جامعة نانجينغ للملاحة الجوية والفضائية، والمدرج في لائحة الاتهام على أنه المتآمر رقم 1، الموظف رقم 1 لشو، والذي كان يعمل تحت اسم مستعار هو قو هوي، وزعم أنه من جمعية النهوض بالعلوم والتكنولوجيا في إقليم جيانغسو، وهي هيئة تابعة لجامعة نانجينغ للملاحة الجوية والفضائية.

وقام شو بالخروج مع الموظف رقم 1 لتناول الوجبات قبل وبعد تقديم عرضه، وقال للمهندس الأميركي إن جمعية النهوض بالعلوم والتكنولوجيا في إقليم جيانغسو هي التي دفعت رسوم كونه متحدثا. وشرع شو سريعا في مرحلة تطوير عملية تجنيد الاستخبارات البشرية، حيث واصل الاتصال بالمهندس بعدما عاد الأخير إلى الولايات المتحدة.

وخلال مراسلاتهما المستمرة، ضغط شو على الموظف رقم 1 للحصول على بيانات تقنية في حين كان يحمل إغراء المشاركة في إلقاء كلمة أخرى في الصين والحصول على مبلغ نقدي آخر. وفي حين طلب شو بشكل واضح معلومات حساسة، مما يمثل تحولا إلى مرحلة الترويج لعملية تجنيد المخابرات البشرية، قال الموظف رقم 1 بشكل قاطع إنه لا يستطيع إرسال مثل هذه المعلومات من الحاسب الآلي الخاص بالشركة، مما حفز العميل الصيني على تشجيع الموظف رقم 1 لإرسال المعلومات المطلوبة من حساب بريد إلكتروني آخر. كما ناقش شو كيف يمكن له هو والموظف رقم 1 إقامة علاقة مستمرة، وألمح شو إلى صفقة لتبادل المعلومات مقابل الحصول على مبلغ من المال.

واستمر شو في التواصل مع المهندس والضغط عليه لإرسال المزيد من المعلومات الحساسة. وأرسل الموظف رقم 1 لشو نسخة من عرض الشركة، وكان هذا العرض يحمل شعار الشركة، بالإضافة إلى تحذير بأن هذه المعلومات تم تسجيل ملكيتها، والتي استلمها شو بكل حماس.

وفي وقت لاحق، أرسل شو إلى الموظف رقم 1 قائمة معلومات مطلوبة، وطالب المهندس الأميركي بتحديد أي من هذه المواضيع يُلم به. ورد الموظف رقم 1 قائلا إن بعض هذه المواضيع من الأسرار التجارية للشركة، مما جعل شو يرد بأنه يمكنهم مناقشة هذا الأمر وجها لوجه.

كما طلب شو من الموظف رقم 1 أن يقدم له نسخة من دليل ملفات القرص الصلب من جهاز الكمبيوتر المحمول (اللابتوب) الخاص به والخاص بالشركة. وقدم الموظف رقم 1 نسخة على النحو المطلوب، لكن بعدما قامت الشركة بمحو المواد الحساسة الموجودة عليه وصادقت على نشرها وأشارت إلى أنه كان ينبغي على الموظف رقم 1 إبلاغ شركته والسلطات الأميركية قبل الوصول إلى هذه المرحلة في العملية بكثير، وبذلك فإنهم كانوا جميعا يخدعون شو جنبا إلى جنب.

وبحصوله على عرض الشركة ودليل الملفات، يبدو أن شو اعتقد أنه استطاع تجنيد الموظف رقم 1 بنجاح، مما جعل شو يطلب المزيد من المهندس الأميركي: جميع المحتويات الموجودة على القرص الصلب والكمبيوتر المحمول الخاص به والخاص بالشركة. وحيث أنه لم يكن مسموحا للموظف رقم 1 إحضار الكمبيوتر المحمول الخاص به إلى الصين، فقد رتب الاثنان لعقد لقاء في أوروبا خلال رحلة يقوم بها الموظف رقم 1 كانت مقررة سلفا، لكن بدلا من التوجه إلى بروكسل للحصول على الكنز الدفين من المعلومات السرية، فقد وقع مباشرة في عملية دقيقة.

وكانت وكالات المخابرات تنظر منذ فترة طويلة إلى المؤتمرات التقنية على أنها أرض خصبة للصيد من أجل تجنيد عملاء يمكنهم الوصول إلى معلومات مخابراتية تقنية. وعلاوة على زيارة المؤتمرات فقط التي ينظمها آخرون، فعادة ما تستضيف وكالات مثل وزارة الأمن الداخلي في الصين مؤتمرات وبرامج تبادل تقني مستخدمة مؤسسات مستترة، بما في ذلك جماعات، ومؤسسات تجارية ومراكز بحثية.

تجنيد العملاء

بالإضافة إلى توجيه الدعوة إلى جماعات لحضور مؤتمرات، عادة ما كان العملاء السريون يوجهون الدعوة إلى أشخاص ذوي صلة ليقوموا بزيارات فردية إلى مؤسسات مستترة. وكانت المخابرات الصينية، على سبيل المثال، قد جندت كيفن مالوري بعدما وجهت أكاديمية العلوم الاجتماعية بشنغهاي الدعوة إلى ضابط المخابرات المركزية الأميركية (سي.آي.إيه) السابق للسفر إلى الصين لعرض وجهة نظره بشأن قضايا حالية في مقابل الحصول على مكافأة. وفي النهاية، ألقت السلطات الأميركية القبض على مالوري، الذي اعترف بالتجسس في شهر يونيو. وفي حين أن هيئات المخابرات الصينية تقوم بعمل إضافي في إطار جهودها التي تبذلها للحصول على تقنيات تم تحديدها في برنامج "صُنع في الصين 2025"، فهذه الهيئات ليست وحدها هي التي تقوم بهذا. فقد وضعت روسيا قائمتها التي تتألف من 77 تقنية أجنبية تأمل في تطويرها محليا بدلا من الحصول عليها من مصادر أجنبية.

> الجاسوس الصيني شو حاول سرقة تصميمات لتكنولوجيا جهاز محرك الطائرة المجمع (والذي تحتاجه الصين لتنأى بنفسها عن روسيا) من «الشركة أ» والتي عرفتها تقارير إعلامية على أنها شركة جنرال إليكتيريك آفييشن

وفي عصر المعلومات، أصبح حذف كميات هائلة من المعلومات لأي شخص الآن أكثر سهولة من ذي قبل أو أن يصبح تهديدا داخليا متقدما ومستمرا. ولهذا السبب، أصبح من المهم جدا بالنسبة لأي مؤسسة الاحتفاظ ببرامج أمنية قوية لحماية نفسها. ولا تشتمل مثل هذه البرامج على أدوات للحد من مثل هذه التهديدات على الإنترنت فقط، لكن تشتمل أيضا على برامج تدريب لتعليم الموظفين كيف يتم استغلال التجسس البشري وما الذي يمكنهم فعله إذا ما تم التواصل معهم.

وبناء على الأحداث التي شهدتها قضية شو، يخلص ستيوارت إلى أن الموظف رقم 1 قد تلقى تدريبا، وكان يتمتع بوعي بالطبيعة الحساسة لمشاريعه وأهميتها بالنسبة لهيئات المخابرات الأجنبية، وكان يعرف ما الذي ينبغي عليه فعله إذا ما تواصل معه أحد.

وفي سعيها وراء هذه القضية، أخطرت الولايات المتحدة الصين أنها ستعمل على كبح جماح أنشطة التجسس الصناعي لبكين. وعلى الرغم من ذلك، فإن وكالات المخابرات الصينية مثل وزارة أمن الدولة تخضع لضغط هائل من قبل قادتها للحصول على تقنيات معينة، مما يعني أنه من غير المرجح وبشكل كبير أن توقف المحاكمات سعي الصين المحموم للحصول على التقنية.

لكن بسبب تسلسل الأحداث في قضية شو، ففي المرة القادمة التي يتصل فيها العملاء الصينيون بموظف في الشركة أ يمتلك معلومات حساسة، من المرجح أن يكونوا أكثر حرصا نوعا ما، خشية أن يجدوا أنفسهم وقد تم إلقاء القبض عليهم.

سكوت ستيوارت

> من المهم لأي مؤسسة الاحتفاظ ببرامج أمنية قوية تشتمل على أدوات للحد من التهديدات على الإنترنت، وأيضا برامج تدريب لتعليم الموظفين كيف يتم استغلال التجسس البشري

تكنوقراطي قادم من خارج مراكز القوى القبلية والسياسية

معين عبدالملك

فيلسوف معماري على رأس الحكومة اليمنية

صالح البيضاني

❏ بقرار مفاجئ أقال الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي الاثنين الماضي رئيس حكومته أحمد عبيد بن دغر، وبخلاف كل التوقعات، أتى بشخصية شابة من الظل، لتتبوأ هذا المنصب.

عيّن الرئيس وزير الأشغال العامة والطرق في حكومة بن دغر، معين عبدالملك رئيسا للوزراء، مضمنا قراره نقطتين غير مألوفتين في تاريخ السياسة اليمنية المعاصرة وتشكيل الحكومات، فلم يكلف رئيس الحكومة الجديد بتشكيل حكومته كما هو متبع عادة، إضافة إلى احتواء القرار على فقرة أخرى ملغومة من خلال الإشارة إلى حيثيات إقالة رئيس الحكومة أحمد عبيد بن دغر التي استوجبت إحالته إلى التحقيق.

> أهم الملفات التنموية في اليمن يلتصق باسم معين عبدالملك خلال تعيينه نائبا لرئيس لجنة التنسيق والمتابعة للمشاريع التنموية والتي تتولى التنسيق والإشراف على «برنامج إعمار اليمن» المدعوم من الحكومة السعودية والذي تم تدشينه من محافظة أرخبيل سقطرى في مايو 2018 ووصفه عبدالملك حينها بأنه محطة فارقة لمختلف المحافظات اليمنية المتضررة

ووفقا لديباجة القرار الصادر فقد تمت إقالة بن دغر من منصبه "نتيجة للإهمال الذي رافق أداء الحكومة خلال الفترة الماضية في المجالات الاقتصادية والخدمية، وتعثر الأداء الحكومي في تخفيف معاناة أبناء الشعب وحلحلة مشكلاته وتوفير احتياجاته وعدم قدرتها على اتخاذ إجراءات حقيقية لوقف التدهور الاقتصادي في البلد، وخصوصاً انهيار العملة المحلية، ولفشلها في اتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة كارثة إعصار لبان بمحافظة المهرة وما أصاب أبناء المهرة جراء هذه الكارثة دون تحرك فعلي من الحكومة".

فور تعيين رئيس الوزراء اليمني الجديد تداولت وسائل الإعلام اليمنية والعربية تساؤلات عن خلفيات هذا القرار، باعتبار أنّ عبدالملك لم يكن معروفا من قبل على نطاق واسع حتى في أوساط المشهد السياسي اليمني، والسبب في ذلك يعود إلى عدم ممارسته أي دور سياسي قبل العام 2013 عندما خاض أول تجربة سياسية له كعضو في مؤتمر الحوار الوطني الشامل ممثلا لشباب الثورة التي اندلعت ضد الرئيس اليمني الراحل علي عبدالله صالح في العام 2011 وكان معين عبدالملك أحد الناشطين فيها، إلى جانب عدد من النشطاء والشباب اليمنيين الذين أصبحوا لاحقا قيادات فاعلة في بنية الحكومة الشرعية.

وعلى الرغم من حالة الجدل التي دارت عن الانتماء السياسي والحزبي لعبدالملك والذي اتهمه البعض بالقرب من تيار الإخوان المسلمين نظرا لمشاركته في احتجاجات 2011 التي كان الإخوان حجر الزاوية فيها، فإن فريقا آخر تحدث عن انتمائه للحزب الناصري بالنظر لانتماء معظم أفراد أسرته لهذا التيار القومي، لكن المؤكد أن عبدالملك يعد واحدا من المحسوبين على تيار عريض نشأ بعد العام 2011 ويتواجد في مختلف الأحزاب والمكونات السياسية اليمنية وهو تيار "الربيع العربي" الذي نشأ في ساحات الاعتصام.

ويرى العديد من المراقبين للمشهد اليمني أن تعيين عبدالملك هو مؤشر على إصرار تيار قوي ونافذ محيط بالرئيس هادي يقوده سفير اليمن في واشنطن أحمد عوض بن مبارك على المضي قدما في تغيير بنية الدولة في اليمن والإطاحة برموز النظام السابق.

ينحدر عبدالملك من منطقة صبر في محافظة تعز التي ينتمي إليها قطاع عريض من قادة العمل السياسي والحزبي في اليمن، ويعد والده عبدالملك سعيد الوحش واحدا من الوجوه البارزة في التنظيم الناصري، كما عمل سفيرا في عدد من الدول العربية من بينها قطر.

ائتلاف الأكاديميين

درس عبدالملك الهندسة المعمارية حتى حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة في "العمارة الإسلامية ونظريات التصميم". وانخرط في مجال تخصصه كمستشار في مجال التخطيط والعمران، قبل أن يتجه إلى العمل الأكاديمي كأستاذ مساعد في كلية الهندسة بجامعة ذمار ومحاضر في مناهج التصميم والتخطيط الإقليمي.

في العام 2011 انضم عبدالملك إلى الاحتجاجات المطالبة بإسقاط نظام الرئيس صالح، رفقة مجموعة من الأكاديميين الذي أنشأوا ائتلافا خاصا بهم، وكان على رأس قيادات هذا الائتلاف سفير اليمن الحالي في واشنطن والأمم المتحدة أحمد عوض بن مبارك الذي كان له دور حاسم في دعم المسيرة السياسية لمعين عبدالملك في مرحلة ما بعد صالح.

نشط عبدالملك في ساحات الاحتجاج وساهم في صياغة ما عرف بوثيقة "مطالب الثورة" التي تم تعميمها على كافة ساحات الاحتجاج في اليمن، كما شارك مع عدد من الأكاديميين اليمنيين في صياغة وثيقة أخرى عرفت برؤية الشباب المستقل لليمن عام 2030.

المبتعد عن الإثارة السياسية

ويعتقد العديد من المهتمين بالشأن اليمني أن مرحلة الاحتجاجات الثورية التي انخرط فيها عبدالملك حفزت خبراته السياسية بعد أن كان كل نشاطه مقتصرا على مجاله المهني والأكاديمي، وتهيأت له الفرصة بعد ذلك للمشاركة في العديد من المؤتمرات التي قدم فيها رؤيته كممثل للشباب حول السياسات والتخطيط الاستراتيجي، وهو المجال الذي برع فيه كما يبدو وقدم حوله الكثير من أوراق العمل الخاصة برسم السياسات والاستراتيجيات، وتقول سيرته الذاتية إنه شارك في عدة ورش عمل وندوات تتعلق بصياغة مشروع قانون الهيئة الوطنية المستقلة لحقوق الإنسان في اليمن ووضع الهيئات الوطنية في الدساتير، والقوانين المنظمة، ومستويات الحكم والإدارة في الدول الاتحادية والنصوص التي تتعلق بها في الدساتير.

أما نقطة التحول المحورية على الصعيد السياسي فقد كانت بعد اختياره عضوا في مؤتمر الحوار الوطني ممثلا عن الشباب المستقل وانتخابه رئيسا لفريق استقلالية الهيئات الوطنية والقضايا الخاصة في المؤتمر، وهو الموقع الذي هيأه إلى الانضمام لاحقا لعدد من أبرز الفرق واللجان المنبثقة عن مؤتمر الحوار، حيث كان عضوا في لجنة التوفيق وعضوا في لجنة تحديد الأقاليم وعضوا في لجنة صياغة الدستور ومقررا لها.

شارك عبدالملك في العديد من الفعاليات والأنشطة التي عملت على التعريف بوثيقة مخرجات الحوار الوطني الشامل ورؤية الدستور القادم في عدد من المحافظات اليمنية.

وتولى واحدا من أهم الملفات التنموية في اليمن من خلال تعيينه نائبا لرئيس لجنة التنسيق والمتابعة للمشاريع التنموية والتي تتولى التنسيق والإشراف على "برنامج إعمار اليمن" المدعوم من الحكومة السعودية والذي تم تدشينه من محافظة أرخبيل سقطرى في مايو 2018 ووصفه عبدالملك حينها بأنه محطة فارقة لمختلف المحافظات اليمنية المتضررة.

اقتصر عمل معين عبدالملك طوال مسيرته المهنية كمهندس وأكاديمي على الجوانب المتعلقة بتخصصه العلمي، حيث عمل مستشارا لعدد من المؤسسات الخاصة والحكومية من أهمها هيئة تنمية وتطوير الجزر اليمنية. أما أول منصب حكومي يتبوأه فقد كان في عام 2016، عندما تم تعيينه نائبا لوزير الأشغال العامة والطرق، قبل أن يتقلد حقيبة الوزارة، أواخر العام ذاته. وقد تم اختياره في الوفد الحكومي لجولات المشاورات التي عقدت في جنيف، وبيبل، والكويت.

ويرى العديد من المتتبعين لسيرة عبدالملك أن شخصيته وأداءه السياسي خلال الفترة الماضية اتسم بالابتعاد عن إطلاق التصريحات المثيرة للجدل وإضفاء طبيعة تكنوقراطية على عمله الحكومي، وهي الميزة التي جعلته خارج مربع الصراعات السياسية المستعرة في معسكر الشرعية، غير أن تلك الصفة في ذات الوقت حملت في طياتها جانبا سلبيا يتمثل في عدم وجود مكون سياسي يمكن أن يدعم طموحات الرجل الشخصية والخطوات الإصلاحية التي من المنتظر أن يقوم بها في وسط مشحون بالاصطفافات السياسية والحزبية وخصوصا أنه جاء عقب رئيسين للحكومة الأول مدعوم من قطاع عريض من الجنوبيين "خالد بحاح" والآخر سياسي مخضرم وقيادي بارز في حزب المؤتمر الشعبي العام "أحمد عبيد بن دغر".

في مواجهة العواصف

قوبل تعيين عبدالملك بعاصفة من الانتقادات والشكوك التي قادتها العديد من الأطراف، حيث رأى فيها أنصار الرئيس السابق وأعضاء المؤتمر الشعبي العام امتدادا لاحتجاجات العام 2011 التي انتهت بتنحي صالح وإضعاف شوكة المؤتمر.

بينما اعتبرت قيادات قبلية وإخوانية على رأسها الشيخ ورجل الأعمال والقيادي في حزب الإصلاح حميد الأحمر أن تعيينه خروج عن جوهر المبادرة الخليجية ومخرجات مؤتمر الحوار في مؤشر على حالة القلق التي ولدها قدوم شخصية لتصدر المشهد الرسمي من خارج إطار التوافقات التقليدية لمراكز القوى في اليمن.

> عبدالملك لا يحظى بشهرة واسعة، حتى في أوساط المشهد السياسي اليمني، والسبب في ذلك يعود لعدم ممارسته أي دور سياسي قبل أن يخوض أول تجربة سياسية له كعضو في مؤتمر الحوار الوطني الشامل ممثلا لشباب الثورة التي اندلعت ضد الرئيس اليمني الراحل علي عبدالله صالح في العام 2011 وكان عبدالملك أحد الناشطين فيها

وتبرز العديد من التحديات التي من الممكن أن تعترض مسيرة رئيس الوزراء اليمني المعين معين عبدالملك وأولها مدى قدرته على احتواء التيارات والمكونات السياسية، وتطويع الصراعات الجهوية والحزبية بما يخدم برنامجه الحكومي الذي من المفترض أن يواجه تحديات سياسية واقتصادية وأمنية وخدمية معقدة ومتشابكة، في ظل غياب أو رداءة الأدوات التي يمتلكها كسياسي تكنوقراطي قادم من خارج مراكز القوى القبلية والسياسية في اليمن.

● طبيعة عبدالملك التكنوقراطية هي الميزة التي جعلته خارج مربع الصراعات في معسكر الشرعية، غير أنه يفتقر الى مكون سياسي يدعم طموحاته.

● العديد من المراقبين للمشهد اليمني يرون أن تعيين عبدالملك مؤشر على إصرار تيار قوي ونافذ يحيط بالرئيس هادي، ويقوده سفير اليمن في واشنطن أحمد عوض بن مبارك، على المضي قدما في تغيير بنية الدولة في اليمن والإطاحة برموز النظام السابق.

صاحب المربع الاستفهامي

سالم الدباغ

الفنان الذي وصل بالرسم إلى خلاصاته الجمالية

فاروق يوسف

❏ لو سُئلت مَن هو الرسام العربي الذي وصل بالتجريد إلى أقصى مراحل نقائه وصفائه لأجبت من غير تردد "إنه العراقي سالم الدباغ".

منذ أكثر من خمسين سنة والدباغ يتعامل مع لوحته كونها سطحا يصنع ذاته بذاته، من غير أن يستعين بأي عنصر قادم من خارجها. ليست لديه مصادر إلهام تقع خارج الرسم.

> ثراء عالم الدباغ يقيم في زهده وتقشفه واكتفائه وعزلته. رسوم مترفة من غرور بذخ شكلي وأناقة تذهب إلى أصلها من غير بهرجة أو تزيين

الرسم بعناصره المحدودة كان ملهمه، غير أنه في كل لحظة رسم كان يقدم مشهدا نضرا لم يُرسم من قبل. لم يقع في فخ اللوحة الواحدة ولم يكرر ما فعله. كان ولا يزال يتجدد كما لو أنه يستمد طاقته على التجدد من ينابيع خفية لا تجف. لا يزال كل ما يرسمه طريا، لينا، طازجا ومنعشا للبصر. كل لوحة منه هي بمثابة جزيرة مكتفية بطاقتها الداخلية.

لا تعيدنا لوحات الدباغ إلى الحياة أو الطبيعة بل تهبنا بكرم حياة وطبيعة تقيمان في عالم مجاور لعالمنا. إنه عالم الجمال الخالص. ذلك العالم الذي يمحو بنفسه الفائض منه، إذا كان ذلك الفائض موجودا أصلا.

الرسم هو شيء آخر

ثراء عالم الدباغ يقيم في زهده وتقشفه واكتفائه وعزلته. رسوم مترفة من غرور بذخ شكلي وأناقة تذهب إلى أصلها من غير بهرجة أو تزيين.

لقد توصل الدباغ في سن مبكرة من حياته إلى معادلة لا يصل إليها الآخرون إلا في نهاية أعمارهم. القليل الذي يمسك بالخيط الذي يقود إلى جوهر الجمال. لقد رسم بقوة ذلك القليل القابض على الحقيقة.

وإذا ما كان الدباغ قد تعلم الرسم باعتباره حفارا فإن تلك الصفة قد ساعدته على التفكير في ما ينطوي عليه عالم الرسم من لذائذ داخلية، لا علاقة لها بما يصوره أو يقتبسه من مفردات الطبيعة.

ولأن الرسام الحقيقي يعرف أن هناك رساما آخر يقيم في داخله فقد ترك الحرية لذلك الرسام يفعل ما يشاء. فكانت لذلك الرسام ذاكرته التي يحركها ليحصل على المزيد من نعم الجمال. كان المربع مفتاح تلك الذاكرة. لقد عُرف سالم الدباغ بمربعه الذي يحضر في كل لوحة بشكل مختلف، ذلك لأنه لا يُضاف بل ينبعث من السطح باعتباره وعدا بالمكان. هل كان الدباغ يفكر في البيت أكثر من أي شيء آخر؟

ولد الدباغ في الموصل عام 1941. ما بين عامي 1958 و1965 درس الرسم في معهد وأكاديمية الفنون الجميلة ببغداد. في سنة تخرجه شارك في المعرض الأول لجماعة المجددين التي كان عضوا مؤسسا فيها وشارك في معارضها اللاحقة. عام 1966 حصل على دبلوم شرف من معرض لايبزغ الدولي لفن الحفر الطباعي.

ما بين عامي 1967 و1970 حصل على زمالة دراسية من مؤسسة كولبنكيان لدراسة فن الحفر الطباعي في لشبونة. أقام معرضه الشخصي الأول خارج العراق في غاليري "سلطان" بالكويت وذلك في عام 1972. ما بين عامي 1971 و2000 قام بتدريس مادة الحفر الطباعي في معهد الفنون الجميلة.

عالم قليل المفردات

بالرغم من غزارته في الإنتاج الفني فإن الدباغ أقام عددا قليلا من المعارض الشخصية مقارنة بحضوره اللافت من خلال المعارض المشتركة والملتقيات الدورية التي تقام لفن الحفر الطباعي في مختلف مدن العالم بدءا من عام 1968، حيث أقام معرضا مشتركا مع فنانين عراقيين في لشبونة. ومن ثم عرض رسومه في بينالي لوبليانا بيوغسلافيا السابقة وبينالي ليتش ببلجيكا وبينالي بوينس آيرس بالأرجنتين وسواها من اللقاءات الفنية التي كان معظمها خاصا بفن الحفر الطباعي "غرافيك".

ومن يتأمل لوحات الدباغ لا بد أن يدرك أي أثر عظيم تركه فن الحفر الطباعي على طريقة معالجة الفنان لعناصره الفنية. فالدباغ الذي شغف بالأسود والأبيض "الأسود لي وللآخرين الأبيض"، كما يقول.

يستخرج عالمه الذي يبدو قليل المفردات من أعماق السطح ليهبنا مشاهد لا تقع عليها العين مباشرة بل تضطر للخضوع إلى إيحائها. وهو إيحاء ماكر تتغير تجلياته بين وقت وآخر. لذلك يهتم المتلقي بما لا يراه أكثر من اهتمامه بما يظهر على سطح اللوحة. وهنا بالضبط تكمن فكرة الدباغ عن وظيفة الرسم. إنه ينتزعنا من الواقع ليلقي بنا في خضم حقائق جمالية غير متاحة.

هناك تناقض واضح بين سكونية السطح وما يتفاعل تحته من أحداث. صمت يسبق صخبا كان مُعدا سلفا.

لحظة تختزل تاريخا جماليا

غادر الدباغ إلى دمشق بعد الاحتلال الأميركي عام 2003 وعاش هناك لسنوات. ثم عاد إلى بغداد ليغادرها إلى عمان قبل سنوات ومن ثم انتقل للعيش في الولايات المتحدة.

تاريخيا يمكن اعتبار سالم الدباغ رائدا للفن التجريدي في العراق. هو صاحب أول لوحة تجريدية عرضت في العراق عام 1965. لم يسبقه أحد من فناني جيله أو الجيل الذي سبقه إلى التجريد. كانت المغامرة الفنية يومها لا تخرج عن نطاق محاولة التحرر من قواعد وشروط الحداثة الفنية التي انطلقت نهاية أربعينات القرن الماضي وتجلت في أوضح صورها في الخمسينات.

ما فعله الدباغ أنه تبنى وحده القيام بمغامرة، تقع خارج سياق ما كان معتمدا باعتباره خروجا على الحداثة السابقة. ففي الوقت الذي كان فيه رسامون آخرون منهمكين في تفكيك ثنائية التراث والمعاصرة ألقى الدباغ خطوة جريئة على حافات المعاصرة العالمية حين طرح علنا مفهوم الرسم الخالص. وهو ما سيتأخر الكثيرون عن فهمة لأكثر من عقد من الزمن. حيث شهد عام 1975 تحولا واضحا نحو التجريد.

> الدباغ يتعامل مع لوحته، منذ أكثر من خمسين سنة، كونها سطحا يصنع ذاته بذاته، من غير أن يستعين بأي عنصر قادم من خارجها. ليست لديه مصادر إلهام تقع خارج الرسم

تميز الدباغ منذ بداياته بنزعته الثورية المتحررة. وهو ما دفعه إلى قطع صلته بما كان يُطرح من أفكار في شأن مسألة استلهام التراث أو المواءمة بينه وبين المعاصرة. اللافت في تجارب الدباغ التجريدية الأولى أنها ظهرت ناضجة، ولم تكن مجرد محاولات بدائية. وهو ما يؤكد أن الرسام الذي امتلك مهارة كبيرة في مجال الحرفة التقليدية كان قد اطلع على الأساليب التجريدية العالمية بعمق وحين قرر أن يمضي قدما في تجربة التجريد الصافي فلم يكن ذلك القرار إلا انعكاسا لرفضه في أن يفصل بين الرسم والطبيعة، وهو ما يعني انحيازه الكامل للجمال الذي يصدر عن الرسم.

"ما الذي يعنيه لك ذلك المربع؟" أعتقد أنه سؤال مسل لطالما واجهه سالم الدباغ بشيء من عدم الاكتراث، بالرغم من أنه يكون أحيانا جادا في تأويلاته التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة، غير أنها ترضي الآخرين وتنهي إصرارهم على الحصول على جواب مقنع.

لقد قيض لي أن أرى الدباغ وهو يرسم. حدث ذلك في الدوحة عام 2000. ولأن الدباغ لا يخشى الرسم أمام الآخرين فإن حضور الآخرين بشرط أن يصمتوا لن يقطع الطريق أمام خيال يده. الرسم بالنسبة للدباغ ممارسة جسدية. إنه رسام حركي. تتبع عينه خيال يده. وحين ينفصل عن اللوحة تستعيد عينه خيالها.

ذلك المربع الذي كان دائما موضع استفهام يولد من تلقاء نفسه. إنه ينبعث من أعماق السطح. لا يُرسم باعتباره مفردة مستقلة. ليس هناك ما هو جاهز ليُرسم. ما يظهر على سطوح لوحات الدباغ هو وليد لحظة الرسم. وهي لحظة تختزل تاريخا من الكشف الجمالي.

الدباغ يرسم مدفوعا بقوة ذلك التاريخ الذي هو ملكه الشخصي. يمكنه من خلال لوحته أن يروي لنا حكايات عن عالم لم يسبق لنا التعرف عليه. إنه ذلك العالم الذي يقيم بين دفتي كتاب لن يكتبه أحد. إنه كتاب الرسم.

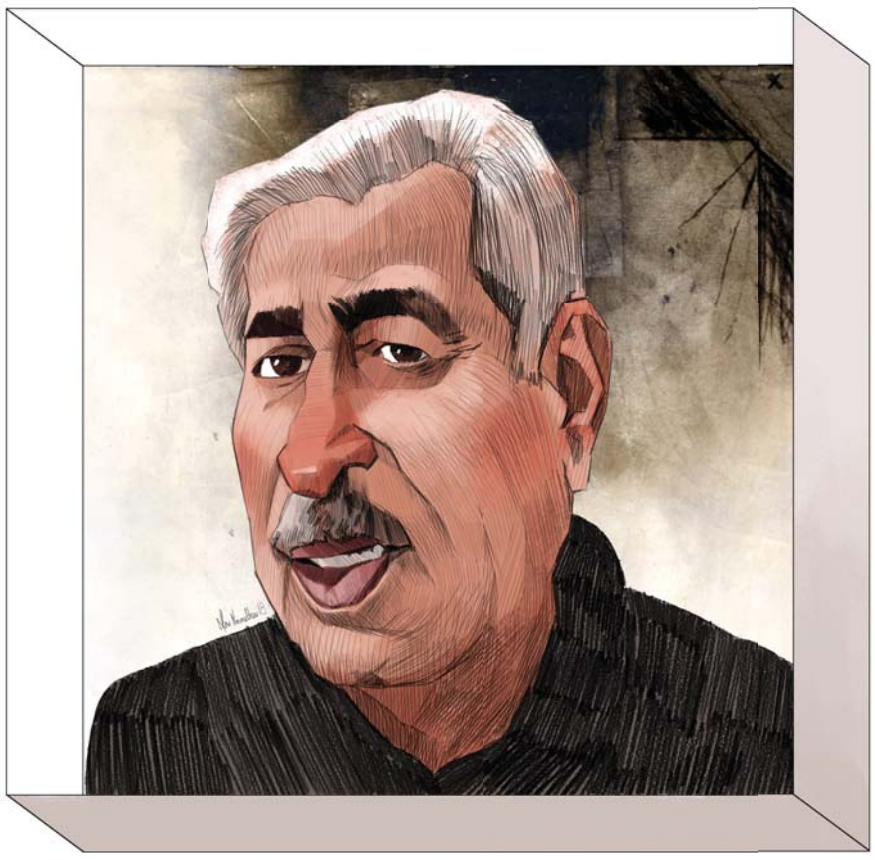

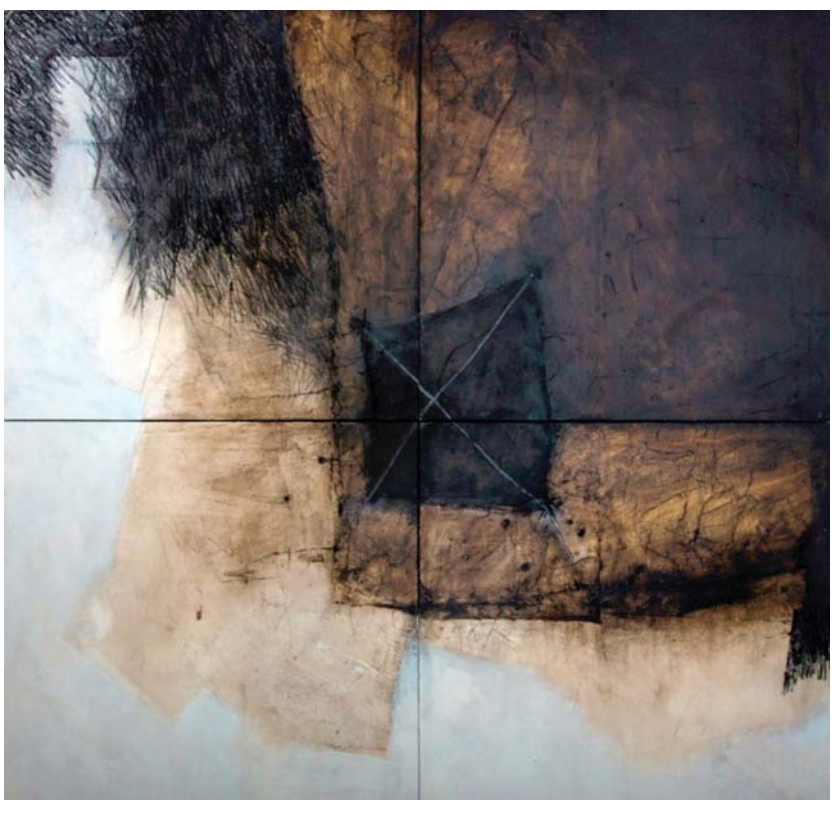

الناس ضد الديمقراطية

المد الشعبوي يجتاح العالم ويهدد القيم الكبرى

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

❏ شكلت الديمقراطية في الأعوام الأخيرة مبحثا تداول عليه عدة مفكرين لا سيما في الولايات المتحدة، أمثال ستيفن ليفيتسكي، ودانيال زيبلاط، ووليم غالتسون، وآخرهم ياشا مونك أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد، الذي نشر كتابا بعنوان "الشعب ضد الديمقراطية" مع عنوان فرعي "لماذا حريتنا في خطر وكيف السبيل لإنقاذها"، حاز اهتمام المتخصصين في العالم، وأثارت طبعته الفرنسية الصادرة حديثا (دون العنوان الفرعي) جدلا طويلا في أوساط المفكرين والمحللين، تركز حول صعود الشعبوية في البلدان الغربية واستئثار أقليات نخبوية بالسلطة، وتحميل المؤلف الشعب مسؤولية تآكل الديمقراطية.

> الظرف الغربي الراهن يتسم بظاهرتين: الأولى شعور عام بأن الديمقراطية انتزعتها منظمات خبراء لا تنفك تستولي على عدد متزايد من السياسات العامة دون إخضاعها للمصادقة الشعبية؛ والثانية صعود قوي للأحزاب الشعبوية أدى إلى ظهور ديمقراطيات «غير ليبرالية»

على غرار فرنسيس فوكوياما، عند تحليله الاتجاهات السياسية والتاريخية على الصعيد العالمي في كتابه "نهاية التاريخ"، عمد ياشا مونك (وهو في الواقع بولندي ولد في ألمانيا عام 1983 واعتنق الجنسية الأميركية) إلى جعل حديثه عن وهَن الديمقراطية شاملا، يمتد من أميركا ترامب إلى تركيا أردوغان، وكذلك انتشار المد الشعبوي المناهض للهجرة والمهاجرين في معظم البلدان الأوروبية، من بولندا إلى إيطاليا، مرورا بالنمسا والمجر، لمعرفة الأسباب التي جعلت الديمقراطية مهددة من كل صوب، تهزها قوى معادية بعضها فاشستي معلن، وبعضها الآخر رومانسي يحلم بالثورات.

من أهم تلك الأسباب أن المنظومة السياسية الديمقراطية تقوم على غايتين أساسيتين: الأولى هي الدفاع عن الحقوق الفردية كحرية التعبير، وحرية المعتقد، وضمان الفصل بين السلطات؛ والثانية هي سيادة الشعب، أي أن الشعب يريد أن تترجَم إرادته في السياسات المتبعة.

إلا أن ما نشهده منذ عدة عشريات هو الالتزام بالغاية الأولى، ومخالفة الغاية الثانية. لأن قوى المال في تلك البلدان صار لها نفوذ لم تعرفه من قبل، ولأن الواقع الاقتصادي العالمي صار أشد تعقيدا بسبب العولمة والتكنولوجيا الحديثة ما جعل الحكام يحتاجون إلى التكنوقراط والبنوك والوكالات المستقلة في اتخاذ قراراتهم، وهو ما ولد إحساسا لدى الشعوب بأنها استبعدت من تقرير مصائرها، وفقدت بذلك سيادتها التي تنص عليها عبارة "ديمقراطية" نفسها، أي حكم الشعب.

يلاحظ مونك أن الظرف الغربي الراهن يتسم بظاهرتين: الأولى شعور عام بأن الديمقراطية انتزعتها منظمات خبراء لا تنفك تستولي على عدد متزايد من السياسات العامة دون إخضاعها للمصادقة الشعبية؛ والثانية صعود قوي للأحزاب الشعبوية أدى إلى ظهور ديمقراطيات "غير ليبرالية" بتعبير الهندي فريد زكريا، حال وصولها إلى السلطة، على غرار ما حدث خاصة في المجر مع فيكتور أوربان وإيطاليا مع ماتيو سالفيني. ما أوجد تعارضا بين ديمقراطية تتراجع إلى حدودها الدنيا كـ"ترجمة للإرادة الشعبية في السياسات العامة"، وبين دولة القانون القائمة على قيم الليبرالية السياسية وفلسفة الأنوار.

بيد أن القيم الليبرالية للتعدد، وضمان الحقوق، وحماية الحريات الأساسية التي قامت عليها الديمقراطية الحديثة أقصيت منها لتحل محلها أنظمة الوفاق التام غير الليبرالية، فيما المؤسسات التكنوقراطية الحريصة على الحفاظ على الحريات الإنسانية والاقتصادية تزداد قناعة بأنها ليست ملزمة بالرجوع إلى الشعب ورموزه السيادية.

يركز مونك على هذا التعارض، ويعرض مقترحات لمواجهة القوى المعادية التي تهدد الديمقراطية الليبرالية. وبخلاف أندرياس شيدلر، وسكوت مينوارنغ اللذين أثنيا على مفهوم "التعزيز الديمقراطي"، يقترح مونك مقاربة أخرى تقوم على "عدم التعزيز الديمقراطي"، لأنه لاحظ أن عددا من الديمقراطيات الغربية لم يعد يملك الخصائص المنتظرة من ديمقراطيات معززة، ساد الظن أن الديمقراطية فيها أزلية لمجرد أنها مزدهرة يقوم نظام الحكم فيها على التداول على السلطة عبر انتخابات حرة وشفافة، وأن شعوبها ترفض البديل الاستبدادي، والحال أن الإحصائيات في عدد من بلدان أميركا الشمالية وأوروبا الغربية تشير إلى قبول جانب هام من مواطنيها بوضع قار قوامه حكم متسلط.

من ذلك مثلا أن ثلث السكان في الولايات المتحدة يفضلون رجلا قويا يتخلص من إرغامات البرلمان والانتخابات، فيما تصل هذه النسبة في فرنسا إلى النصف، بعد أن كانت ربعا في نهاية التسعينات، وهي نسب تضم من ولدوا بعد عام 1980، أي من لم يخبروا كأسلافهم الأنظمة الاستبدادية كالنازية والفاشية والشيوعية.

ومن الطبيعي أن تؤدي تلك التغيرات إلى تحولات في الممارسة الانتخابية، انعكست في صعود أحزاب شعبوية، لا تخفي عداءها للقواعد الديمقراطية، فاقت استحقاقاتها الانتخابية 25 بالمئة بعد أن كان معدلها لا يتجاوز الـ7 بالمئة في أوروبا كلها.

وقد استعمل مونك في بحثه صيغة بثلاثة عوامل لمعرفة موقع الديمقراطية في البلدان الغربية بالتعاون مع زميله روبرتو ستيفان فوا من جامعة ملبورن: الأول معرفة مدى مساندة الشعب، أي إلى أي درجة يعتقد المواطنون أن بلادهم ينبغي أن تظل ديمقراطية.

والثاني استعداد الناس لقبول أشكال الحكم غير الديمقراطية، كالنظام العسكري. والثالث معرفة ما إذا كانت الأحزاب السياسية والحركات المناهضة للمنظومة، أي تلك التي تعتبر المنظومة الحالية غير شرعية، تلقى المساندة.

من بين الحلول المقترحة أيضا، مفهوم الوطنية، وهي قضية لا تزال تشغل الديمقراطيات الغربية حتى اليوم، حيث يسعى اليمين الهووي إلى إلغاء كل تمييز بين الجنسية والإثنية، واعتبار أن المتحدرين من المجموعة المهيمنة هم وحدهم الأصلاء وما عداهم أغراب وأجانب لا حق لهم في المواطنة؛ بينما يكاد اليسار يتخلى تماما عن فكرة الأمة، بل إن وعيه بالعذاب الذي يسببه الغلو والتطرف يجعله يفضل التخلي عن كل إحساس بالوطنية. وهذا في رأي مونك خيار سيء، لأن القومية تحتفظ بقوة سياسية كبرى، ينبغي النضال للتحكم فيها خير من ترك المتطرفين يقررون دلالتها. ومن ثَمّ ينصح بإيجاد ما يسميه "الوطني الشامل" الذي يلح على ما يوحّد لا ما يفرق، كالإثنية والمعتقد، مع الاعتراف بما تتعرض له بعض الجاليات من ميز عنصري ومظالم.

ومبعث القلق عند مونك أن المعايير التي كانت تضمن استقرار الديمقراطيات سواء في "القارة العجوز" أو في "العالم الجديد" باتت هشة، في وقت لا ينفك الشعبويون، الذين يمقتون الشروط الأساسية للديمقراطية الليبرالية، يبسطون نفوذهم السياسي والأيديولوجي في كل مكان تقريبا، بفضل خطاب تحريضي ضد البنى التكنوقراطية (الهيئات الإدارية المستقلة، البنوك المركزية، المفوضية الأوروبية...) التي تتآمر في رأيهم لانتزاع السلطة من الشعب، مشفوع بخطاب قومي عنصري ضد الأجانب والمهاجرين.

وهو إذ يدافع عن الديمقراطية الليبرالية، يذكر بأن الديمقراطيات ليست كلها ليبرالية بطبيعتها، إذ ثمة ديمقراطية تراتبية تسمح للحكام المنتخبين عبر صناديق الاقتراع بتجسيد الإرادة الشعبية بالطريقة التي يتأولونها، دون اعتبار لحقوق الأقليات الفاعلة ومصالحها.

فوبيا الجسد الأنثوي

تحطيم منحوتات جسد المرأة

أمين الزاوي
كاتب وأكاديمي جزائري

❏ يهجم رجل ملتح بمطرقته على تمثال امرأة منصوب في ساحة "عين الفوارة" بمدينة سطيف (270 كلم شرق الجزائر العاصمة)، يحطمه، وهو يصرخ "الله أكبر" أمام الملأ. يعاد ترميم التمثال بعد جدل، ويعاد نصبه في مكانه، وتمضي أسابيع قليلة ويهجم ملتح آخر على التمثال بحجة أن هذه المرأة–التمثال عارية وأنها تثير غريزته وغريزة كل مؤمن.

ذكرتني هذه الحادثة التي تجسد الخوف من الجمال والخوف من جمال جسد المرأة في الفن بشكل خاص بحكاية الفنان التشكيلي بيكاسو مع واحدة من زوار معارضه، إذ جاءت سيدة إلى بيكاسو وخاطبته معلقة على أسلوبه الفني قائلة "إن لوحاتك، يا سيد بيكاسو، فيها عري كثير". فرد عليها بيكاسو قائلا "العري ليس في اللوحات يا سيدتي، العري موجود في رأسك، أما اللوحات ففيها الإنسان والجمال".

الخوف من جسد المرأة هو مرض هوسي إسلاموي معاصر موجود في هواجس أولئك المصابين بمرض اسمه "جسد المرأة"، أولئك الداعون نفاقا وبهتانا إلى الصفوية Purisme الفكرية بغية تمرير رسالتهم السلفية المعطوبة.

لقد أدخل المرضى المصابون بفوبيا "جسد المرأة" المرأةَ المسلمة إلى ظلمة الأقبية بعيدا عن كل ضوء، لفّوها في نقاب وحجاب، حاصروا جسدها الشفاف بكل سلاسل الألبسة والمسخ، مستندين في ذلك على بعض النصوص المشبوهة التي جاءت في كتب تراثية معطوبة وفاسدة، يقوم المرضى بفوبيا "جسد المرأة" بكل هذه الممارسات الكبحية تجاه حضور المرأة لا لشيء إلا لأنهم لم يستطيعوا كبح أمراضهم الجنسية الغريزية.

ولأنهم لم يستطيعوا كبح نزواتهم الحيوانية المرضية تجاه "جسد المرأة" ولأنهم يتخبطون في اضطرابات نفسية مدمرة فقد وصل بهم حقدهم على "جسد المرأة" أن حاربوه حتى وهو منقوش على الحجر. إن إقدام هذين الشخصين الفاسدين على مثل هذا التصرف (الاعتداء على تمثال امرأة) لا يعد عملا منعزلا، بل إنه "يمثل ثقافة" كاملة تسود في المجتمعات الإسلامية، وهي ثقافة تستند إلى نصوص تحملها متون جلبتها من متون صفراء وطفقت تدرس في المدارس وفي المعاهد والجامعات.

إن فوبيا الجسد الأنثوي هو مرض ثقافي وسيكولوجي إسلاموي بامتياز، وهو مرض متفش بكثرة في المجتمعات العربية والمغاربية، إذ أن المصاب بهذه الفوبيا لا يرى في المرأة إلا جسدا، ولا يرى في جسدها إلا ملكية يجب أن يضع اليد عليها، فهي في نظره ليس لها الحق في امتلاك جسدها والتصرف فيه، بل إن هذا الجسد مادام ملك الذكر فهو رمزيا ملك جميع العامة أيضا، الأخ والأب والجار والعم وكل ذكور القبيلة، وإذا ما حاولت التصرف في جسدها فهذا شيء مرعب ومرفوض وهو علامة من علامات القيامة!

تمثال «عين الفوارة» في سطيف-الجزائر شوهه شخص متعصب

غالبية خُطب الجمعة في العالم الإسلامي، من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه، ومن على كل المنابر الدينية، على اختلاف طوائفها ومرجعياتها السياسية، هي خطب مكرسة على طول السنة، بمناسبة ومن دونها، لموضوع المرأة، مطالبة بتكميمها واستعبادها ومنادية ببهيميتها وبنقص عقلها.

العدو الأول للإسلامويين هو المرأة، وبالأحرى جسد المرأة فهو سبب خراب الأمة قبل الجهل، وهو سبب ضياع فلسطين وهو سبب الاستعمار وهو سبب الأمراض جميعها وهو سبب الحروب، وهو السبب في طرد الرجل من الجنة وهو الذي يقود إلى جهنم! فهل يسمح للفن أن يزرع المكان بجمال المرأة وحضورها الفني في الساحات العامة جمالا خالصا؟ فحتى الآثار بالغة القدم لم تسلم من فؤوس الإسلامويين.

بعد ظاهرة حملات حجاب المرأة التي عرفتها البلدان العربية والمغاربية منذ ثمانينات القرن الماضي بوصفه (أي الحجاب) منقذ المجتمع من الفساد والتخلف، كما تشدق بذلك تجار الدين، فها هو الحجاب بعد أن كاد يسود لم يحقق لا عودة فلسطين ولا نهاية الفقر ولا التخلص من الجهل ولا القضاء على التخلف.

الذراع العنصرية للأدب

محمد حياوي
كاتب عراقي

❏ تحاول القوى العنصرية في أوروبا وبعض الأدباء المحسوبين عليها جرّ الأدب إلى تلك المنطقة المحرمة، سواء بدراية تامّة أو بغباء مفرط، ويلعب عالم النشر وفق توجهات الرأي العام المناهض لمفاهيم التسامح والإنسانية، دورا محوريا خطيرا في هذا الاتّجاه.

وما فتئت الكتب، سواء التاريخية المعادة قراءتها وتوظيفها، أو الإبداعية المؤلفة وفق نظرة سوداوية مشينة، يتوالى نشرها والتبشير بها ومحاولة تسليط الضوء عليها، في مسعى لا يخفى على القارئ النبيه، لإعادة النماذج القميئة التي لفظها التاريخ إلى الواجهة من جديد، بالتناغم مع تصاعد الموجة العنصرية التي تشهدها بعض بلدان أوروبا الغربية، لا سيّما ألمانيا وإيطاليا وفرنسا ضد المهاجرين والمسلمين.

وتحت يدي نموذجان لمثل تلك الظواهر في الكتب، أوّلها رواية الكاتب الفرنسي المثير للجدل ميشيل هويلبيك التي تحمل عنوان Soumission أو إذعان ورضوخ، ويراد من العنوان التحريض على الرضوخ لما أسماه الكاتب للأمر الواقع الذي سيبلغ فيه عدد المسلمين في فرنسا في العام 2022 أكثر من عدد الفرنسيين الأصليين (المسيحيين)، وبالتالي استلامهم السلطة في فرنسا بالوسائل الديمقراطية، ورضوخ أو إذعان السكان الأصليين لهذا الأمر.

وعلى الرغم من أن الرواية كانت قد صدرت طبعتها الأولى في العام 2014، إلّا أن إعادة نشرها والتعريف بها وتنظيم الاستفتاءات في شأنها على يد اليمين الفرنسي المتطرف مؤخرا يبعث على الاستغراب في الواقع، فالرواية مجرد استخفاف بعقول القرّاء لأنها، كما يقول مؤلفها، مجرد استكشاف لمستقبل لا يخلو من جوانب إيجابية، وهذه الجوانب الإيجابية التي قصدها هي تخيّل فوز رئيس إسلامي في فرنسا وتطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد بطريقة ساخرة، على الرغم من أنه يدّعي استغلاله بطريقة خبيثة للتخويف من المستقبل وأن الرواية لا تستفز أحدا.

وتطرح الرواية معالجة درامية خياليّة تُظهر فرنسا وهي تشعر بالسعادة تحت قيادة المسلمين، بعد أن يتم التخلص من التنورة القصيرة واختفاء البطالة تماما على حد تعبيره، ذلك لأن جميع النساء سيلازمن منازلهن ولا ينزلن إلى العمل، وأن النظام سيعود والجريمة ستتراجع، وأن فرنسا ستعرف التفاؤل الذي لم تعرفه منذ السبعينات. وبسخرية مبطنة يقول هويلبيك لمجلة باريس ريفيو، "لا يمكنك اعتبار الرواية توقعا متشائما، ففي النهاية لا تسير الأمور بهذا السوء".

وحسب لوران جوفريه رئيس تحرير صحيفة ليبراسيون اليسارية، فإنّ هويلبيك يلعب ورقة التخويف من المستقبل بطريقة فجة ومكشوفة تماما، لجهة المبالغة في قضايا الهجرة وارتفاع معدلات مواليد المسلمين الذين سيشكلون، حسب الرواية، أكثرية ملحوظة، ولذلك سوف يستولون على السلطة ديمقراطيا. وعدّ جوفريه الرواية "هدية جميلة في عيد ميلاد مارين لوبان" زعيمة اليمين المتطرف. وفي معرض ردّه، قال هويلبيك "لا أعرف أي رواية في العالم غيرت مسار التاريخ، وكل ما فعلته هو وصف التطور المرجح لوصول رئيس مسلم إلى السلطة في فرنسا في العام 2022".

أما الكتاب الآخر الذي يصبّ في هذا الاتّجاه فهو ظهور مذكرات سريّة للزعيم النازي أدولف هتلر، وهي بمثابة سيرة ذاتية ملفقة يُفترض أن يكون هتلر كتبها في العام 1923، عندما كان نكرة ومجرد ضابط طموح لا يعرفه أحد، أعاد تحريرها، حسب ما يدّعي، المؤرخ الألماني اليميني أدولف كوبر، وحسب تلك المذكرات، فإن هتلر كان يدرك بضرورة تسويقه على وجه السرعة، كمنقذ للبلاد، ملامسا بذلك مشاعر المتطرفين الألمان وإحياء النزعة العنصرية في نفوسهم.

وفي المحصلة فإن توظيف أداة مرموقة ومرتبطة إنسانيا بمصائر الشعوب مثل الأدب، في تلك الصراعات والنوازع الشريرة وفق سلوكيات مشينة لا تمت للحقيقة بصلة، لهو انحراف أخلاقي رخيص وتافه.

بقية النص ينشر على الموقع الإلكتروني

الوجود مختزلا والقدر بطلا

البحر ورمزيته في رواية «البحر المحيط» لألساندرو باريكو

مفيد نجم
كاتب سوري

ألساندرو باريكو: رواية المصائر الغريبة بلغة شاعرية

❏ تضعنا عتبة السرد في رواية "البحر المحيط" لألساندرو باريكو ترجمة الإيطالي أمارجي ومنشورات دار المتوسط 2018 منذ البداية في فضاء المكان الأثير الذي ستجري فيه أحداث الرواية، وفي العلاقة الاستعارية التي سيقيمها عالم الرواية على المستوى الرمزي للوجود، مستعينة لأجل ذلك بلغة شعرية مكثفة، وشخصيات غرائبية تتقاطع مصائرها وحيواتها في مكان محدد، هو نزل الماير المجاور للبحر. تتوزع الرواية على ثلاثة كتب تتعدد فيها مستويات اللغة وأساليب السرد، فإلى جانب لغة السرد هناك اللغة الشعرية الموحية التي تستثمر أدوات التعبير الشعرية كالتكرار والمجاز بكثافة ظاهرة، وإلى جانب الوصف والحوار يستخدم الكاتب تقنية الرسالة وتعدد ضمائر السرد. إن هذا التعدد في مستويات اللغة وأدوات التعبير، يقابله تعدد في عوالم الشخصيات وأحداث الرواية ومصائر شخصياتها، بصورة تتجلى معها غرائبية هذا العالم ورمزيته.

يستخدم الكاتب في السرد ضمير الغائب، الذي يتولاه الراوي العليم، الحاضر في كل مكان، والعارف في ما يدور في باطن شخصياته أو في عقلها أو ما تنوي القيام به، إلى جانب السرد بضمير المفرد المتكلم.

رواية شخصيات

تتميز رواية الشخصيات عادة بهيمنة عنصر المكان عليها، وهو ما نجده ظاهرا في الرواية منذ جملة الاستهلال التي تعني بوصف المكان (رمال على مدّ البصر ما بين الأكمات والبحر- ذلك البحر- في الهواء البارد لظهيرة مضت إلا قليلا، تباركها الرياح التي تهبّ على الدوام من جهة الشمال. إنه الشاطئ والبحر..). يتصدر نزل الماير أمكنة الرواية، وسيكون المكان الذي ستنتهي فيه أحداث الرواية. ويظهر الاهتمام بالمكان أكثر من خلال التركيز على وصف تفاصيله. وعلى الرغم من أن أحداث الرواية تتوزع على مكانين اثنين بصورة أساسية البحر والنزل، فإن علاقة شخصيات الروايات الكثيرة به تبدو العنصر الجامع لها، على الرغم من تعدد أسباب قدومها إليه، وتنوع علاقاتها وتجاربها معه، ما يمنحه قيمة رمزية ودلالية كبيرة، نابعة من تعدد صوره وأشكال حضوره في وعي وتجارب هذه الشخصيات.

يظهر الرسام بلاسون الذي يرسم البحر بماء البحر أولا، بوصفه يمثل البعد الرمزي للذات في علاقتها مع الوجود، ثم تتالى شخصيات الرواية إيدلي والبرفسور بارتلبوم والأب بلوش وبارون كايرووال والآنسة ديرا والأميرال لونغلاي وآدامز وإليزوين، وشخصية الجنائني. تتميز بعض هذه الشخصيات بثباتها سواء من خلال مواقفها أو دورها في أحداث الرواية، بينما ينحو بعضها الآخر نحو التحول وعدم الثبات، ما يؤدي إلى تطور أحداث الرواية من خلال ما يطرأ على مواقفها وسلوكها من تغيير.

> غرابة هذه الشخصيات تنبع من غرابة أقدارها ومصائرها التي تحكم حيواتها، وعلاقاتها في هذا النزل، حيث يأتي بعضها للاستشفاء من خيبات الحب فيضع نهاية لحياته، أو من أجل الاستشفاء من المرض المستعصي على العلاج، لكنه يتخلى عن المغامرة ويعود إلى مدينته

وحوش وبنات آوى

تدور أحداث الكتاب الثاني من الرواية في عرض البحر، بعد أن تتعرض الفرقاطة روشفور التابعة للبحرية الفرنسية إلى الغرق، فيحاول الرجال الذين على متنها النجاة. في هذا المشهد التراجيدي القاسي تتكشف الطبيعة الإنسانية عارية، في المواقف المختلفة لركابها في محاولة للنجاة من موت يطاردهم. يعمد الدكتور وبعض البحارة إلى ابتداع طرق رهيبة للتخلص من العدد الزائد من الركاب لتوفير المؤن وإنقاذ الطوف من الغرق. يتحول ليل الطوف التائه في عرض البحر إلى ساحة جرائم وتصفية مرعبة، بينما يدفع الجوع من تبقى إلى أكل لحوم الموتى. يستخدم الكاتب اللغة الشعرية المتوترة والتكرار لأجل تعميق الشعور المأساوي بحالة (الاستسلام المريع والهزيمة الفاحشة والهلاك الباغي) لمن تبقى على قيد الحياة، وهو يحاول أن يدفع عنه مصير الموت (أول شيء هو اسمي، ثانيها تلك العيون، ثالثها هجس، رابعها الليل الذي يهبط، خامسها تلك الأجساد الممزقة، وسادسها جوع يتعاظم في الأحشاء، وينهش عند الخلق، وينقضّ على العيون..يقول مهندس الخرائط: لن ننجو، الرجال يرمق بعضهم بعضا، يترصد بعضهم بعضا. إنها اللحظة ما يحدّد شكل النزال..).

في هذا الكتاب يظهر التنوع في استخدام الكاتب لضمائر السرد، إذ ينتقل من استخدام السرد بضمير الغائب إلى استخدام السرد بضمير المفرد المتكلم، حيث يتولى سافيني سرد وتوصيف مشاهد الأجساد الممزقة والعيون التي يخيم عليها شعور بالعدم المطلق والجوع ورائحة الموت. وما يزيد من قوة تأثير المشاهد القاسية هو الاستخدام المكثف لتكرار اللازمة والعبارات الدالة على فداحة الموقف ورهبته، إضافة إلى استخدام الكاتب للجمل القصيرة التي تمنح السرد الحيوية والرشاقة.

القدر بطلا

في الجزء السابق من الرواية كما في جزأيها الآخرين تتجلى البنية الاستعارية للرواية في رؤيتها للوجود الإنساني المحكوم بالقدر. إن هذه الرؤية المحورية التي تدور حولها الرواية يمكن أن نجدها في قول بطل الجزء الثاني سافيني (ليس ثمة دهاء وليس ثمة بسالة قادرين على تغيير القدر. إن من رأى الحقيقة سيبقى إلى الأبد بلا عزاء). وعلى خلاف الجزأين السابقين يقوم الراوي بتقديم شخصيات الرواية والتعريف بأعمالها بدءا من آن التي تكتب رسالة إلى زوجها قبل أن تنهي حياتها بعد أن عثر على مكان وجودها في هذا النزل، وحتى شخصية دود وديرا وحوارهما الحافل بدلالاته الرمزية عن البحر وسرد البحر مرورا بشخصية الرسام بلاسون ولوحاته البحرية والبروفسور بارتلبوم الذي ظل مشغولا بإنجاز موسوعة الحدود وصاحبة قصة الزواج الغريبة وموته الغريب الذي يترك شعورا كبيرا بالغياب، والدكتور سافيني الناجي من الطوف الذي يتحول إلى بطل بفعل روايته الكاذبة لأحداث غرق السفينة، وأخيرا البحار آدامز الذي خسر حبيبته على الطوف، وكان انتقامه من الدكتور سافيني صاحب العقل الشيطاني في التخطيط للتخلص من ركاب الطوف، سببا لإعدامه.

سرد البحر

إن غرابة هذه الشخصيات تنبع من غرابة أقدارها ومصائرها التي تحكم حيواتها، وعلاقاتها في هذا النزل، حيث يأتي بعضها للاستشفاء من خيبات الحب فيضع نهاية لحياته، أو من أجل الاستشفاء من المرض المستعصي على العلاج، لكنه يتخلى عن المغامرة ويعود إلى مدينته، أو من أجل إنجاز دراسة علمية عن نظرية الحدود، أو لرسم البحر والتعرف إلى أحواله. حيوات كثيرة ومواقف مختلفة تأتلف تارة وتختلف تارة أخرى، تحاول فيها كل شخصية أن تكتشف غرابة الشخصية الأخرى وحدودها، وعلاقتها بالبحر. في هذا السرد الذي هو (سرد البحر، لأن البحر هو ما بقي لنا. الجوهر أن نحاول سرده، أحد ما سوف يصغي) يكمن جوهر العمل الروائي ورمزيته التي تعد المعادل المجازي للوجود.

إن هذه المعادلة الرمزية للوجود من خلال البحر وحيوات هذه الشخصيات والمصائر الدرامية التي تنتهي إليها، هي تكثيف شاعري مسكون بنزوع درامي ينبع من تداخل الواقعي مع الخيالي في هذا السرد الروائي الممتع والدال لتداخل هذه المصائر المختلفة في عالم غرائبي وغريب، كما يتجلى ذلك في مصائر شخصيات الرواية، ومشهد تطاير النزل في خاتمتها بعد أن غادره دود آخر الراحلين عنه، وكأنه يقدم صورة أخرى لهذا العدم الذي يهدد وجودنا في هذه الحياة.

رف الكتب

عرب الإمبراطورية العثمانية

❏ يتتبع الباحث جون ماسترز، في كتابه "عرب الإمبراطورية العثمانية: تاريخ ثقافي واجتماعي (1516–1918)، الصادر حديثا عن دار الرافدين في بيروت، بترجمة عبد الحكيم ياسين، حكم العثمانيين للأراضي العربية لأربعة قرون تمتد من عام 1516 إلى عام 1918، ويقدم فيه مسحا شاملا محايدا للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الأراضي العربية إبان الحكم العثماني. ويتناول أيضا طرق إدارة وحكم الامبراطورية العثمانية للأراضي العربية التي بقيت تحت حكمهم لأربعة قرون. كما يتطرق الكاتب إلى دور رجال الدين في منح الشرعية للسلاطين العثمانيين في حكمهم للولايات العربية، وكذلك يلقي الضوء على قضية السلطنة والخلافة، والتجربة التاريخية للمسلمين العرب مع الحكم العثماني. ويشير بشكل كبير إلى الصراعات الطائفية والثورات وأعمال التمرد التي عصفت بالمنطقة العربية خلال فترة حكم العثمانيين، وطرق تعامل العثمانيين معها بالقمع مرات أو بالحلول التوفيقية مرات أخرى. الكتاب يشكّل مرجعا تاريخيا ذا فائدة كبيرة للباحثين والدارسين.

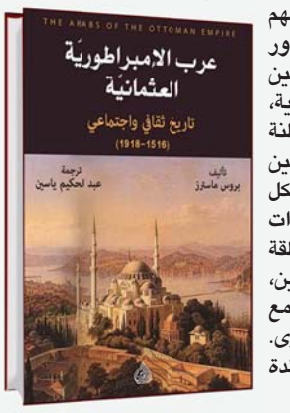

أصول العنف: الدين والتاريخ والإبادة

❏ ضمن سلسلة دراسات فكرية، التي تصدرها جامعة الكوفة في العراق، صدر حديثا كتاب "أصول العنف: الدين والتاريخ والإبادة" للباحث السترالي جون دوكر، بترجمة علي مزهر، وتوزيع دار الرافدين في بيروت. وجاء في نبذة عن الكتاب "حقل الإبادة بالعربية حقل بالغ الفقر. إننا نرتكب الإبادات ولا نكلّف أنفسنا التفكير فيها ودراستها. وأعداد الكتب الصادرة بالعربية تأليفا وترجمة في هذا الحقل لا تناسب مطلقا أعداد الإبادات التي حدثت في تاريخنا القديم والحديث والمعاصر. هذا الكتاب المترجم للأستاذ لجون دوكر هو أول كتاب شامل بالعربية عن الإبادة؛ يغطي تاريخها في المجتمع الحيواني والإنساني. وهو يوظف مفهوم الإبادة عند رافائيل لِمْكن، وينحو به إلى أن يكون دراسة ثقافية تتناول الإبادة في الكتابة التاريخية (هيرودوت وثوسِّديدس)، والأدب والأسطورة عند الإغريق والرومان (هوميروس، فرجيل، إسخيلوس وآخرين)، والفلسفة (أفلاطون، شيشرون)، والنصوص الدينية (التوراة).

التاريخ والذاكرة

❏ يضمّ كتاب "الذاكرة والتاريخ" للباحث الفرنسي جاك لوغوف، الصادر مؤخرا عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة، بترجمة جمال شحيد، أربعة فصول، يبحث الأول في التعارض بين الماضي والحاضر في علم النفس وفي ضوء الألسنية، كما يطرح تساؤله حول نسبة التجديد التي تقبل بها المجتمعات في تعلّقها بالماضي. وفي الفصل الثاني، وتحت عنوان "ثنائي غربي وملتبس"، يقول لوغوف إن التعارض بين عتيق وحديث تطور في سياق ملتبس ومركّب، لأن لا تعارض دائما بين المفردات والمفاهيم، فقد استُبدلت كلمة عتيق بكلمة قديم وتقليدي، واستُبدلت كلمة حديث بكلمة قريب العهد أو جديد. يتحدّث في الفصل الثالث عن الذاكرة الإثنية، فيميّز بين الثقافات الشفوية والثقافات الكتابية في ما يتعلق بالمهمات الموكولة إلى الذاكرة مؤسسة على كون العلاقات بين هذه الثقافات تتوسط تيارين مغلوطين في غلوّهما، يؤكّد أحدهما أن البشر كلهم يمتلكون الإمكانات نفسها، ويقيم التيار الثاني تمييزا واضحا بين الهُم والنحن. أما الفصل الرابع فيتطرّق إلى مفارقات التاريخ والتباساته، فيسأل: هل التاريخ هو علم الماضي أو ليس ثمة تاريخ إلا التاريخ المعاصر؟ ويتناول موضوعية الماضي والتلاعب به، والمفرد والكوني في تعميمات التاريخ واتساقاته.

الصورة وسيلة لتكوين الهويّة

الهوية الجندريّة وأشكال الظهور في الفضاء العام

عمار المأمون
كاتب سوري

❏ تحوي هوياتنا كأفراد، أشكالاً وصورا سابقة على وجودنا، تحدد أدوارنا وكيفية ظهورنا، فمرجعيتنا عن أنفسنا والاعتراف الذي نسعى له، مُرتبطان بالاقتباس الذي نمارسه للدور المثاليّ، المبنيّ سياسياً واقتصادياً وثقافياً. هذه الأدوار والفئات التي تنتجها وتصنفها، تخلق الاختلاف بيننا، وفي كل مرة نمارس فيها سوء الاقتباس، لا نتلاعب فقط بظهورنا الشخصيّ، بل بالدور "المتخيّل" نفسه، لتأتي الفوتوغرافيا هنا بوصفها توثيقاً وتجريباً للأشكال المخالفة للظهور "الرسمي"، وخلخلة العلاقات التي أنتجته، لتصبح عين الكاميرا وسيلة للعب، ومساحة لتداخل الحدود بين الجديّ واللاجديّ.

يشهد متحف La Graineterie في مدينة أويل، القريبة من العاصمة الفرنسيّة باريس، معرضاً بعنوان "المظاهر"، والمقصود هنا الطريقة التي نكون فيها مرئيين للآخرين، إذ يحاول المعرض عبر الأعمال الفوتوغرافيّة والأفلام القصيرة لخمس فنانات من مختلف أنحاء العالم، تقديم رؤية جديدة للآخر أمام الكاميرا، ذاك المحكوم بالتحديقة الذكوريّة، التي تبني الأدوار، وتُصنف الأفراد على أساس هيمنة الدور المذكّر، مُحاربةً الأشكال التي تخالفها. فالصور التي نراها تتحدى مفاهيم الهوية الجندريّة التقليديّة، التي تحمل خصائص متخيّلة، تساهم بتكويننا بطريقة قد تكون مخالفة لرغباتنا، لكن لا بد من الالتزام بها ورموزها.

> تتضح الأسئلة الجندريّة أكثر لدى الفنانة (آن سوفي غوية) في مجموعتها «الذات الداخليّة»، إذ نشاهد بورتريهات لأفراد يرفضون التصنيف الثنائيّ المتمثل بالذكر والأنثى، في محاولة لجعل الداخلي والخفيّ لدى كل منهم، يطابق الخارجيّ السياسيّ والمرئيّ

أول ما نشاهده هو مجموعة صور بعنوان "معصوب العينين"، لكل من الفنانتين الفرنسيتين جوانا بينانوس وإلسا بارا، والتي أنجزتاها في جزر الكناري العام الماضي، ساعيتان لخلق عوالم مستوحاة من الأحلام، تخلخل الأدوار الاجتماعيّة والفضاء الذي ينتجها، مُستفيدتان من هشاشة الأرض البركانيّة والتغيّرات الدائمة فيها وقدرتها على خلق أدوار جديدة، بسبب حركة "المكان" الدائمة. كأن اللاثبات في الأرض، ينعكس على الصور، التي تتداخل فيها أدوار الرجولة مع أدوار الأنوثة، وكأنها محاولات لالتقاط لحظات من الثبات المؤقت، ضمن عملية التغيير الدائمة وبناء الهوية المستمر، وهذا ما نراه أيضاً في الأزياء التي تتنوع وتختلف، أشبه بتلويحات مفتوحة على التأويل.

تتضح الأسئلة الجندريّة أكثر لدى الفنانة (آن سوفي غوية) في مجموعتها "الذات الداخليّة"، إذ نشاهد بورتريهات لأفراد يرفضون التصنيف الثنائيّ المتمثل بالذكر والأنثى، في محاولة لجعل الداخلي والخفيّ لدى كل منهم، يطابق الخارجيّ السياسيّ والمرئيّ، أي مساءلة العلامات التي تميّز كل دور اجتماعي عن آخر، كطول الشعر واللباس وغيرها من الأشكال الثقافيّة المسيّسة التي تحدد الأدوار مسبقا، وكأن هذه البورتريهات محاولة للتحرر من ضوابط الخارج، والانفتاح أمام عدسة الكاميرا واختيار الشكل الذي يريده كل فرد لذاته، بوصفه انعكاسا لنظرته لذاته، لا مجرد تقليد للدور الرسميّ وخصائصه الشكليّة.

يتيح لنا المعرض مشاهدة فيلم صفاء الكبيرة (2014)، للمخرجة المغربيّة رندة معروفي، والذي تحكي فيه قصة شخصية حقيقية باسم صفاء الكبيرة، وهي رجل يؤدي دور امرأة، مخفيا هويته الحقيقية عن العالم، فصفاء التي كانت تعمل في منزل المخرجة في المغرب، لم يعلم أحد هويتها الحقيقية، وتتحول في الشريط إلى موضوعة جمالية ثقافية، يتداخل فيها الوثائقي مع المتخيل، وخصوصا أن الفيلم يحوي تعليقات من كانوا حولها وشكوكهم حول شخصيتها، وكأننا نكتشف التناقضات بين الصورة المتخيلة عن الدور التي يبصرها الآخرون و"يؤمنون" بها، وبين الرغبة الداخليّة للفرد بأن يظهر كما يريد، وجهوده لتفادي التمييز والعنف في بعض الأحيان.

بورتريهات تحرر الفرد من الشروط السياسية

صفاء التي لا يعرف سرّها أحد

التناقض السابق يتضح أكثر في فيلم قائمة فرنسا (2006) لفاليري مروجين، والذي نراه أقرب لـ"photo montage"، إذ نشاهد مجموعة من صور المنتقاة من مجلة "قائمة فرنسا" التي كانت تصدر في السبعينات من القرن الماضي، مع وصف لما يحدث فيها بصوت المخرجة، ما يخلق المفارقة بين الصورة المتخيّلة التي تقدمها المجلات، وبين الصوت الحقيقي للفنانة.

تؤدي" المرأة" في صور المجلة مبتسمةً للذكور، وسعيدةً طوال الوقت، ومستعدةً في أي لحظة لأن تكون غرضا جنسيا، في حين أن صوت المخرجة يبدو محايدا، أشبه بممثل يردّد كلمات لا يؤمن بحقيقتها، وهنا تكمُن القيمة النقدية للشريط، الذي يحاكم الصورة المصطنعة لربّة المنزل السعيدة، عبر الصوت الذي يفضح هشاشة هذه الصور ووهميتها، ومأساة السعي لمطابقة دور المرأة الذي تروّج له.

> كأن اللاثبات في الأرض، ينعكس على الصور، التي تتداخل فيها أدوار الرجولة مع أدوار الأنوثة، وكأنها محاولات لالتقاط لحظات من الثبات المؤقت، ضمن عملية التغيير الدائمة وبناء الهوية المستمر

أكثر الصور أهمية على المستويين العالميّ والفنيّ هي تلك التي تقدمها الفنانة الجنوب أفريقيّة زانيلي موهولي، التي تتحدّى فيها الصور النمطية للمثلية الجنسيّة، وسياسات الإخفاء الممارسة ضد المثليات والمثليين، لتكون أعمالها محاولة لجعل الهويات الجنسيّة المختلفة أكثر مرئية، وحاضرة في السياقات اليوميّة المختلفة، بل حتى تدعو إلى تجاوز التصنيفات، وقبول الإنساني بكل أهوائه ورغباته، بعيدا عن المعايير المسبقة التي تدّعي الصحة.

كاد الشاهد يكون شهيدا

فيلم «يوم آخر من الحياة»

سعد القرش
روائي مصري

❏ كما تورط صحافي بولندي عاطفيا وانخرط في ثورة تحرير أنغولا، وقعتُ في غرام «كارلوتا»، الفتاة العشرينية الأنغولية الوسيمة الشهيدة، رمز هذه الثورة، شبيهة كل بنات الدنيا وكل فتيات المقاومة في أغلب الثورات، ولكن ابتسامتها في اللقطات التسجيلية طفولية ساحرة وآسرة بما لا يقاس ولا يقارن. وعلى الرغم من كثرة الأفلام في المهرجانات وغيرها، واختلاط الأسماء وتدافع الوجوه، فلا تحتفظ الذاكرة إلا بمن حفر فيها ملامحه، واتخذ لنفسه مقاما فلا يغادر، بل يحرّض على إعادة مشاهدة الفيلم من جديد. وكان هذا حظ «كارلوتا» في قلوب مشاهدي الفيلم الوثائقي «يوم آخر من الحياة» الذي نال جائزة «سينما من أجل الإنسانية»، مناصفة مع الفيلم الروائي المصري «يوم الدين»، في ختام الدورة الثانية لمهرجان الجونة السينمائي، الجمعة 28 سبتمبر 2018.

فيلم «يوم آخر من الحياة» إنتاج بولندي إسباني بلجيكي ويبلغ طوله 86 دقيقة، وكان يستحق جائزة أكبر، ولكنها ذائقة لجنة التحكيم التي ربما واجهتها صعوبة التفضيل، في مسابقة قوية ضمت 12 فيلما لا تتنافس على الجوائز، بقدر ما تتبارى في الجودة بشرطيها الإنساني والفني، وهما من أسباب تميز هذا الفيلم الذي شارك في إخراجه كل من الإسباني راؤول دي لا فوينتي والبولندي داميان نينو.

يطرح فيلم «يوم آخر من الحياة» قضايا إنسانية ومهنية أبعد من حكاية يسهل تلخيصها بأنها حرب استقلال جاذبة لشهية قوى دولية وإقليمية، إمبريالية أو مناصرة للثورات.

ومن القواعد الخاصة بالعمل الصّحفي تحرّي الموضوعية؛ لتفادي الانحياز إلى طرف في أي صراع تتم تغطيته، ولكن المراسل الحربي البولندي ريتشارد كابوتشينسكي (1932 ـ 2007) لم يقاوم نداء آدميته، فلم يكتف بالتعاطف مع الحركة الشعبية لتحرير أنغولا عام 1975، وإنما شارك في الثورة بإيمان المحب، وأصبح شاهدا، وكاد يكون شهيدا مثل رفاقه من مواطني البلد الأفريقي الطامح إلى الاستقلال.

ولا تزال ذاكرة المتابعين حول العالم لثورة 25 يناير 2011 في مصر تستعيد مثل هذا الخليط، من التعاطف والحب، لدى أغلب أو كل المراسلين في تغطيتهم لوقائع الثورة التي أنجزت خلع حسني مبارك بعد 18 يوما من الاحتجاجات السلمية الحاشدة في عموم مصر. وفي التحركات الشعبية العادلة، من أجل التحرير أو الحرية، يكون الحياد قاسيا إن لم يكن تجاوزا أخلاقيا.

والقضية الأخرى التي أثارها الفيلم، ولم ينشغل بالتنظير لها ومناقشتها، هي انشقاق قائد عسكري عن جيش بلاده، وانضمامه إلى من يفترض أن يقاتلهم، فما الحدود الفاصلة بين الخيانة «الوطنية» والإنصات إلى الوازع الإنساني انتصارا للضمير؟

بين عامي 1975 و1976 كانت أنغولا ساحة لصراع قوى كبرى من داخل أفريقيا وخارجها. فحصولها على الاستقلال، وتصدّر الحركة الشعبية لتحرير أنغولا للمشهد، لم يكونا كافيَيْن لاعتراف الولايات المتحدة، ولعبت وكالة المخابرات المركزية (CIA) أدوارا في اضطرابات وفوضى وحرب أهلية، بالتواطؤ مع جنوب أفريقيا التي زحفت قواتها إلى الشمال، فاستعانت الحركة الشعبية لتحرير أنغولا بكوبا، وأمدتها بقوات عسكرية.

ومن ثلاث زوايا تمثل مثلث الثورة، ينطلق كل من الصحافي البولندي ريتشارد كابوتشينسكي، والمناضلة الشابة كارلوتا، والقائد البرتغالي المنشق «فارّوسكو» الذي يناصر الحركة الشعبية لتحرير أنغولا، ويخوض حرب عصابات، ويفقد الكثير من جنوده، ولكنه يراهن على الأمل في النصر.

الفيلم الذي استغرق إنجازه عشر سنوات، كما قال مخرجه راؤول دي لا فوينتي، استند إلى كتاب كابوتشينسكي «يوم آخر من الحياة»، ويمزج الرسوم المتحركة بصور فوتوغرافية قديمة، ومقاطع فيديو أرشيفية، وشهادات حية يستعيد فيها شهود الأحداث وقائع ما جرى.

ويتتبع الفيلم خطى كابوتشينسكي ومغامرته بين متقاتلين فرقاء، وقد تعرض للموت وأنقذته كارلوتا، الشجاعة خفيفة الظل ذات اللسان السليط، ثم اكتشف فيها وجها محبا للحياة، وفاجأه مصرعها في إحدى العمليات، ووجد عزاء في لقائه ببطل المقاومة فارّوسكو. كان كابوتشينسكي وفارّوسكو رجلين لا ينتميان إلى البلد الأفريقي، ولكنهما آمنا بعدالة قضية واحدة جمعتهما.

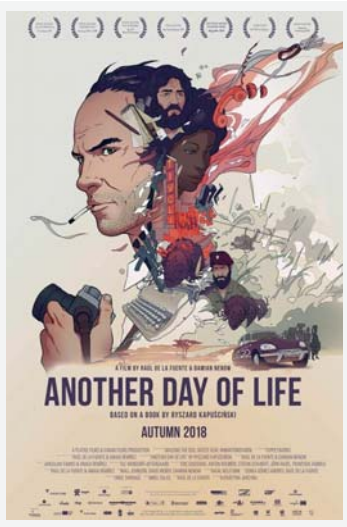

> يطرح فيلم «يوم آخر من الحياة» قضايا إنسانية ومهنية أبعد من حكاية يسهل تلخيصها بأنها حرب استقلال جاذبة لشهية قوى دولية وإقليمية، إمبريالية أو مناصرة للثورات

مشاهدة الفيلم متعة خاصة، غوص في التاريخ وتوتّر مع لحظات مستعادة كأنها تحدث الآن وأنت جزء منها. ولا يخلو الفيلم من إشارات تدين الاستعمار القديم، وتذكّر بتراث الاسترقاق، إذ كانت في كوبا أمَة من أصل أفريقي، اسمها كارلوتا، تعمل في مصنع للسكر، وقادت ضد تجار العبيد الإسبان تمردا عام 1843، وعاقبتها سلطات الاستعمار الإسباني باغتيال وحشي. وتم تكريمها في حرب استقلال أنغولا بإطلاق اسمها على عملية عسكرية حاسمة، بمشاركة كتائب الحرية الكوبية.

يدين الفيلم استعمارا تقليديا لا يستسلم بسهولة، ويرفض الاعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها، كما يتهم قوى ما بعد الكولونيالية بمحاولات السيطرة العابرة للقارات، إلا أنه في الوقت نفسه شهادة على وجود استثناءات لضمائر حية، لديها وفاء بالتزامها الأخلاقي، أيا كان ثقل التضحيات وكارثية المصائر، ويمثل هذه الاستثناءات كل من البرتغالي فارّوسكو والبولندي كابوتشينسكي الذي جاء مراسلا صحافيا مغامرا، وأنضجته التجربة القاسية فخرج منها كاتبا مرموقا، ورغم تعدد شهاداته على حروب أهلية أخرى، فقد ظل كتاب «يوم آخر من الحياة» أفضل أعماله. لقد ولدا معا، الكاتب الحر وأنغولا الحرة.

يدين الفيلم الاستعمار التقليدي

الصورة كائن حي

تجربة المصور والناقد البحريني حسين ميرزا علي

عباس يوسف
فنان من البحرين

❑ تعرفت إلى المصور والناقد الفوتوغرافي حسين ميرزا علي في بداية ثمانينات القرن الماضي.. جمعتنا الصورة البصرية والكتاب والثقافة بوجه عام، منذ ذلك الوقت وتحت مظلة عضوية جمعية البحرين للفنون التشكيلية وهو نشط في مجاله. الصورة، شكلها، بداياتها عالميا ومحليا، تقنياتها بدءا من التصوير وانتهاء بالتحميض وصولا إلى الطباعة الرقمية الحالية وأنواع آلات التصوير، مجال لا تفوته منه شاردة ولا واردة، إلّا وألمّ بها واطلع عليها. سيرته الذاتية عن ذلك تحكي قصته: من مواليد 15 فبراير 1948 بالمنامة، نال شهادة الثانوية العامة سنة 1968 وتخرج في جامعة موسكو/ كلية الإعلام سنة 1977، وفي عام 1985 انضم إلى الاتحاد الدّولي لفن التصوير الفوتوعرافي ومن ثم ساهم في تأسيس نادي التصوير الفوتوغرافي في جمعية البحرين للفنون التشكيلية سنة 1987 بدعم منقطع النظير وتوجيه من الفنان الشيخ راشد بن خليفة آل خليفة رئيس جمعية البحرين للفنون التشكيلية. شارك في المؤتمر الدّولي للاتحاد الدّولي لفن التصوير الفوتوغرافي في مدينة ميلتنبيرغ وعيّن ممثلا قاريا للاتحاد في الشرق الأوسط.

عام 1990 أصبح أول عضو عربي في الفياب (FIAP) في الوطن العربي وشارك في العديد من المؤتمرات الدّولية ذات الصلة بالتصوير الفوتوغرافي والعديد من المعارض ولجان التحكيم في ذات المجال. وحتى آخر أيام حياته كان يجول المعارض ويحمل كاميراه أينما حطّ قلبه مقدما نصائحه وملاحظاته للجيل الجديد من المصورات والمصورين الفوتوغرافيين وما يملك من خبرات فنية وتقنية ورؤوية في حقل التصوير الفوتوغرافي من خلال ارتباطه بالحقول الثقافية والعلمية الأخرى.

شغف مبكر بالصورة

صورة الطفل أو الصبي الصغير أليست صورة ملكية؟ يعني في ذلك السن، انظر إلى لمعان الحذاء إلى البدلة إلى الوردات في الجيب جهة القلب تمعّن في النظرة.. تمعّن في الوقفة.. أليس هذا فعل مخرج؟

المخرج كان الوالد (رحمه الله) المدرس الأول بالنسبة إلى حسين بن ميرزا علي، نعم علمني كيف أمسك الكاميرا كيف أقف وكيف أنظر وأكوّن المشهد وفي أي اتجاه من الضوء أحرك الكاميرا. منذ ذلك اليوم ولعت بالكاميرا وصارت عشقي. بعدها صار يعطيني الكاميرا ويطلب مني التقاط صور لإخوتي. طبعا لم نكن نصور السيدات، كان التصوير مقتصرا على الذكور فقط، واسم الكاميرا "كوداك براوني" (Kodak Brownie) كانت أبعاد "النجاتيف" (السلبية) 6/4 أو 4/4 سم.

كان للأب التأثير الأكبر على عشق حسين علي وشغفه بالتصوير الفوتوغرافي. كنت أسأل والدي كيف نظهر الصورة؟ وقتها كان يأخذني إلى محل ليس ببعيد عن دكانه في شارع الشيخ عبدالله الذي كان يبيع فيه الجلديات وسروج الخيل ومسلتزماتها لنقدم الفيلم للتحميض. هناك كنت أسأل صاحب المحل كيف يتم تحميض الفيلم؟ طبعا كان يتحاشى تزويدي بأي معلومة بسبب صغر سني في ذلك الوقت. بعد فترة قال لي إن هناك مظهرا (Developer) ومحلولا آخر كان يسمى مثبت (Fixer) ويباعان في محلات أشرف بشارع باب البحرين. ذهبت إلى هناك واشتريت بتشجيع من الوالد كل تلك المحاليل الكيمياوية. وقتها لم تكن تتوفر أجهزة التكبير، تعلمنا كيف نحضر هذه المواد مستخدمين لذلك أدوات المطبخ، وكيف تتم طباعتها مباشرة من النيجاتيف (الطباعة بالتلامس) كنا نعتمد في تحميض النجاتيف على الاستوديو بعدها نقوم بطباعتها ليلا بطريقة التلامس في أحد أركان المنزل المظلمة.

مرت الأيام والسنون ونحن على نفس المنوال حتى نهاية المدرسة الابتدائية والانتقال إلى المدرسة الثانوية بالمنامة. هناك تطورت الأمور عندما لاحظ أحد المدرسين المصريين المتحمسين (محمد يوسف) اهتمامي بالتصوير فقام بتأسيس نشاط لصفي بتشجيع من مدير المدرسة آنذاك (الأستاذ عبدالملك الحمر) تحت مسمى "مجموعة التصوير الضوئي"، وكان ضمن التلاميذ الذين انضموا إلى أنشطة المجموعة صاحب الجلالة الملك الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين، حينها كان وليا للعهد وكان يشاركنا في طلعات المجموعة بأريحية واهتمام بالنشاط الفوتوغرافي، وهناك صورة تجمعنا في مختبر التصوير بشركة بابكو ويظهر في الصورة المصور القدير والمخضرم عبدالله الخان الذي حفظ هذه اللقطات في أرشيفه الفريد حتى يومنا هذا. وتراني حاملا لآلة تصوير من طراز الأفلام ذات المقاس 120.

بعد التخرج من المرحلة الثانوية اشتريت أول آلة تصوير حديثة بمقاييس ذلك الزمان سنة 1968 (Konica Autoreflex T) ومباشرة طلبت جهاز تكبير من شركة بريطانية متخصصة في هذا المجال اسمها (Gnome) أي الشبح الحارس. وللتوثيق لديّ صورة وأنا جالس أمام هذا الجهاز الأعجوبة. ذكريات جميلة فعلا. كيف تغلغل هذا الفيروس الحميد في كياني وبقوة منذ تلك السنوات؟

ثمة حكاية أخرى: عرفنا التصوير الفوتوغرفي كنشاط تسجيلي توثيقي يبعث على البهجة والفرح أعني تصوير الأصدقاء، المنازل، الفرجان، والقرى وما يدور حولنا. لم نكن ندرك البعد الفني والتعبيري للعدسة، إلّا في الستينات من القرن الماضي، ووقتها كنت من محبي السينما شاهدت فيلما لمايكل أنجلو أنتونيوني (Michelangelo Antonioni) ربما في عام 1966 كان اسم الفيلم بلو آب (Blow Up) ترجم الاسم على أنه الانفجار، وهي ترجمة خاطئة لأن بلو آب هو تعبير فوتوغرافي يستخدمه الفوتوغرافيون، فحين تقول (blow up the image) يعني ضخّم الصورة أو كبرها. الفيلم أثر عليّ وعلى الكثير من الشباب الحالم. بل أظن أنه أثر في جيل كامل ودفع الكثير من الشباب في العالم إلى دخول كليات التصوير والسينما والانخراط في النشاط الإبداعي ولهذا حديث آخر.

أول مهنة زاولتها هي التدريس؛ ثمة صورة التقطت في مدرسة رأس الرمان التي كانت تطل على البحر مباشرة. كان البحر يغسل جدرانها، مديرنا كان الأستاذ المرحوم جمعة منديل. التقطت الصورة بكاميرتي، بواسطة أحد الزملاء، لمجموعة من الأساتذة الأفاضل وقد حالفنا الحظ أن الصورة واضحة وعمق الميدان كان مضبوطا وهذه ذكرى لن تنسى، الصورة تحكي أشياء كثيرة وكثيرة فعلا. بعدها تحولت إلى مدرسة ابن سينا، عموما أمضيت سنتين في وزارة التربية والتعليم فقط مباشرة بعد حصولي على شهادة الثانوية العامة، بعدها انخرطت في حياة البنوك والمال والقروض وحياة السفر وهذه حكاية أخرى.

دقت مطرقة المزايد مساء 8 نوفمبر 2011 في قاعة كرستي بنيويورك لتعلن عن بيع أغلى صورة فوتوغرافية في العالم، لمقتن (لم يعلن عن اسمه) بمبلغ (4.4) مليون دولار، سماها مصورها الألماني أندرياس كورسكي، 1955 (Andreas Gursky)، "الراين2" ويبلغ حجمها 81×140 بوصة.

كتب بهذه المناسبة الناقد والمصور الفوتوغرافي الأسترالي روبرت ماك فارلين 1942 ما هو ليس غامضا في صورة "الراين2" أن أيّا منا بكاميرا هاتفه يستطيع أن يلتقطها، ويضيف لكن أرى أنها في العمق تثير حوافز الاستكشاف العكسي للشاعرية وتظهر الاشمئزاز العميق من المجتمع المعولم الموغل في الاستهلاكية.

ولنهر الراين أهمية طوطمية لدى الأوروبيين والألمان خاصة، فهو أطول أنهار أوروبا يشق طريقا مستقيما ساقيا في طريقه ستة بلدان مختلفة بما فيها مدينة دوسلدورف التي يعيش فيها المصور نفسه وينتهي مصبه في بحر الشمال. ما الذي يدفع مقتني الفنون ويحفزهم للإقبال على مثل هذه اللوحة البسيطة، وهي من أصل ست نسخ لها بهذا السعر المرتفع؟ هل السر في ألوانها وتكوينها؟ هل تحمل اللوحة الفوتوغرافية معانيها وأجواءها الخاصة الغامضة؟ غير تقنياتها المقروءة مثل: الإضاءة، التكوين، الحجم، المنظور، العدسة، التباين، الألوان، الزاوية، الظل، الزمان، المكان، سرعة الغالق، شدة الإضاءة، الحساسية الفيلمية أو الإلكترونية، أم أن هناك لغة تتميز بها هذه الصورة الفوتوغرافية وأبجدية تستفرد بها.

عندما ننظر إلى أي صورة فوتوغرافية ندخل في خليط من الحالات المحيطة بظروف إبداعها، والمتعلقة بالتوقعات والافتراضات التي نضفيها من ذاتنا على محتوى الصورة وموضوعها، أكثر من عملية النظر التي تمثل في حد ذاتها عملية إدراكية من جانب واحد. وتبرز عند القراءة -أيّ قراءة- تحمل في أغلب الأحيان إشكالية مزيج جدلي من المعاني والعلامات الغامضة والمتبانية بين القارئ والصورة، وتبلغ ذروة معناها عبر ما تم التعارف عليه بالتحليل االفوتوغرافي، وهو عبارة عن لغة ورموز وإشارات لها أبجديتها وقواعدها ودلالاتها، وهي لغة بصرية نفسية عميقة مركبة وغنية كأي لغة مكتوبة لها أبجديتها ونحوها وتاريخها، كما يصر على ذلك بروفيسور فلسفة الإعلام البصري الإنكليزي فكتور بيرجن (Victor Burgin) من مواليد 1941.

فهم الصورة الفوتوغرافية

إن إمكانية فهم الصورة الفوتوغرافية ليس بالأمر الهين، الصور الفوتوغرافية عبارة عن سطور مكتوبة بأبجدية بصرية. وكأي لغة أخرى توظف الرموز والإشارات والدلالات في ما وراء الصورة نفسها. أي أن النص الفوتوغرافي يصبح ساحة للتداخل المعقد للمعاني حيث تمتزج توليفة من النصوص السابقة المسلم بها في بوتقة ثقافية وتاريخية محددة.

هذه هي القضية المركزية في فهم كيف تقرأ الصورة كنص، ونشير إلى طبيعة الصورة الفوتوغرافية الحاملة للنقيضين في نفس الإطار، كناطق للمعنى ومرشد للحقيقة -الواقع- وبطرق أكثر حدة نرسم بوضوح المدى الذي نرفع إليه تجربتنا مع الصورة إلى اللغة الدلالية في فضائها الأرحب للمعاني التي تحملها الدلالات الفوتوغرافية.

إذن نحن نمر بتجربة مزدوجة مع الصورة، من حيث إنها مرآة عاكسة، ومنصة انطلاق للتجربة مع العالم. ولا يمكن -وبالرغم مما قد تبدو عليه من سلبية- أن تكون حيادية المعنى والمظهر. يمكن أن نقول ونحاجج أن الصورة في جميع الأحيان تحمل رسالة أيديولوجية مشبعة بالمعاني، فهي نص كثيف مكتوب بمرجعية أيديولوجية تركب المعاني وتعكسها كختم لتلك الحقبة أو السلطة.

إذن لقراءة الصورة علينا أن ندخل في سلسلة من العلاقات الكامنة -إن جاز التعبير- بقوة الصورة الظاهرة أمام أعيننا، حيث تتوجب علينا قراءتها أيضا كخطوة فعالة في عملية الإدراك البصري والمعالجة النفسية.

حسين ميرزا علي بعدسة صديق

طقس لندني بعدسة حسين ميرزا علي

بقية النص ينشر على الموقع الإلكتروني بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية

أنا هو المهاجر الذي أضاع طنجة

الكاتب المغربي بالإنكليزية أنور مجيد: لا يسار ولا يمين.. كلنا مورسكيون

كاتب يكاد يكون مجهولاً عربياً، والسبب إقامته المديدة في أميركا التي وصل إليها في الثمانينات من القرن الماضي طالباً، وتحوّلت إلى مقر لإقامته. ولد في طنجة (1960). وغادر إلى أميركا لدراسة السينما، في رصيده رواية "السي يوسف" التي صدرت في طبعتين (1992 و2005). وفي رصيده ثلاث روايات وخمسة مجاميع قصصية غير منشورة. له عدد من الكتب في الفكر والحضارة الصادرة بالإنكليزية هي "إماطة اللثام عن التقاليد"(2000)، و"حرية وأرثودوكسية" (2004)، و"دعوة إلى الزندقة" (2007)، و"كلنا مسلمون" أو موريسكيون ويقصد الذين طردتهم إسبانيا وأبادت أغلبيتهم (2009)، و"الإسلام وأميركا"(2012). يشتغل حاليا أستاذ الحضارات والأدب بجامعة نيو إنكلند، ونائب رئيس الجامعة ذاتها بولاية ماين بأميركا. وهو مدير فرع جامعة "نيو إنكلند" بطنجة، والمكلّف بالتواصل ومتابعة فروع الجامعة عبر العالم. وهو مؤسس "منتدى طنجة العالمي"، ومدير مجلة تحمل اسم "طنجة". هو عاشق لهذه المدينة، ويشعر أن الشيء الوحيد الذي أضاعه في حياته هو طنجة. "أشعر بالضياع، والتيه هناك بعد خمس وثلاثين سنة. أشعر أني أضعت روحي. وهل رأيت أحدا أفلح في استرجاع روحه؟" يتساءل. زار المدينة لافتتاح الموسم الجامعي الجديد، فكان لـ"العرب" هذا الحوار معه.

أنور مجيد: انصاف الحضارة العربية وثقافة الإسلام من باب نقدي

عبدالعزيز جدير
صحافي من المغرب

أتى مجيد إلى الكتابة عبر كتابة سيناريو عنوانه "السفر الطويل" (1983) وهو طالب بمدرسة الفنون البصرية بنيويورك. يدور النص حول هجرة مواطن مغربي إلى بريطانيا، حيث سيعاني من مشاكل عدة منها صعوبة التأقلم في المجتمع الغربي وتعنيفه سيدة كان ارتبط بها.. وحين عيّن مجيد أستاذا بجامعة "سيراكيوز ، واختارته إدارتها لتدريس سجناء خطيرين يقبعون بأحد السجون الأكثر حراسة بالبلد سيتعرف على مغربي يقضي مدة حبسية لأنه عنف زوجته تعنيفا يضج بالقسوة. أيستوحي الواقع الخيال؟

يقول "انتميت إلى جامعة مدينة نيويورك، لمتابعة الدراسة بالشعبة الأدبية. وكتبت رواية قصيرة، هذه المرة، عنوانها "السيد ريتشارد"، وهو مواطن أميركي جاء للعيش بطنجة. وتقدم الرواية الحياة بالمدينة عبر رؤية هذا المواطن، وتأملاته. واقترح أحد أساتذتي عرضها على كاتبة شهيرة جدا بالكلية يومها، گْرَايْسْ بايْلي، لتدلي برأيها النقدي في النص. وبعد أيام توصلت برسالة من توقيعها. ومما جاء فيها "كتابتك باللغة الإنكليزية رائعة، وتمثل هبة هواء جديدة..". وشاركت بنص "السيد ريتشارد" في مسابقة أدبية وأحرزت على الجائزة الثالثة، لمسابقة "DeJur Prize". وقال عن النص وصاحبه أحد الأساتذة "إنك كاتب، ويمكن أن تكون جوزيف كونراد الجديد". وهكذا جعلت من الكتابة هواية خاصة أمارسها إلى جانب الدراسة.

"وقد خففت الكتابة، يومها، من وجع الحنين والدراسة.. ومنحتني القوة، والمتعة، والإقبال على الحياة. ولا تمنحك الكتابة الفكرية المشاعر ذاتها، لأنها تقوم على البحث، وتحري الدقة".

طنجة الحلم والإلهام

يقول عن بلسم الكتابة إنه يكتب من دون وضع تصميم. "والكتابة التخييلية خلق لعالم جديد يختلف عن المرئي الذي أمامك. هو أكثر من محاكاة. كنت دائما منشغلا بمدينتي طنجة، وأنا أوجه ناطحات السحاب، والشوارع الفسيحة بنيويورك.. طنجة تشغل فكري، تبدد قلقي.. هي موطن التفتح، لوجود جاليات مختلفة من العالم يعلّم بعضها بعضا قبول الآخر، وقبول فكره من دون أن تشعر أنك الأرفع أصلا، والأسمى شأنا.. قيمة الإنسان في ما يبذله من جهد لخدمة بني جلدته، وبني إنسانيته".

"وذات يوم لفت انتباهي مواطن طنجي يرتاد مقهى، أرتادها بدوري.. وسمعت شذرات عن حياته فشكلت منطلق الكتابة. وهكذا رأت رواية 'السي يوسف' النور. وكل ما في النص خيال وهواجس المرحلة والذات. وقد رأى بعض النقد في النص رسالة حب إلى طنجة وفيها.. وهي السحر عينه.. وأحس وأكاد أدرك أن هناك روحا تسكن طنجة، أقصد مناخا روحانيا يدثر المدينة. أحس في طنجة بما لم أحس به في أي مكان زرته، وأقمت به. وأنت تعلم أني شبه رحالة".

إسبانيا، لا أميركا واليابان

يؤكد مجيد أن أحسن نموذج للدولة، عبر العالم، هو إسبانيا. وعلينا أن نتخذ من إسبانيا الآن نموذجا لبلدنا. هي بلد يحافظ على تاريخه ورموزه التاريخية، وهي في الغالب رموز ذات طابع إسلامي، (شخصيات: ابن رشد.. وعمران: غرناطة، والحمراء..). وقد أحسنت إسبانيا المحافظة على هذه المآثر كما لم تقم بذلك أي دولة أخرى. وحولتها إلى مصادر لجلب العملة الصعبة عبر السياحة.. وقد تغيّرت إسبانيا سياسيا واجتماعيا ودينيا.. كانت دولة كاثوليكية وتحررت الآن من طابعها الديني وصليبيتها المتشددة.. كما تصالحت مع تاريخها، واستوعبته، ولكنها لا تقدسه بل انخرطت في الحداثة التي تغزو كل شبر من العالم بحكم العولمة.

حين كتب مجيد أول مقالة فكرية "هل يستطيع النقد ما بعد الكولونيالي أن يتحدث؟" بعث بها إلى مجلة شهيرة (Cultural Critique). أحالتها على متخصصين، وأعضاء لجنة علمية، لإبداء الرأي. ومن الذين قرأوا البحث عالم معروف جدا ويسمى لويد. وقال لويد وغيره لأعضاء اللجنة "هذا البحث مهم جدا ويستحق أن نخصص له العدد كاملا، ونستكتب إدوارد سعيد وسبيفاك للرد عليه، وغيرهما أيضا". ونشرت المقالة واحتلت صدارة المجلة.. ويعلق مجيد "كانت المقالة فاتحة خير، فقد أسهمت في التعريف بي".. والمقالة رد على غاياتري سبيفاك ومقالتها "هل يستطيع التابع أن يتحدث؟". ويؤكد مجيد "كانت سبيفاك تقصد هل يمكن لهؤلاء المنبوذين في الهند التعبير عن أنفسهم؟ وهم طبقة ما تحت الكادحين. وقد بينت أن هناك شخصا آخر يتحدث عنهم، باسمهم. ووجهت نقدي لها ولإدوارد سعيد أيضا. فهو أسس نقده للفكر الغربي من الثورة الفرنسية إلى القرن العشرين بينما الاتصال الحقيقي بين الغرب والعالم العربي والإسلامي بدأ نهاية القرن الخامس عشر مع سقوط الأندلس؛ وهو خروج من التاريخ والجغرافية. فهما معا لا يلمان بكل تفاصيل الثقافة العربية وموضوعة الإسلام. وقد اعترفت سبيفاك ببعض هذا، وأورده باحث في إحدى المجلات".

"ولما تبين للنقد أني أدافع عن الإسلام والمسلمين طلب مني بعض الباحثين وجوب التعرض لحقوق الإنسان في الإسلام، وطبيعتها فكتبت "سياسات الأنثوية في الإسلام" متناولا حقوق المرأة في الإسلام. وهو موضوع السجال الذي يحاول الباحثون الغربيون أن يطعنوا من خلال قناته في الإسلام والمسلمين. وبينت أن النسوية ليست رديفا للهيمنة الثقافية، بل يجب أن يكون هناك نظام يمكن المرأة من أن تعيش هويتها، وشخصيتها، من دون مضايقات، وبكل عدالة. فلا يجب أن تتخلى عن ثقافتها، وعن عاداتها.. وذلك لأن الثقافة الرأسمالية والإمبريالية هي سبب كثير من الأوبئة التي فتكت بالعالم وثقافاته. وقد ولجت هذا الباب لأ تمكن من توضيح معاناة الحرية من الوهم. ووجوب المحافظة على ثقافة الشعوب الأخرى حتى لا تندثر تحت وطأة هيمنة الثقافة الإمبريالية والرأسمالية الغربية. نشرت المقالتان ضمن كتاب "إماطة اللثام"، إماطة اللثام عن كل أصناف التقاليد: تقاليد الاستعمار، وتقاليد الرأسمالية، والنزعة الأبوية الإسلامية. وتقاليد كل الأنظمة.. وقد انتقد الكتاب كل ما هو سلبي في تقاليد الغرب، وكذلك في تقاليد المسلمين، لأن العالم أصبح عالما متعدد الأقطاب.

> ووجهت نقدي لها ولإدوارد سعيد أيضا. فهو أسس نقده للفكر الغربي من الثورة الفرنسية إلى القرن العشرين بينما الاتصال الحقيقي بين الغرب والعالم العربي والإسلامي بدأ نهاية القرن الخامس عشر مع سقوط الأندلس

مصل حرية الفكر

يتابع مجيد، وفي كتابي الثاني "حرية وأرثودوكسية" اعتمدت على الفكرة التي طورها المفكر الفرنسي كورنيليوس كاستورياديس، وهي "المتخيل الاجتماعي". وهي نظرية معقدة جدا، وتبين أن المتخيل الاجتماعي يحدد ويتحكم في قواعد اللعب بين اللاعبين في المجتمع، ويصعب عليهم بل يكاد يستحيل التحرر من هيمنته، وتوجيهه للفرد. لأنه يتسرب إلى مسام الفرد. وقد كنت أتساءل دائما كيف يمكن لنا أن نقوم بإصلاح داخل واقع ثقافي يتسم بالتعقيد؟

"ولذلك اتجهت صوب گلانفيل هيكس للانطلاق من كتاباته وفهم نظريته للوقوف على أسباب كون أميركا هي الدولة الوحيدة في العالم الغربي التي اضطهدت فيها الشيوعية بطريقة عنيفة جدا. بينما كانت الدول في أوربا الغربية تسمح بوجود حزب شيوعي، وتقبل بنشاطاته. وهو ما تطلب فهم المجتمع الأميركي، وفهم ثقافته، وطبيعة نظامه الرأسمالي.. وقد استعملت هيكس كوسيلة للفهم، لبلوغ هدف معيّن. وفي الآن نفسه، حاولت الإجابة عن الأسئلة التي تعيق قبول الفكر الاشتراكي، أو الشيوعي في المجتمع المغربي، والعربي الإسلامي عموما. كما طرحت علي وأنا طالب بمدينة فاس يعاين صراع الطلبة اليساريين واليساريين الجذريين، وطلبة التيار الإسلامي.

التطرف الأميركي

هو عنوان بحث لمجيد، ويبدو أن أثر گلانفيل هيكس عليه كبير لأنه جعل من مشروع هيكس بعض مشروع عمله. لرفض أميركا والمغرب الفكر الاشتراكي ومحاربته. وهو طالب بمدينة فاس لاحظ أن طلبة اليسار والإسلاميين لم يفهموا معا طبيعة ثقافة المغرب. إذ كيف ليساري أن يتحدث إلى فلاح مغربي عبر فكر ماركس، ولينين؟ فهل يستطيع أن يناقش الفلاح المغربي ويقنعه، ويجذبه إلى صفوفه؟ "ولم أستطع أن أفهم سعي الإسلاميين لأنهم جلبوا ثقافة وفكرا غريبين عن المغرب والمغاربة وهما ثقافة وفكر الوهابيين من عادات، وممارسات وشرعوا يزرعونها في رحم المجتمع المغربي. لعل ما يميز إسلام المغرب هو بعده الصوفي المتسامح".

غربلة وتنخيل

الكتابان الأوليان (إماطة اللثام) و(حرية وأرثودوكسية) جعلا الكتاب والنقاد في بحوثهم كما يكشف الكاتب" يصنفونني ضمن نقاد النظام الاستعماري الغربي، والمدافعين على الهوية الإسلامية في بعدها التقدمي، التي تمنح الحقوق للناس أجمعين. لكن ما إن حلّت سنة (2007)، ونشرت كتابي "دعوة إلى الزندقة" حتى تكسرت تلك الصورة، وتم اعتماد تصنيف آخر. ذلك أن معظم القراء، والنقاد لم يفهموا الهدف من الكتاب، باستثناء قلة قليلة. ومنهم ناقد هولندي مختص يكتب في الموضوع ذاته. التقاني ذات ندوة وقال لي "لا تزال الاستمرارية حاضرة في كتاباتك". وطربت لذلك لأني عرفت أن هناك من فهم القصد من تأليف الكتاب. ذلك أنني كنت أومن، في كتابي الأول والثاني، أن إصلاح المجتمعات الإسلامية يجب أن يكون إصلاحا تدريجيا. وبعد ذلك، وانطلاقا من كتاب "الدعوة..."، فكرت وقلت يجب أن تحدث قطيعة تدعو القارئ، وعامة الناس إلى النظر إلى وجه آخر للإسلام. هو جزء منه.. ولا يبقوا تحت رحمة دعاة الفكر المتزمّت، الذين يعتقدون أنهم من يملكون الحقيقة الوحيدة الممكنة.

"وعدت في الكتاب إلى فترات من تاريخ الإسلام حيث سادت حرية الفكر، وهي فترة قصيرة نسبيا، وما ارتكب الفكر الحر آثام كما ارتكبها غيابه وفرض الإجماع. ولحظتها نشط الفكر، وناقش المفكرون النبوة، ودلائل النبوة، والخلق".

لعل القراءة تلهم كما المكان. يضيف مجيد قائلا "للعرب" "كل كتاب هو فاكهة قراءات وتأمل. ثم إنني أتعامل مع قراءاتي بعقل منفتح. ولست من النوع الذي يمتلك قناعات لا تتغير. قراءاتنا تغيرنا، تأمل الكون والناس يغير بعض مفاهيمنا. الواقع اليومي خير معلم. لا يجب أن نقرأ لتأكيد قناعاتنا.

"في تلك اللحظة، فتحت لي القراءة آفاقا جديدة في البحث. وانتقلت في كتابي الآخر (الإسلام وأميركا: من أجل مستقبل بدون أفكار مسبقة) إلى سؤال، وهو لم تحتج أميركا والإسلام إلى الفكر "الزندقي"؟ لأنهما معا يمثلان نظاما قمعيا. أميركا لأنها تعاني من ضغط اجتماعي واقتصادي وليد النظام الرأسمالي، وهو نظام قمعي بامتياز لأنه يستهدف الربح. وقمع في الآن ذاته المفاهيم التقدمية التي أتت بها الثورة الأميركية في القرن الثامن عشر. ويعاني المسلمون من قمع ديني، قمع يرتدي لبوس الدين، لم يستطع المجتمع التحرر منه. قمع وليد النظام الرأسمالي كسر المبادئ الديمقراطية ووأدها، وآخر وليد الإسلام السياسي، التقليدي فرض حياة تفقر الوجود الفردي والجماعي". ولا يقصد مجيد بالزندقة الإلحاد، بل التعامل مع الأديان بعقل نقدي، منفتح، لا يقبل بتعطيل العقل.

كلنا أقليات

فاجأ مجيد الكتّاب والقرّاء بالكتاب الرابع "كلنا موريسكيون" حيث رأى فيه الجميع دفاعا عن المسلمين، بينما كان انتقد جوانب من حياتهم وأميركا في الكتاب السابق. وصدر الكتاب بمناسبة مرور أربعمئة سنة على طرد المسلمين من الأندلس سنة (1609) وتعرضهم للإبادة الجماعية باعتبارهم "أقلية" لحظة سعت إسبانيا إلى بناء الوحدة الوطنية وتوحيد ساكنتها في ظل المسيحية واللغة القشتالية واحتاجت إلى إلغاء الآخر (المسلمون واليهود باعتبارهم أقلية) باعتباره عدوا.. اشتغل على الكتاب طيلة أربع سنوات وأصدره سنة (2009) مواكبة للذكرى.. ويجمع الكتاب بين التاريخ وتناول كل القضايا الراهنة: الهجرة والأقليات والإبادة. ذلك أننا جميعا، بشكل أو بآخر، أقليات في نهاية المطاف. وقد جاء في المقدمة، قد يفاجئ الكتاب الناس. لكن هدفي الأسمى هو النقد وهو مواجهة كل فكر قمعي أينما كان، والتيارات القمعية كيفما كان لونها، وهويتها. والحرية ديدني. لأنه ديدن الإنسان منذ حل بهذه الأرض. لعل على هذه الأرض ما يستحق العيش والنضال والفكر.

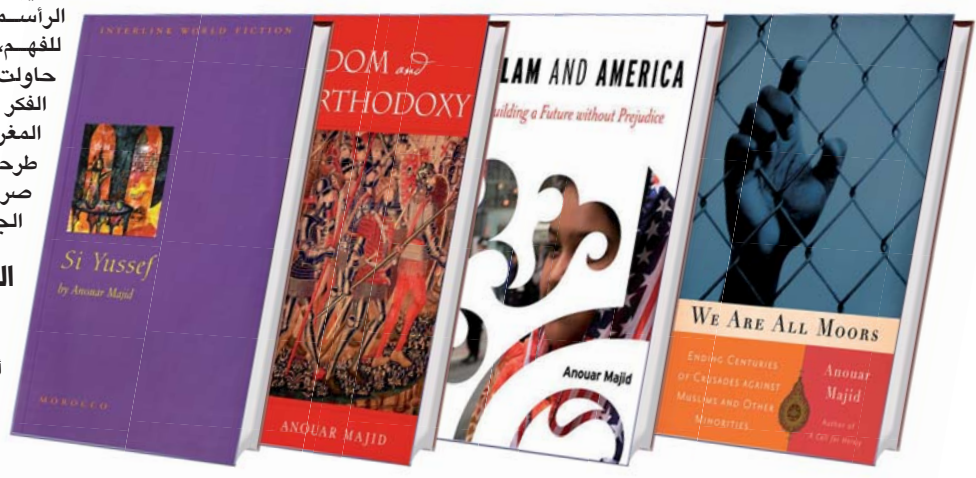

فنان لبناني يحتفي بالقدس عبر انطباعيات مونوكرومية

جميل ملاعب يرسم مدينة لم يرها بألوان مشتهاة

جميل ملاعب.. عبر في أعماله عن العنف والاضطهاد الذي تتعرض لهما مدينته القدس

أكثر من 40 سنة في العمل الفني لم تبهت من وهج تعاطي الفنان اللبناني جميل ملاعب مع العالم المحيط به عبر فنه المتجّدد دوما، وإن بخطىً بطيئة وثابتة. هذا هو الانطباع الأول الذي تتركه أعماله المعروضة بمواد مُختلفة في نفس زائري معرضه في صالة "جانين ربيز" البيروتية تحت عنوان "القدس"، مدينة لم يرها في حياته، ولكن يعشش وجودها في ثنايا روحه وخياله المبني على مشاهدته لصور وأفلام وثائقية ووثائق مكتوبة عديدة.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

❏ تندرج لوحات الفنان اللبناني جميل ملاعب المعروضة حاليا في صالة "جانين ربيز" البيروتية، كما يشير إليها عنوان المعرض الموسوم بـ"القدس"، تحت راية مناجاة مدينة عتيقة/ أصيلة وجديدة عابقة بالحياة. وكما احتشدت في القدس مشاهد لا تحصى ولا تُعدّ من التنوع الديني والتاريخي والاجتماعي، كذلك جاءت لوحات الفنان تصوّر بأسلوبه الفني الخاص ومضات مشرقة حافلة بالتراث العربي والسومري والتركي والفارسي والكنعاني والفينيقي عبر الهندسة المعمارية المتنوعة وتفاصيل الأجواء السائدة في الشوارع، ومن ضمنها انهماك الفلسطينيين بحياتهم اليومية على الرغم من العدوان الإسرائيلي المتواصل.

وفي المعرض ثلاث مجموعات فنية، الأولى، وقد تكون الأهم وهي التي تضم لوحات تغصّ بالتفاصيل النادرة والقليلة، والتي ينضح منها هدوء راق يحيل على قدسية المدينة وقدرتها المُتجددة على تخطي الصعاب.

أما المجموعة الثانية المُنفذة على ألواح خشبية فمشغولة بمسرودات مستوحاة من كتاب الإنجيل والقرآن الكريم وسورة مريم ومشهد للسيد المسيح، وهو يحمل سعف النخيل وتحليق طيور اليمام صعودا ونزولا في الفضاء المُتبقي من اللوحات.

وثمة مشاهد أخرى يجسّدها الفنان، وهي للعنف الذي يتعرض له أهل القدس وفلسطين بشكل عام من تعريض أبنائهم للضرب والقتل وإخراج الأهالي من منازلهم.

وتأتي المجموعة الثالثة، وكأنها على هامش المعرض لتبرز المَقدسيات بجمال سمرتهن وبياض فساتينهن التي تمثل بالنسبة للفنان، وعلى الأغلب لكل زائر للمعرض، السلام والسكينة والحب.

وبدت هذه اللوحات كأنها خارجة مُضاعفة الأحجام من "الأزقة المنمنمة" التي دأب جميل ملاعب على نحتها بريشته وسكينه وأقلام الفحم داخل آفاق اللوحات التي تجسّد المدينة الجليلة المُختزنة لرموز الديانات السماوية الثلاث.

وحرص الفنان على أن يكون وفيّا لما يملي عليه العقل وما يرفده القلب من عواطف، فظهرت مدينة القدس لا تطغى عليها إلاّ عروبتها، بدا ذلك خاصة في عدة لوحات غلب عليها اللون البني "البَلحي"، إذا صح التعبير، التي (اللوحات) يكاد الناظر إليها يشتهي رائحة التمر والعنب الداكن والقمح الساخن، وهو قيد التحول إلى قوت يومي تبتسم له الشمس كل يوم تظهر فيها لتطل عليه وتتفقّد خابزيه وبائعيه وآكليه.

وكتب ملاعب في ما يُشبه تمهيدا لمعرضه في كتيب تم توزيعه في المعرض كلمات تشي بالأسلوب الذي كوّن فيه الفنان أساس بنيان لوحاته المُتماسكة في فراغ لا يُرى ولا تدعمه عواميد واضحة الأشكال.

واعتمد أسلوب الومض وتوارد الخواطر وتناثر الأفكار التي لم يربطها مع بعضها البعض إلاّ ما كان يشعر به الفنان لحظة الكتابة، وقال في التمهيد "دائرة أو نصف دائرة لانعكاس شمس الحضارة، معادلة هندسية لعقيدة، لسؤال، لبداية، لعلامة استفهام كونية، لجمالية شكلية، لخطوط مستقيمة، أو منحنية، أو متقاطعة تقاطع الأرض وتألق الشجر والثمر والتراب وفصول الطبيعة.. أنت.. الصوت الذي لا ينقطع عن همس اللحن في أقواس قناطرك ومآذنك وكنائسك وفي ترابط حجر بنيانك مع التاريخ، مع الصراع، مع حروب البقاء.. أنت مُلهمة الشعر واللون.. أنت قدسنا جميعا".

ويبرز في المعرض أسلوب فني اعتمده جميل ملاعب في بعض لوحاته ومعارضه السابقة، وهو الإقلال من استخدام عدة ألوان في اللوحة الواحدة، حيث جاءت معظم أعماله المعروضة مشغولة بلونين لا أكثر، على الأقل قبيل أن تقترب العين منها لترى تفاصيل لونية "مقموعة" تحت طغيان نبرة لونية واحدة تغسل لوحاته غسلا أو تحلّ عليها سكينة وبردا وسلاما.

ولعل أجمل لوحة في المعرض، والأمر نسبي بالطبع، هي تلك المُشبّعة بلون وردي، لون وردي يُخرج القدس من آنية عذاباتها إلى أفق خلاصها الذي، ومن دون إفراط في الرومانسية، لا بد أن يتم.

يبدو ملاعب في لوحاته منسجما مع هذا الرجاء في الخلاص وتلك النظرة الساطعة والحنونة التي يلقيها على المدينة، وتتمظهر هذه النظرة في 4 أو 5 لوحات تطغى عليها ألوان "سكرية" ترطّب من خاطرها المجرّح بالوعود الكاذبة، أو بالوعود التي تهاب أن تُعلن عن ذاتها وعن أصحابها على الملأ.

أما الألوان السكرية فهي اللون الوردي، والأزرق الفاتح، والأبيض، والأصفر الفاتح، ألوان تتكسّر على وسع اللوحة تحت التعاريج الهندسية المُنضبطة لريشته المُشكلة لهيئات القدس. أما هذا التكسر والتجليخ فهما لا يؤديان إلى انهيار معالم المدينة، بل يجعلانها مُتألقة تحت أدنى أشعة شمس (أو لمسة ريشة)، كما يتألق لوح صاف من جليد سميك ومتشظ مطبوع بلون السماء أو بصبغة أدنى لون حنون ينسكب عليه أثيريا أو ماديا.

وفي مجمل تلك اللوحات التي تبدو مُتشابهة للوهلة الأولى، يبرز المسجد الأقصى ذهبي الحضور والمعنى لـ"تتكاثر" تفاصيل المدينة منه أو من حوله.

والمونوكرومية عريقة في تاريخ الفن وقد استخدمها فنانو التيار الرمزي بكثافة لإضفاء أجواء موسيقية ودلالية غامضة وحميمة وأيضا أثيرية على أعمالهم، وقد استخدموا هذه النزعة التلوينية لتجريد الواقع من ماديته الآنية تماما كما فعل الفنان حين جعل اللون شبه الأحادي يُشكل مدينة ثنائية الأبعاد تختلف عن الواقع الآني الذي تعيشه المدينة.

ودفع بعض الفنانين هذه التقنية التلوينية إلى حد بعيد حينما عمدوا إلى نثر ألوانهم كمشحات تشبّعت بها لوحاتهم، فبدت تحت ستار ضبابي يخفي الحدود بين الأشياء، غير أن الفنان جميل ملاعب لم يعتمد هذه التقنية، بل آثر تصديع ريشته وسكينه بسحر مدينة تجريدية/ روحانية لا تموت.

ألوان سلام وسكينة

هذا الوجه لي

❏ منذ فترة قصيرة نشرت الفنانة السورية علا أيوبي على صفحتها الفيسبوكية فيديو قصيرا عن وجهها، خلال تعريضها له لتعديلات ديجيتالية ملوّنة ومتحولة المعالم من عبوس وانشراح على هوى التفاتاته من جهة إلى أخرى، ثم نشرت بعد ذلك صورتها وقد استقرت على ملامح هجينة ما بين الفوتوغرافيا الواقعية والديجيتالية/ التعبيرية.

بدت هذه الصورة، وبشكل جليّ، مُنبثقة من التحولات التي تلقتها في شريط الفيديو، صورة ثابتة، ولكن لم يغب عنها لا توتر الخطوط ولا ركون ذبذباتها إلى هيئات مُستقرة.

تنوعت التعليقات التي حصدتها الفنانة على هذا المنشور، ليبرز تعليق واحد لطيف النبرة، مفاده أن الفنانة لم يكن عليها العبث بملامح وجهها التي وهبها إياها الخالق.

كان جواب الفنانة "لا عبث في الخلق.. هو جزء من لوحتي على وجهي"، لا شك بأن الفيديو صادم وكذلك هي الصورة صادمة ولكن، أغلب الظن، أنه غير ناتج عن محاولة شعورية أو لا شعورية للفنانة بتغيير الملامح الإنسانية/ الطبيعية لوجهها.

عمل فني يطرح جملة من الأسئلة متصلة بالمسائل التي لازالت تغلي حول الأعمال الفنية الديجيتالية لا سيما الصادمة منها، هل هي فن، أم مُجرد مُساءلة للتقنية الديجيتالية المعتمدة مهما بلغت بساطتها أو تعقيدها؟ ما الذي يُراد التعبير عنه؟ هل الفنان خبير تقني أم صانع أفكار؟ وما الذي يحدد الفرق؟

وتذهب بعض التساؤلات أو الانطباعات نحو "شيطنة" هكذا أعمال فنية إلى اعتبار أنها قائمة على تشويه الملامح الإنسانية أو اللهو بها باستخفاف مُتعجرف.

ومهما تنوعت الإجابات عن تلك الأسئلة المطروحة آنفا، تظل إحالة هكذا نوع من مقاربة الذات على أنه استخفاف بهبات الخالق أمرا، في أغلب الظن، بعيدا جدا عن عالم الفنانة، فالمُضطلع على أعمال علا الأيوبي السابقة وعلى الأفكار التي طرحت من خلالها لن يستغرب عند رؤيته لا للصورة الفوتوغرافية المعدلة ولا لشريط الفيديو على السواء، فالصورة كما الفيديو تأسسا على هاجس واحد هو مُساءلة مستمرة للذات.

ما رأيناه مؤخرا على صفحتها الفيسبوكية هو تظهير للتقلبات التي تغلي في نفس الفنانة على إثر التجارب التي تمرّ أو مرت بها، وذلك بغض النظر عن نوعية تلك التجارب، ما نشرته علا الأيوبي يشبهها جدا ويشبه أعمالها الفنية الأخيرة التي عرضتها في صالة "تجليات" البيروتية منذ عدة سنوات.

معظم لوحاتها المعروضة آنذاك أشبه بصفحات ماء رقراقة ارتجت فيها ملامح وجوه النسوة اللاتي يشبهنها بألوان دافئة وزاخرة بالمعاني. أطلقت الفنانة على المعرض عنوان "الفاكهة الفردوسية" وبرعت من خلاله في توظيف دراستها لمادة الرياضيات والفنون في آن واحد، إذ أدخلت في أعمالها تلك، كما في العملين الآخرين اللذين نشرتهما على صفحتها الفيسبوكية أشكالا هندسية وتموجات وخطوط انسيابية وأُخرى مُتعرجة ومُتوترة النبرات.

في حين تختلف هذه الأشكال التي أدخلتها أو التي تلاحقت في العملين الجديدين عن أعمالها الفنية السابقة، إنها "رقمية" تنخفض فيها وتيرة المشاعر على حساب التفنّن في تبدلات ظاهرية تشغل المُشاهد طويلا قبل أن ينحو إلى تصنيف معانيها، وما قد يرشح عنها من مشاعر.

أما حبّة الرمّان التي تألقت في لوحاتها السابقة والتي تميّزت بانتشار عبقها في فضاء اللوحات فقد اختفت في العملين الأخيرين، ولكن لتظهر من جديد مُتبدلة ومُتحركة أمام عيون المُشاهد وبأشكال مُتعاقبة تُذكر بلغة الكمبيوتر وبهيئة الشيفرات الديجيتالية التي غشتها حمرة شفّت تارة وتكثّفت تارة أُخرى في سياق عرض الفيديو المنشور، وتُذكّر عبره بما قدمته في أعمالها الفنية السابقة.

تأخذنا الفنانة بكلا الأسلوبين الفنيين المختلفين اللذين استخدمتهما في العملين الأخيرين إلى ما قاله الشاعر نوفاليس حول الرومنطقية التي تجعل العادي يبدو غريبا جدا، فباستخدامها لتقنية ديجيتالية/ ميكانيكية مُشبعة بحركة ريشتها "اليدوية" أدّت الفنانة السورية علا أيوبي وجهها المُتقلب تشكيلا وتهديما عبر ما يشبه "البرفورمانس آرت"، ووصفت العمل، كما أجابت الصديق على صفحة فيسبوك، بأنه "جزء من لوحتي على وجهي".

* م.ع

مطماطة التونسية قرية الكهوف الأغرب في العالم

بيوت تحت الأرض وآثار قديمة تجذب الزوار بفضل تصاميمها الرائعة

تزخر تونس بالكثير من الأماكن السياحة الجذابة، والتي تستقطب السياح من كافة أنحاء العالم، بما فيها المنتجعات السياحية على الشواطئ الممتدة على البحر المتوسط، أو تلك المترامية الأطراف في قلب الصحراء، لكن من بين أفضل الأماكن إثارة قرية مطماطة الجبلية الصغيرة التابعة لولاية قابس، والتي قد تكون من بين الأماكن الأغرب في العالم.

رياض بوعزة
صحافي تونسي

❏ **مطماطة (تونس)** – تشكل قرية مطماطة الجبلية الملقبة بقرية الكهوف، أحد أبرز المعالم السياحية في تونس، نظرا لغرابة الأماكن التي يعيش فيها سكان المنطقة، بتلك الطريقة منذ المئات من السنين.

وتجمع القرية، التي تبعد عن ولاية قابس في جنوب البلاد قرابة 35 كلم، مناظر طبيعية مختلفة في مكان واحد، فمن المكان الجبلي المثير يمكن للزوار الاستمتاع بالطبيعة الصحراوية وشاطئ البحر، في لوحة أنيقة لا تتكرر كثيرا في حوض المتوسط.

ورغم أن القرية الهادئة تحتوي على مطاعم سياحية محفورة في الجبال، إلا أن مطماطة القديمة تعتبر قلعة أثرية بأتمّ معنى الكلمة، إذ استطاعت حتى الآن أن تحافظ على معالمها بفضل وعي سكانها بالمحافظة على إرث آبائهم وأجدادهم.

وتحمل مطماطة، التي يحلو للبعض تسميتها بمدينة القصور أو هوليوود تونس، بين جدرانها العريقة المنحوتة في الصخر، مجموعة كبيرة من الشواهد التاريخية والموروث الشعبي لقبائل الأمازيغ، التي تسكن القرية حتى الآن.

وتتفرّد هذه القرية الجبلية الصغيرة بمنازلها الواقعة تحت الأرض، والتي كانت سببا في اختيارها موقعا لتصوير بعض مشاهد أحد أفلام سلسلة "حرب النجوم" الأميركية في سبعينات القرن الماضي.

> مطماطة اكتسبت شهرتها بعد اختيارها موقعا لتصوير مشاهد أحد أفلام سلسلة «حرب النجوم» في سبعينات القرن الماضي

وظهرت القرية في الفيلم وكأنها من كوكب آخر. وقد اكتسبت بفضل ذلك شهرة واسعة جعلتها أحد الأماكن السياحية الرئيسية لقوافل الزوار الذين يتّجهون لزيارة المعالم الأثرية أو الصحراوية في جنوب تونس.

وتراود المهتمين بالسياحة الصحراوية في تونس طموحات كبيرة من أجل تحويل

رحلة مثيرة في أحضان الطبيعة

المناطق التي احتضنت تصوير أشهر أفلام هوليوود بما فيها حرب النجوم إلى مزارات سياحية عالمية تجذب المزيد من السياح الأجانب وتساعد في ضخ أموال إضافية لخزينة الدولة.

ويعود تاريخ إنشاء قرية مطماطة إلى أكثر من 40 عقدا من الزمن، ويطلق عليها الأمازيغ اسم "أثوب"، وهي كلمة تعني أرض السعادة أو أرض الهناء.

ووفق بعض سكان القرية، الذين تحدثت معهم "العرب"، فإن اسم مطماطة أطلق على قبيلة أمازيغية قديمة سكنت هذه المنطقة.

والقرية ليست الوحيدة التي سكنها هؤلاء، فهناك قرى أخرى محيطة بالمكان وهي تمزرت وتوجان وتيجما وتيشين.

ويؤكد محرز كعوان، وهو أحد سكان القرية، أن مطماطة مكان يتميز بالخصوصية في كل شيء، حيث نقل الأجداد ما روته الكتب التاريخية التي تحدثت عن تمكن الأمازيغ من التصدي لغزوة أهالي قبيلة بني هلال القادمين من مصر في ذلك الوقت، ولم يستطيعوا التأقلم في العيش معهم. ولذلك قرروا الهجرة إلى هذه المنطقة.

وتشير الروايات إلى أنهم اضطروا للسكن والإقامة في الجبال وقاموا بحفر بيوتهم في باطنها حتى لا يراهم أحد، وأن الهدف من حفر المنازل في باطن الأرض يتعلق بالمناخ، خاصة أن باطن الأرض كان دوما رطبا في الصيف، ودافئا في الشتاء.

ويمكن للسياح والوافدين أن يلحظوا عند دخولهم القرية من مدخلها الشمالي انتصاب قلعة قصر جمعة الشامخة، والتي تطل على المنطقة الداخلية للمدينة.

وهناك معلم مهمّ في مطماطة يتمثل في المغارة، التي سكنت فيها الكاهنة دهيا بنت ثابت ويطلق عليها اسم بتل كويست عند هجومها على مدينة قابس، وقد تم تعريب اسم هذه المغارة في ما بعد ليصبح اسمها الحالي دار كواس.

وتعتبر منازل هذه القرية الهادئة ذات طبيعة خاصة وغريبة للزائرين، فهي عبارة عن كهوف محفورة في باطن الجبل وكل منزل مكون من باحة رئيسية وسط المنزل تزيّنها الرسوم القديمة، وتفتح عليها أبواب الغرف الأخرى، في شكل متناسق لم يتطلب جهد جحافل المهندسين.

وخلال التجوال في القرية، تلفت جميع المنازل الانتباه، إذ من الواضح أن جميع السكان متفقون في كيفية تصميمها، ففي كل منزل أو الحفرة كما يسمّيها البعض، يوجد المطبخ المجهز بالفرن المبني من الطين والفخار، كما تقسم الغرف، فمنها للنوم وأخرى للأكل والاستراحة وتوجد غرف أخرى للضيوف.

ولم يفت سكان القرية أن يحفروا غرفا أخرى في منازلهم لتكون مكانا لتخزين المؤونة والمياه، والغريب أنها ليست على هيئة واحدة. وهذا الأمر يثير السياح عن تجوالهم فيها.

وتنحت الغرف حول ردهة كبيرة محفورة بمنتصف المنزل ومفتوحة على الهواء الخارجي للأعلى، وبها المدخل الرئيسي للمنزل. ويقول السكان إنهم قاموا ببناء منازل بواسطة أدوات تقليدية كالفؤوس والقفاف لإخراج الأتربة.

ويعمل سكان قرية مطماطة حتى الآن في الزراعة وتربية المواشي والمهن البدائية، إلا أن بعضهم خرج إلى مدينة مطماطة الجديدة وسكن المنازل بشكلها الحديث.

ولم يقتصر ذكر القرية بين الأوساط الصحافية والسياحية وبين مجتمع هوليوود فقط، بل أضحت ضمن الأعمال الأدبية كذلك، حيث وردت في كتاب للروائي عثمان لطرش تحمل اسم "مطماطة".

ويقول لطرش إن مسالك مطماطة الملتوية الوعرة لم تغب عن متن الرواية، فإذا بالقارئ كأنه يصّعد في الجبل يلهث فيقف عند النبع ثم يرقى حتى يدرك القمة، أما المنازل المحفورة تحت الأرض، والتي تسمّى الحوش وجمعها أحواش، فهي الكنز المعماري النفيس بل الفريد، في رحابه ودهاليزه.

منتجعات سياحية

بلو لاغون توفر متعة الاستجمام بالمياه الحارة

❏ يعتبر منتجع بلو لاغون الواقع في أحضان الطبيعة على شواطئ جزيرة أيسلندا من أفضل الأماكن السياحية في العالم والتي توفر للزوار متعة الاستجمام من ينابيع المياه الحارة، التي تخرج عن عمق ألفي متر تحت سطح الأرض.

وتجتمع في المنتجع، الذي يستقطب الآلاف من السياح سنويا، مياه البحر الصافية والمياه العذبة النقية والحارة عند درجة 38 درجة مئوية، وهي مثالية لحمام مريح ومنشط.

وتتجمّل هذه المياه باللون الأزرق بفضل المعادن والطحالب الموجودة بها، حيث يعكس ثاني أكسيد الكربون أشعة الشمس الساقطة على المكان.

ويحتوي المنتجع على بركة طبيعية للمياه الحارة المفيدة للجسم بما يضمن الاسترخاء، وهي تستوعب كميات هائلة من المياه تتجدد تلقائيا كل يومين.

فسحة الرفاهية الهادئة في أنداز بينينسولا

❏ تجتمع الفخامة والرفاهية في منتجع أنداز بينينسولا بباغايو، المطل على أفخم شواطئ كوستاريكا، إحدى جواهر أميركا الجنوبية.

ويطل المنتجع الفسيح على مناظر طبيعية خلابة لخليج كلوبرا، وهو يمزج بين الجمال والعناصر الطبيعية بطريقة فريدة من نوعها.

ويعانق هذا المنتجع الشاطئ برماله البيضاء ومياهه الكريستالية، وهو مصمّم على شكل شرانق يمكن للضيوف أن يستمتعوا في داخلها بالخصوصية.

كما يتضمن بركتي سباحة، حيث بإمكان الزوار السباحة والاسترخاء تحت أشعة الشمس والحصول على سمرة جذابة بأجواء هادئة للغاية.

ويمكن للسياح أيضا التوجّه للشاطئ الخاص بالفندق للاستمتاع بنزهة على الرمال أو لممارسة النشاطات المائية.

وجهات مفضلة في الشتاء

ترومسو تمنح الزوار فرصة فريدة لمشاهدة شفق القطب الشمالي

❏ **ترومسو (النرويج)** – يمكن لعشاق السفر والترحال الاستمتاع بأضواء الشفق القطبي الشمالي خلال أشهر الشتاء، وخاصة في مدينة ترومسو الواقعة شمال النرويج.

وخلال الجولة السياحية سرعان ما يتغيّر بيان درجة الحرارة من 12 إلى 18 درجة مئوية تحت الصفر، خاصة مع التوغل وسط القمم الجبلية المغطاة بالثلوج.

وكلما ابتعد الزوار عن الميناء النرويجي، تصبح الأجواء أكثر برودة وأكثر ظلمة، ومع عدم استعمال الأضواء الصناعية تزداد فرص مشاهدة الشفق القطبي الشمالي، الذي بدأ يظهر من منتصف الليل.

وتظهر السماء متوهجة فوق القمم الجبلية، حيث بإمكان السياح مشاهدة خيوط من الضوء المنسدلة إلى الأرض من أشرطة الشفق الخضراء.

ويعتبر مصطلح الشفق "أورورا" هو المسمّى العام لهذه الظاهرة، التي تحدث في نصف الكرة الشمالي، والتي تعرف أيضا باسم الشفق القطبي الشمالي، وتسمّى هذه الظاهرة في نصف الكرة الجنوبي باسم الشفق القطبي الجنوبي.

وإذا كانت الرياح الشمسية مواتية، فإنه يمكن للسياح مشاهدة أضواء الشفق القطبي الشمالي في المناطق القطبية بصورة أكثر وضوحا.

ورغم أن هذه الظاهرة تختفي خلال النهار، إلا أنها تكون مضمّنة في تدفقات الهواء، ولكن تستثنى من ذلك قمم الجبال؛ حيث يمكن للسياح خلال ساعات النهار المظلمة مشاهدة أضواء الشفق القطبي الشمالي.

ويمكن الاستمتاع بمشاهدة أجواء الشفق القطبي الشمالي في السويد وأيسلندا والنرويج وفنلندا؛ ونظرا لأن العديد من السياح يبحثون عن أفضل مكان لمشاهدة هذه الظاهرة الساحرة، فإن ترومسو تعد من أفضل الأماكن لمشاهدة هذه الظاهرة.

وتشتمل المدينة، التي تقع في الدائرة القطبية الشمالية، على مطار والكثير من الفنادق والكثير من العروض السياحية، بدءا من المتحف القطبي وصولا إلى كاتدرائية القطب الشمالي "أركتيك".

وتظهر أضواء الشفق القطبي الشمالي بصورة منتظمة خلال أشهر الشتاء المظلمة، ودائما ما ينصح الخبراء عند زيارة ترومسو بالسفر في الفترة بين نهاية أكتوبر ومارس، ويمكن الاستمتاع بمشاهدة هذه الظاهرة أيضا قبل ذلك خلال شهر سبتمبر، وكذلك من أواخر مارس وحتى منتصف أبريل.

وتزداد إمكانية مشاهدة أضواء الشفق القطبي الشمالي خلال أشهر الشتاء المظلمة، ولكن ليس هناك ضمان بحدوث ذلك؛ نظرا لأن الطقس هو العامل الأهم في حدوث هذه الظاهرة.

وعندما تكون السماء ملبدة بالغيوم، لا تظهر أضواء الشفق القطبي الشمالي في أغلب الأحيان، ولذلك يتعيّن على السياح القيام برحلة لمدة ثلاثة أو أربعة أيام إلى هذه المنطقة، لزيادة فرص مشاهدة هذه الظاهرة.

ويفضل عند زيارة ترومسو الاستمتاع بركوب التليفريك ليلا، حيث يمكن مشاهدة مناظر ساحرة لشفق القطب الشمالي.

رحلة ليلية استثنائية

وعند القيام بجولة في المواقع الشهيرة المظلمة، يمكن للسياح أن يستجيبوا بصورة جيّدة لتطورات الطقس، بالإضافة إلى أن هناك العديد من التطبيقات، تساعدهم على اختيار الوقت المناسب مثل أورورا ألترس أو ماي أورورا فوريكاست وغيرها.

وتختلف الأسعار عند الرغبة في القيام برحلة لمشاهدة أضواء الشفق القطبي الشمالي، فعندما يقوم السياح بحجز الرحلة مع الشركات السياحية، فإن التكلفة تعتمد بشكل أساسي على فئة الفندق وبرنامج الرحلة السياحية.

وغالبا ما يتضمن البرنامج جولة بالزلاجات، التي تجرها الكلاب ورحلة إلى فندق الجليد، والكثير من الرحلات في ترومسو تستغرق أربعة أيام، وقد تستغرق رحلة الطيران وقتا طويلا إذا اضطر السياح إلى تغيير الطائرة في أوسلو أو كوبنهاغن أو ستوكهولم.

وبالإضافة إلى ذلك، يتضمن خط سير السفينة هورتيغروتين الوصول إلى الساحل النرويجي في ترومسو، وهي في طريقها من بريجين إلى كيركينس، وخط العودة أيضا، كما يمكن للسياح حجز الطيران والفندق بشكل فردي، حيث يتضمن البرنامج العديد من شركات الطيران الدول الاسكندنافية ومدينة ترومسو أيضا.

مخترع الإنترنت من دبي: معركة الأمن الإلكتروني مستمرة

سوليد منصة عنكبوتية جديدة تتيح للمستخدمين تخزين وحماية بياناتهم

عمر شبكة الإنترنت التي اخترعها عالم الحاسوب البريطاني تيم بيرنرز لي حوالي ثلاثين عاما، وهو عمر قصير أمام حجم التجاوزات التي أحدثتها الشركات التكنولوجية والقراصنة في هذا العالم الذي جعل البشر يعيشون في قرية صغيرة جدا، حيث استحوذت الشركات التكنولوجية على البيانات الشخصية للمستخدمين، ما جعل "سيد الإنترنت" بيرنرز لي يبتكر منصة عنكبوتية جديدة تتيح لهؤلاء المستخدمين التحكم وتخزين بياناتهم.

حماية البيانات أو التفريط فيها بيد المستخدم

❑ **دبي** – تحدث مخترع الشبكة العنكبوتية العالمية وعالم الحاسوب البريطاني تيم بيرنرز لي أثناء حضوره في معرض أسبوع جيتكس للتقنية 2018 في دبي عن مبادرة لإعادة ابتكار شبكة إنترنت تتيح للمستخدمين التحكم وتخزين بياناتهم الشخصية بما في ذلك جهات الاتصال والصور ومكتبة الموسيقى وأحداث التقويم والتحكم في الوصول إلى تلك البيانات.

وسلط الضوء على عدم شعور المستخدمين بالسعادة من الوضع الحالي للإنترنت، رغم أنه أصبح من السهل على الجميع استخدام الشبكة العنكبوتية والتي اخترعها بيرنرز لي نفسه قبل 28 عاما، لكن المشكلة تكمن في قيام شركات التكنولوجيا الكبرى مثل أمازون وغوغل وفيسبوك وغيرها من الشركات بالاستحواذ على البيانات والمعلومات الشخصية ما يعني أن المستخدم لا يتحكم في تلك البيانات التي تخصه في حقيقة الأمر.

يقول بيرنرز لي، "لطالما اعتقدت أن الويب مخصص للجميع، ولهذا السبب نقاتل أنا وآخرون بشراسة لحمايته، ولقد أحدثت التغييرات التي نجحنا في جلبها عالما أفضل وأكثر اتصالا، ولكن على الرغم من كل النتائج الجيدة التي حققناها، فقد تطورت الشبكة لتصبح محركا للظلم والانقسام، وتستخدم من قبل القوى القوية وفقا لأجنداتهم الخاصة".

ويضيف معلقا عن الشبكة الحالية، "ليس لدينا اليوم ابتكار، لأنه عندما يدمج ذلك مع الغايات والأعمال التجارية، فإن النتيجة هي الاحتكار، إن وجود الاحتكار يعني أن ابتكارك قد تهاوى."

ويقول، "أعتقد أننا اليوم وصلنا إلى نقطة تحول حاسمة، وأن التغيير نحو الأفضل ممكن وضروري، لذلك نحن مهتمون بالعمل مع المطورين ومنح مستخدمي الإنترنت إمكانية التحكم الكامل في بياناتهم".

وبدل التعامل مع الشبكة العنكبوتية الحالية حيث يتعين على المستخدمين توفير البيانات الشخصية إلى الشركات التكنولوجية، شرع السير تيم في تأسيس شركة ناشئة أطلق عليها اسم "إنربت"، وهي مؤسسة ستعمل على تشغيل منصة "سوليد" وهي شبكة عنكبوتية جديدة تجمع بين الابتكار والإبداع، حيث تستخدم "إنربت"، تقنيات الإنترنت بطريقة تمنح المستخدمين السيطرة الكاملة على بياناتهم. ومع وجود منصة "سوليد" سيتمكن المستخدمون من حرية اختيار كيفية استخدام بياناتهم.

يقول بيرنرز لي، "طورنا منصة سوليد من أجل استعادة التوازن وذلك من خلال منح كل واحد منا السيطرة الكاملة على البيانات الشخصية أو غير ذلك بطريقة ثورية".

ويضيف، "إن إطلاق إنربت يأتي في الوقت الذي تشهد فيه بيانات المستخدمين في العالم العديد من عمليات خرق الخصوصية وإساءة الاستخدام"، لافتا، "إلى أن بيانات عالم سوليد سيتم تخزينها في مراكز بيانات مختلفة مخصصة حسب نوع النشاط، وتقع مسؤولية حمايتها على شركات أمن إلكتروني متخصصة". واصفا الأمن الإلكتروني بأنه "معركة مستمرة".

وتعتبر منصة سوليد مجموعة من المواصفات القياسية تعتمد على التكنولوجيا الأساسية لشبكة الإنترنت العالمية، بما في ذلك بروتوكولات "أيتش تي.تي.بي" و"رست" و"أيتش تي.أم.أل"، وهي متوافقة مع شبكة الإنترنت الحالية مئة بالمئة، حيث توفر المواصفات المعتمدة ميزات إضافية للنظام القائم، ولكن عند استخدامها من خلال التركيبة الجديدة، فإنها تتيح إمكانيات جديدة ومثيرة لمواقع الويب والتطبيقات.

ويتم تخزين البيانات الخاصة في "سوليد بود" أو مخزن البيانات الشخصية عبر الإنترنت، وهو في الأساس نقطة آمنة على خادم مستضاف أو خادم يقوم المستخدم بإدارته بنفسه، ويحصل المستخدم على هوية مرتبطة بهذا المخزن "بود" وبمجرد فرز وترتيب البيانات، فإنه بإمكان المستخدم الاشتراك لاستخدام التطبيقات في النظام الإيكولوجي لمنصة سوليد.

وستتضمن هذه المنصة العنكبوتية الجديدة عددا من الخدمات المتوفرة على شبكة الإنترنت الحالية، مثل شبكات التواصل الاجتماعي والبريد الإلكتروني وخدمات بث الموسيقى والفيديو، ولكن هذه التطبيقات أو الشركات التكنولوجية لا تتمكن من الاتصال بمخزن البيانات الشخصية، إلا في حال منحها حق الوصل، وبذلك يصبح المستخدم المسؤول الأول عن التحكم في بياناته.

وأوضح بيرنرز لي خلال الجلسة التي شهدت حشدا كبيرا من الحضور، أنه في عالم سوليد، سيتمكن المستخدمون من صهر جميع بياناتهم المترامية في التطبيقات المختلفة في مكان واحد وتمنح الأفراد الحرية الكاملة في التحكم ببياناتهم بشكل كامل واختيار من يشاركهم بها.

وأكد على أن سوليد لا تقوم على تقنية بلوك تشين بل تقوم على تقديم نفس خدمات الإنترنت، ولكن بشكل أكثر أمنا وخصوصية، كما أشار إلى أن سوليد ترتب حياة الأفراد ولا تشكل تهديدا لشركات التقنية الكبرى، بل توفر منصة جديدة تحفز الابتكار وتمنح المستخدم التحكم ببياناته وعن دراية، متوقعا أن يتعلم الجيل الجديد مهارات حماية بياناته بشكل شخصي.

> تيم بيرنرز لي: نحن مهتمون بالعمل مع المطورين ومنح مستخدمي الإنترنت إمكانية التحكم الكامل في بياناتهم

ويأمل بيرنرز لي، أن يتمكن من خلال منصة سوليد من تحويل قدرات الويب من أيدي الشركات إلى أيدي المستخدمين، ويعتقد أن منصة سوليد ستمنح مستقبلا للأفراد والمطورين والشركات طرقا جديدة لتصميم وبناء تطبيقات وخدمات مبتكرة وموثوق بها.

وقد كان لحديث عالم الحاسوب تيم بيرنرز لي، أثره البالغ على جمهور "أسبوع جيتكس للتقنية"، و"جيتكس لنجوم المستقبل" بما صرح به عن رؤيته المتجددة لإعادة السيطرة على البيانات إلى مستخدمي الإنترنت.

تابليت قابلة للطي تحدث ثورة في عالم الأجهزة الإلكترونية

❑ **هونغ كونغ** – تتوالى الأخبار في وسائل الإعلام عن الأجهزة الإلكترونية القابلة للطي وخاصة الهواتف الذكية لكن المتابعين لما هو جديد في عالم التكنولوجيا ما زالوا ينتظرونها.

ويبدو أن هذه الأجهزة والتي تتمثل في الهواتف بات وصولها في المستقبل القريب وشيكا، وستحل معها الأجهزة اللوحية "التابليت" القابلة للطي.

وقد يأتي الجهاز اللوحي الأول القابل للطي من شركة لينوفو علمًا أن الشاشة القابلة للطي التي سيتم استخدامها في هذا الجهاز ستكون من صنع شركة "أل.جي". وأشار مسؤول في "أل.جي" إلى أن مراعاة جانب المتانة وسهولة الاستخدام في صناعة الشاشة القابلة للطي، سيكون أكثر ملاءمة لأجهزة التابليت بالمقارنة مع الهاتف الذكي.

الجهاز اللوحي القابل للطي القادم من لينوفو سيضم شاشة بحجم 13 إنش عندما يكون مفتوحا وبحجم 8 إلى 9 إنشات عندما يكون مطويا.

وترى شركة "أل.جي" المزيد من الفرص في سوق الأجهزة اللوحية القابلة للطي مقارنة بسوق الهواتف الذكية القابلة للطي، وذلك لأنه في حالة الهاتف الذكي تكون الشاشة مخفية عندما تكون مطوية. ولكن هذا الجانب السلبي يتحول إلى ميزة على الأجهزة اللوحية، فهي تصبح أصغر حجمًا وأسهل في الحمل عندما يتم طيها. كما أنه من السهل إنشاء شاشات متينة للأجهزة اللوحية نظرًا لأن الهواتف تحتاج إلى أن تطوى عشرات إن لم يكن المئات من المرات في اليوم، في حين أن الأجهزة اللوحية ستكون أقل عرضة للطي.

ويبدو أن شركة "أل.جي" ترغب أيضًا في بيع نفس الشاشة القابلة للطي البالغ حجمها 13 إنش لشركة "دال".

أجهزة عملية أكثر

وأعلن مختبر الوسائل الإعلامية البشرية في جامعة كوينز عن ابتكار جهاز لوحي "ماجيك سكورل" مستوحى من المخطوطات القديمة، والبعض اعتبره أول جهاز لوحي بشاشة قابلة للطي بشكل حقيقي في العالم.

وأشار مدير المختبر إلى أن الجامعة تطمح لإنتاج أجهزة لوحية بحجم أصغر من التي عرضته، وقد تكون بحجم قلم يناسب جيب القميص – لا تبدو الشاشة وكأنها من جودة عالية، ويبدو وكأنه من الصعب الكتابة عليها.

وترى العديد من الشركات التكنولوجية أن الأجهزة القابلة للطي ستكون البديل الجديد للهواتف الذكية والأجهزة اللوحية العادية التي اعتاد عليها المستخدمون، حيث أن المستخدم ينجذب دائمًا إلى كل ما هو جديد وخاصة إذا كان هذا الجهاز الجديد لا يتميز فقط بالتقنيات الحديثة، بل يتميز أيضًا بفاعلية كبيرة في توفير المساحات وسهولة الاستعمال.

ولا تريد شركة سامسونغ هي الأخرى أن تتخلف عن هذا النتاج الجديد، لذا أعلنت في وقت سابق عن إحداث "ثورة" في الجيل المقبل من أجهزتها اللوحية حيث ستكون ميزتها الرئيسية أنها قابلة للطي وتعمل بضغطة زر، ويمكن وضعها في الجيب.

وكانت معامل سامسونغ حصلت في يونيو 2017 على براءة اختراع لجهاز مصنوع من المعدن، يحوي شاشة قابلة للفك والطي.

يذكر أن شركة مايكروسوفت أعلنت أنها تعمل على جهاز لوحي قابل للطي يحمل اسم "أندروميدا" وسيعمل بنظام "ويندوز 10".

وسيدعم هذا الجهاز القلم الرقمي والكتابة اليدوية، حيث سيأتي الجهاز بتطبيق يحاكي الكتابة في الدفتر الحقيقي، مع وجود صفحات افتراضية تكون متاحة عند الجهاز القابل للطي.

هاتف ذكي بحجم بطاقة الائتمان

❑ شركة "إن. تي. تي. دوكومو" اليابانية تطور هاتفا ذكيا سيكون بحجم بطاقة الائتمان، لكن بوظائف محدودة.

وبحسب ما نشرته وسائل إعلام يابانية، فإن الهاتف الذي تصنعه شركة "كيوسيرا" اليابانية يزن 47 غراما وهو مستطيل بأبعاد 9.1 على 5.5 سنتمتر وسمكه 5.3 ملليمتر.

وأكد الرئيس التنفيذي لـ"إن. تي. دوكومو" كازوهيرو يوشيزاوا سبب تطوير هذا الهاتف فقال "الكثير من الناس يطالبون بهاتف ذكي أكثر بساطة وسهولة في الحمل في ظل كبر حجم شاشات الهواتف الموجودة في الأسواق".

أبل ترفع سن استعمال خدماتها

❑ رفعت شركة أبل الحد الأدنى لسن المستخدم الذي يرغب في إنشاء هوية أبل "إي دي"، إلى 16 عاما، تنفيذا للنظام الأساسي لحماية البيانات بالاتحاد الأوروبي، بعدما كان 13 عاما في السابق، وهو المدون أيضا في شروط استعمال خدمة الحوسبة السحابية أبل "آي كلاود".

ومن خدماتها التي تعتمد على هوية أبل "إي دي"، خدمة الحوسبة السحابية "آي كلاود" وتطبيق التراسل الفوري.

قارئ كتب إلكترونية مقاوم للماء

❑ شركة "بوكيت بوك" تكشف النقاب عن قارئ الكتب الإلكترونية "تاتش اتش دي 3" الجديد، الذي يمتاز بمقاومة الماء.

وأوضحت الشركة السويسرية أن قارئ الكتب الإلكترونية الجديد يأتي بشاشة "إي انك كارتا" قياس 6 بوصات وبدقة وضوح 300 بيكسل في النقطة، مع ذاكرة داخلية سعة 16 جيجابايت.

ويبلغ وزن قارئ الكتب الإلكترونية "تاتش اتش دي 3" الجديد 155 غراما ويتمتع بتصميم مدمج وجسم يزهو باللون النحاسي.

دراجة هوائية ذاتية القيادة

❑ صممت مجموعة من الطلاب الصينيين دراجة هوائية ذاتية القيادة، تحت إشراف فريق من أساتذتهم الجامعيين.

وتعمل الدراجة الجديدة وفق نظام التحكم بالتوجيه، ويمكن تشغيلها بسرعات مختلفة، والحفاظ على توازنها بشكل دقيق.

وقال طالب شارك في المشروع "سنعمل على تثبيت نظام 'جي بي إس" على الدراجة لتسير بشكل تلقائي إلى وجهتها المحددة".

تمارين الكروس فيت ترفع قدرة العضلات على التحمل

تدريب يمزج بين مجموعة من الرياضات في آن واحد

تعد الكروس فيت من أبرز التدريبات التي تزيد من قدرة العضلات على التحمل وهي عبارة على مجموعة دائرية من التمارين التي تدرب الكتفين والعضلات الأساسية في الجسم، لا سيما بالنسبة إلى المبتدئين الذين عليهم التدرج في الشدة، تفاديا للإجهاد والتعرض للإصابات.

❑ **واشنطن** – انتشرت رياضة الكروس فيت في الدول العربية وبين أوساط النساء بعد اقتصارها على الرجال وفي قارتي أوروبا وأميركا، في البداية.

ابتدع هذا الرياضة كل من غريغ غلاسمان، لاعب الجمباز الأميركي السابق، وزوجته السابقة، لوران جيني.

تضم الكروس فيت تشكيلة مختلطة من التمارين الرياضية المختلفة تبدأ أولا بتمارين الإحماء، ثم ينتقل المتدرب لأبرز التمارين مثل تمارين البطن والركض وتمارين العقلة وتدريبات رفع الأثقال وتدريبات الأيروبكس والجمباز وتمارين التجديف.

ومن الممكن أن تمارس تمارين الكروس فيت دون الاعتماد على الأجهزة الرياضية بما يتناسب والحالة الصحية لكل شخص ووفق تقدير المدرب المتخصص الذي يقوم بمساعدة المتدرب في اختيار التمارين الرياضية التي سيمارسها، خلال جلسة التدريب، حيث يمكن اختيار ما بين خمسة تمارين أو ثلاثة فقط.

> من الممكن أن تمارس تمارين الكروس فيت دون الاعتماد على الأجهزة الرياضية بما يتناسب والحالة الصحية لكل شخص

تتم ممارسة هذه التمارين بالتكرار دون توقف أو راحة، طوال جلسة التدريب المحددة وعندما يصل الشخص لأعلى المستويات ينتقل إلى المستويات المتقدمة أي يمارس المتدرب ما يعرف بالأربعة أوقات، هذا يعني أن يقوم الشخص باختيار أربعة تمارين لممارستها بعدد معين ولفترة محددة مثل ممارسة تمارين البطن خمس مرات ثم بعد ذلك تمارين نط الحبل خمس مرات ومن بعدها ممارسة تمرين الركض لمدة عشر دقائق ثم تمارين الجمباز لعشر دقائق وهكذا. ويسعى الشباب والفتيات إلى ممارسة الكروس فيت لعدة أهداف تفيد صحة جسدهم، ومن أهم هذه المزايا دورها الفعال والقوي في إنقاص الوزن المكتسب وحرق الدهون المتراكمة. كما تقوي هذه الرياضة اللياقة البدنية وتجعل الجسم أكثر رشاقة ومرونة وتساعد في بناء العضلات وتقوية العظام وتحفز أيضًا الجسم وتمنحه القوة والنشاط والحيوية بشكل كبير. وبالإضافة إلى ذلك تحسن الكروس فيت عملية التنفس وتوازن معدلات عمليات الشهيق والزفير وتكوّن الكتلات العضلية وتعمل على حماية الجسم من الإصابة بالأمراض الخطيرة. ويرى مدربو اللياقة أن من يمارس هذه الرياضة لا يمكن أن يشعر بالروتين أو الملل، لأنه سيجد نفسه أمام الكثير من التمارين المتنوعة التي تمارس في وقت واحد ومن بينها نجد:

* تمارين الكتفين: هي تساعد على زيادة القدرة على التحمل وخفة الحركة والتنسيق ورفع الأثقال وترفع القوة جسديًا وعقليًا وخلال هذه التمارين، يحتاج المتدرب إلى المزيد من القوة والمهارة، مع تدرج الأوزان من الأخف إلى الأثقل وزنًا.

– تمارين السحب: هي تمارين من الممكن القيام بها لمدة 20 دقيقة بأكبر عدد من المجموعات التدريبية. وفي هذا التمرين يجب رفع الجسم حتى مستوى الصدر، دون عدد محدد من التكرارات، والاستمرار لمدة 5 دقائق.

– تمارين القرفصاء مع القفز في الهواء: هي تساعد على زيادة قوة العضلات وتحقيق الانتعاش المطلوب لها مع رفع قوة التحمل للمفاصل على وجه التحديد.

* تمارين الانخفاضات: يقوم فيها المتدرب بممارسة تمارين مشية المزارع لمسافة 200 متر مع حمل 50 رطلا، وهو ما يساعد على تطوير قوة الأكتاف بشكل صحي، كما يمكنك استبدال الوزن بدمبل يتم حمله بجانبي الجسم، مع التركيز على قدم واحدة عند السير، ثم دفع الوركين إلى الخلف والضغط على أوتار الركبة.

وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من نجوم هوليوود يمارسون تمارين الكروس فيت ومن بينهم، جيسيكا ألبا وكاميرون دياز وجيسيكا بيل ومات ديمون وبراد بيت وإليزابيث بانكس وفانيسا هدجنز.

ولكن ممارسة مثل هذه التمرينات الصارمة التي تدفع الجسم حتى حدود طاقاته، هل تشكل خطراً على الجسم؟

من الثابت أن الاستمرار في ممارسة الرياضة العنيفة لفترات طويلة، يقلل من كفاءة خلايا الجسم أو حتى موتها في الحالات القصوى. وهذا يسبّب تسرّب مكوّنات الخلية إلى مجرى الدم أو ما يسمّى طبّياً "انحلال الربيدات"، الأمر الذي قد ينتهي إلى التسبّب بأمراض الكلى.

ويقول الباحثون في مجال الطب الرياضي إن ممارسي رياضة الكروس فيت غالباً ما يدفعون أجسامهم إلى الحد الأقصى، حتى وإن كانوا يشعرون بالألم. المزج بين هذه الحدة مع التمرينات القوية لرياضة الكروس فيت، يرفع من نسبة خطر الإصابة بالمضاعفات.

لكن خبراء يرون أن هذه المضاعفات ليست مرتبطة حصراً بتمرينات الكروس فيت، فبالرغم ممّا تسببه هذه الرياضة من إصابات لممارسيها، فهي ليست سببا مباشرا للإصابة بمضاعفات موت الخلايا.

وقد يتعرض المتدرب إلى التعب الشديد وتصاب مفاصله بالشد والإجهاد وقد يعرض عضلاته للتمزق وذلك بسبب عدم وجود فترات استراحة أثناء ممارسة التمارين، خاصة التمارين الصعبة مثل تمارين رفع الأثقال وتمارين الجمباز التي تحتاج إلى بعض الوقت من الراحة. ويتوافد أيضًا المراهقون على ممارسة تمارين الكروس فيت قبل اكتمال نمو عضلاتهم وبالتالي يكونون أكثر عرضة لبعض الإصابات. كما يتسبب عدم الالتزام بالطريقة الصحيحة لأداء تمارين الكروس فيت أيضًا في إصابات كبيرة وخطيرة. وقد توصلت دراسة نشرت في صحيفة القوة والتأهيل البدني الأميركية، سنة 2013، إلى أن 73 بالمئة من المشاركين في الإحصائية تعرضوا لإصابات مزمنة بسبب الكروس فيت. 32 بالمئة من الإصابات كانت بالكتف بسبب التردد العالي لتمارين الأوليمبينغ ليفتينغ. وهذا النوع من الإصابات أعلى كثيرا من معدل الإصابات التي يتعرض لها ممارسو الأوليمبينغ ليفتينغ، دون إضافة الكروس فيت.

الكروس فيت تدريبات ذات شدة عالية

كما يحذر الأطبّاء من ممارسة هذه الرياضة إن كان الشخص يعاني من نسب مرتفعة للكوليسترول أو للأشخاص الذين يعانون أمراضاً مزمنة. وشددوا على أنه عليهم بداية استشارة الطبيب المختص، في نوع الرياضة التي تناسبهم، وليس فقط إتباع صيحة ما، حفاظاً على صحتهم.

كذلك ينصح الخبراء، بحسب دراسة نُشرت في دورية طبية مختصة بالطب الرياضي، بأن إعطاء الجسم فترات للراحة يساعد على تقليل نسبة الإصابة بضعف وتحلل الخلايا والمضاعفات المصاحبة لهما. كما ينبغي التدرج في قوة التمرينات على فترات، حتى تكتسب العضلات اللياقة اللازمة للاستمرار وتقبّل درجات أعلى من قوة التمرينات. وتظهر حدة التمارين على طريقة التنفس ومعدل ضربات القلب ومدى تعرق المتدرب ومدى شعوره بإرهاق في العضلات.

وهناك طريقتان أساسيتان لقياس حدة التمارين:

1 – الشعور بالتمارين: تُعد حدة التمارين وسيلة قياس شخصية لمدى صعوبة التمارين البدنية بالنسبة إلى المتدرب عند ممارستها، فهي تقيس الجهد الذي يرى نفسه يبذله.

فقد يختلف الجهد الذي يبذله شخص ما عن آخر عند ممارسة نفس التمرين، فعلى سبيل المثال، ما يظن أنه مسافة صعبة من الركض قد يكون تمرينًا سهلاً بالنسبة إلى شخص أفضل من حيث اللياقة البدنية.

2 – معدل ضربات القلب: يُعد معدل ضربات القلب وسيلة موضوعية للتعرف على مدى حدة التمارين، وبشكل عام، كلما زاد معدل ضربات القلب أثناء التمارين البدنية، زادت حدة التمارين.

وتظهر الدراسات أن الجهد يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمعدل ضربات القلب؛ لذا، إن كان المتدرب يظن أنه يمارس التمارين بجد، فينبغي لمعدل ضربات قلبه أن تزداد.

المراوحة بين اتباع الحمية والتوقف عنها تساعد في خفض الوزن

❑ **سيدني** – يرى أخصائيون في التغذية أن ما يجعل الشخص يكتسب مزيدا من الوزن، رغم اتباع حميات أو أنظمة غذائية صارمة هو أن الدماغ يتلقى معلومات مفادها أن الجسم خال من السعرات الحرارية المعتادة وأنه بحاجة إلى الأكل والطاقة، فيعطي الأوامر بإبطاء عملية الأيض حتى يدخر بعض الفيتامينات.

ولخداع الدماغ وإنقاص الوزن بشكل سريع، ينصح الدكتور نيك فولر، خبير السمنة من جامعة سيدني في أستراليا، باتباع حمية تخفيض للوزن لمدة شهر ثم الإقلاع عنها لمدة شهر آخر.

وأوضح أن كل ما يتعيّن على من يرغب في إنقاص وزنه فعله هو تناول الطعام بشكل صحي مع ممارسة الرياضة.

ومن خلال الأبحاث التي قام بها ونشرها في كتابه "انترفال وايتلوس فور لايف" قال فولر "عادة ما تُعزّز برامج فقدان الوزن عملية تقييد السعرات".

وأضاف "يجب معرفة أن بلوغ مرحلة فقدان الوزن تكون ما بين 3 إلى 6 أشهر وأن الشخص سيبدأ بعدها في استعادة الوزن المفقود.

وتلك الطريقة غالبًا ما تبوء بالفشل. لكن هذا ليس بسبب نقص الإرادة، وإنما لأن أجسامنا المنهكة تبدأ في العمل ضدنا بصورة نشطة. وحين يتعرّض الجسم لإجهاد، فإنه يعود لوزنه الأول، ومهما تمّ فعله، فلن تتزحزح الدهون من مكانها".

وأوضح أن الطريقة الوحيدة التي تمنع حدوث هذه العمليات البيولوجية، هي اتباع "استراحة بين الحميات"، خصوصًا كل شهرين. وباتباع الحمية شهرًا، ثم التوقف عنها شهرًا، يتم منع الجسم من التفكير بأنه تحت ضغط تعليمات صارمة، ومن ثم لا يبدأ في إبطاء قدرة الجسم على التمثيل الغذائي. ولكي يحدث ذلك، من الضروري فقدان حوالي 2 كغم من الوزن كل شهر، لأن أكثر من ذلك سيتسبّب في إثارة ذعر الجسم. وحذرت دراسة فنلندية من أن اتباع نظام غذائي وتجاهل الوجبات، يمكن أن يضرا الذين يعانون من الوزن الزائد أو السمنة أكثر مما يفيدهم.

ووجد معدو الدراسة، في جامعة هلسنكي، أن تناول وجبات الطعام بانتظام هو أفضل وسيلة لضمان وزن صحي ويسهّل التحكم في الوزن في وقت لاحق من الحياة.

وقام الباحثون، بقيادة الأخصائية الغذائية، أولا كاركاينن، بجمع بيانات نحو 5 آلاف شاب وشابة، خضعوا لاستبيان يحدد العوامل التي تؤثر على الوزن وتغيره منذ بداية الدراسة عندما كانت أعمارهم حوالي 24 سنة، وبعد 10 سنوات من ذلك، أي عندما بلغوا سن 34 عاما.

برامج فقدان الوزن تُعزّز عملية تقييد السعرات

وتوصلت الدراسة، التي نشرت نتائجها في الصحيفة البريطانية دبلي ميل، إلى أن معظم المشاركين اكتسبوا وزنا زائدا خلال السنوات العشر من الدراسة، في حين أن 7.5 بالمئة من النساء و3.8 بالمئة من الرجال فقدوا الوزن.

واكتسب معظم المشاركين وزنا زائدا بمعدل متوسط بلغ 9 كلغ في السنة لدى النساء، وكيلوغراما واحدا في السنة للرجال.

واكتشف فريق البحث أن تناول الطعام غير المنتظم واتباع الحمية الغذائية من أجل إنقاص الوزن، من بين العوامل الأساسية التي أدت لاكتساب وزن زائد على حد سواء، لدى الرجال والنساء.

وازداد خطر إصابة النساء بالسمنة والوزن الزائد بعد إنجاب طفلين أو أكثر، بالإضافة إلى شرب المشروبات السكرية بانتظام، والشعور بعدم الرضا عن الحياة.

أما بالنسبة إلى الرجال، فقد كان التدخين عاملا هاما لزيادة الوزن لديهم.

وخلصت الدراسة إلى أن حجر الزاوية في التحكم بالوزن بشكل ناجع هو الامتناع عن اتباع نظام غذائي ومراقبة عادات الأكل لدى كل من النساء والرجال.

وتوضح الدراسة أن الأمر المهم ليس إنقاص الوزن بقدر ما هو ضرورة التركيز على تناول وجبات منتظمة وكافية، تدعم الوظائف الحيوية الطبيعية للجسم، وتساعد على إدارة عادات الأكل وإدارة الوزن على المدى الطويل. ووجدت دراسة أخرى أن الأشخاص الذين لديهم تاريخ عائلي مع السمنة هم الأكثر استفادة من اتباع نظام غذائي صحي. وتوصل البحث، الذي أجرته جامعة هارفارد على مدى 20 عاما، أن متبعي الحميات الغذائية الأكثر نجاحا، هم الذين كانوا يعانون من مخاطر جينية عالية متعلقة بالبدانة، حيث كانوا الأكثر عرضة لفقدان الوزن، وكانوا قادرين على تحسين مؤشر كتلة الجسم لديهم بما يقارب 70 بالمئة أفضل من أولئك الذين لا يملكون طفرات وراثية.

> المراوحة بين اتباع الحمية لمدة شهر والتوقف عنها لمدة شهر آخر تخدع الدماغ وتمنعه من إبطاء عملية التمثيل الغذائي

ونشرت الدراسة في مجلة (بريتش مديكال جورنال)، وقام الباحثون خلالها بتتبع حوالي 14 ألف شخص بين عامي 1986 و2006.

وأشار الباحثون إلى أن النظام الغذائي الصحي يجب أن يكون غنيا بالفواكه والخضروات والمكسرات والحبوب الكاملة، فضلا عن انخفاض نسبة الملح والمشروبات السكرية والكحول واللحوم الحمراء والمصنعة.

شباب عرب يحولون بوصلة اهتمامهم إلى اللغات الأقل انتشارا عالميا

اللغة الصينية واليابانية أقصر الطرق للوصول إلى وظائف متميزة

تتجه شريحة من الشباب العربي إلى تعلم لغات قليلة الانتشار، في ظاهرة تشير إلى حجم التغيرات الحياتية لجيل اليوم الذي يسعى لتحقيق تطلعاته بالعثور على فرص عمل مثالية وتسهيل إجراءات الهجرة، إضافة إلى الرغبة في التمرد على النمط الطبيعي المتمثل في تعلم اللغات الأكثر انتشارا بالعالم، واللجوء إلى تعلم لغات لم تكن مطروقة بكثافة من قبل.

اللغة اليابانية تصقل مهارات أي خريج يعمل في مجال المحاسبة، وتنشر بعض الصحف بين حين وآخر إعلانات تطلب موظفين على دراية باللغة اليابانية

مصطفى عبيد
كاتب مصري

❑ **القاهرة** – تمثل اللغات الأجنبية جسر العبور للكثير من الشباب العربي للوصول إلى الوظيفة المناسبة في بلدانهم أو في بلاد الاغتراب، وطرأت ظاهرة جديدة بتخلي الأجيال الجديدة عن تعلم اللغات التقليدية والتوجه إلى لغات أخرى غير منتشرة على نطاق واسع، مثل الصينية واليابانية والكورية والبولندية والمجرية.

وبدت مصر في مقدمة تلك الدول التي تغيرت فيها جغرافية اللغة، وأضحت تتلون مثل شتى مناحي الحياة، حسب الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وكان من المعتاد لدى الشباب في الماضي العمل على إجادة أي من اللغات الثلاث؛ الإنكليزية والفرنسية والألمانية، باعتبارها مفاتيح لوظائف جيدة، بالإضافة إلى كونها واجهة اجتماعية لتأكيد النبوغ والتفرد، لكن الجيل الحالي غيّر اتجاه ذلك المفهوم بشكل أكبر نحو اللغات الأقل انتشارا، كجسر نحو الحصول على فرص متميزة للعمل.

وتتعدد أسباب اللجوء إلى تعلم لغات غير منتشرة؛ فيرى بعض الشباب أن إجادة اللغات المعتادة، مثل الإنكليزية، جعلت المنافسة على الوظائف الجيدة أكثر صعوبة. وبدا اختراق حواجز مجالات التجارة والاستثمار وغزو الشركات متعددة الجنسيات، يتطلب تعلم لغات خاصة لا يتقنها الكثير من أجل الفوز بوظيفة مرموقة.

ويهدف آخرون بتعلم تلك اللغات، إلى إعداد أنفسهم بشكل مُناسب للعيش في بلدان أخرى رفضا للواقع وبحثا عن حياة أفضل.

ويقول هؤلاء إن حاجز اللغة يتسبب في مشكلات عديدة للمهاجر ويجعله عرضة للوقوع في الخطأ. من هنا فإن اكتساب اللغة سوف يُيسر إجراءات الهجرة ويساهم في سرعة التأقلم مع المجتمعات الجديدة.

الهوس باللغة الصينية

ويتعلم البعض اللغة كضرورة للالتحاق بمعاهد وكليات كبرى في دول بعينها، خاصة دول شرق أوروبا التي صارت تتيح منحا تعليمية جيدة للمغتربين الذين يتقنون لغاتهم، وإلى جانب كل هؤلاء، يدرس بعض الشباب اللغات الغريبة كنوع من كسر المألوف والتمرد على المعتاد لدى الأجيال السابقة.

تحوّلت اللغة الصينية في السنوات الأخيرة إلى هوس لدى قطاع من الشباب في مصر. ورغم صعوبتها، إلا أن هناك إقبالا كبيرا على اللغة التي تعد واحدة من أكثر اللغات الشرقية صعوبة، من حيث التكوين والصياغة. ويعزز رغبة الشباب في إجادة اللغة الصعود الصيني السريع في مجال الاقتصاد، ونمو شركاته في الشرق الأوسط وأفريقيا.

وطبقا لإحصائيات معهد "كونفشيوس" للثقافة بجامعة القاهرة، فإن عدد متعلمي اللغة الصينية ارتفع من 30 دارسا عام 2007 إلى أكثر من ثلاثة آلاف طالب في عام 2017، والرقم في زيادة هذا العام.

وتقول رانيا صالح، طالبة بأحد مراكز تعليم اللغات الشرقية، إنها رأت في اللغة الصينية توجها ضروريا نحو التميز، واتجهت منذ خمس سنوات إلى تعلم اللغة الصينية اتساقا مع فكرة تمدد الشركات الصينية في مصر، وإيمانا منها بأن المستقبل الاقتصادي للعالم ليس بعيدا عن بكين.

وأكدت صالح لـ"العرب" أن نجاح الصين في تحقيق معدلات نمو مرتفعة لعدة سنوات متتالية ووصول منتجاتها إلى دول كثيرة في العالم، يعني ببساطة أنها ستكون الدولة الأولى اقتصاديا خلال سنوات معدودة، بالتالي تهيمن نفوذها على العالم كله، ويأتي ضمن هذا النفوذ انتشار لغاتها، تماما مثلما انتشرت اللغة الإنكليزية مع توسع نفوذ بريطانيا ثم الولايات المتحدة.

وترى أن اللغة هي وسيلة التواصل الأهم بين الشعوب والأجناس المختلفة، والكثير من وظائف المستقبل سوف ترتبط ارتباطا وثيقا باللغة الصينية.

ويتسق هذا التصور مع ما ذكره محمود محيي الدين النائب الأول لرئيس البنك الدولي، خلال محاضرة في جامعة القاهرة التي نصح فيها الشباب بتعلم اللغة الصينية، معتبرا أن اقتصاد المستقبل تحكمه الصين.

وتشير صالح إلى أن صعوبة اللغة الصينية كانت أحد أهم الحوافز التي دفعت الكثير من الشباب إلى قبول التحدي.

ويُمكن القول إن سرعة عمل بعض مَن تعلموا اللغة الصينية في مصر، وسفر البعض إلى دول الخليج للعمل في شركات صينية كبرى ساهم في تأكيد الفكرة لدى معظم الشباب المتعلمين.

وما يؤكد تنامي الإقبال على اللغة الصينية تزايد أعداد المتقدمين للتعلم والارتفاع في عدد المراكز الحكومية والخاصة التي تقوم بالتعليم وقد ارتفع عدد أقسام تعليم اللغة الصينية بالجامعات المصرية إلى 18 قسما، موزعة على جامعات عين شمس والقاهرة والإسكندرية والفيوم وبني سويف، فضلا عن أربع جامعات خاصة.

من جهتها، تفسر رشا كمال، أستاذة مساعدة في الترجمة الصينية بكلية الألسن في جامعة عين شمس، إقبال الشباب بكثرة على تعلم اللغة الصينية بتخطيطهم المسبق للعمل، فتعلم الصينية يوفر فرص عمل جيدة مقارنة بخريجي الأقسام الأخرى.

وأشارت كمال لـ"العرب" إلى أن أول مجال يمكن العمل فيه هو السياحة، لأن السائح الصيني لم يغب عن مصر بعد ثورة يناير عام 2011، مثلما غابت جنسيات عديدة، وعدد المرشدين لم يكن كافيا في بعض الأحيان، وهو ما دفع إلى تشجيع طلاب السنة الرابعة بأقسام اللغة الصينية للعمل كمرشدين للسياح وتغطية العجز في عدد المرشدين.

ولفتت إلى أن مصر أصبحت من أهم المقاصد للسياحة الصينية في العالم، ويساهم وجود مرشدين محليين يتحدثون الصينية على زيادة الإقبال، على خلاف مقاصد السياحة الأخرى في المنطقة، مثل تركيا وإسرائيل، حيث يعتمد مرشدوها على لغات وسيطة مثل الإنكليزية.

وتضيف "هناك 35 ألف شركة صينية مسجلة تعمل في مصر، سواء في المنطقة الصينية غرب قناة السويس، أو في منطقة شق الثعبان جنوب القاهرة، وكلها تحتاج إلى مترجمين شباب".

اليابان ثقافة وعمل

لا تمثل الصينية وحدها لغة جذابة للشباب المصري، لكن تأتي اللغة اليابانية في المركز الثاني كأكثر اللغات التي تشهد إقبالا كثيفا لتعلمها. وتوجد ثلاث جهات لتعليم اللغة اليابانية في مصر تتوزع فروعها في مناطق متفرقة من مصر، وهي "مؤسسة اليابان"، وهو مركز تعليمي مرتبط بالسفارة اليابانية وله برامج سهلة ومعلنة، والثانية هي مؤسسة "ناريتا أكاديمي"، وهو مركز رسمي يقدم الكثير من الأنشطة الثقافية، والثالثة "مؤسسة بيرلتز".

وتتشابه أهداف المتعلمين من الشباب للغة اليابانية، مع متعلمي اللغة الصينية حيث يوجد ارتباط وثيق بفرص العمل المتاحة في القطاع الاقتصادي، في ظل إنشاء شركات يابانية كبرى في الدول العربية.

وكشفت ريم جمال، طالبة بكلية التجارة بجامعة عين شمس، أن اللغة اليابانية تصقل مهارات أي خريج يعمل في مجال المحاسبة، وتنشر بعض الصحف بين حين وآخر إعلانات تطلب محاسبين وإداريين ومندوبي مبيعات على دراية باللغة اليابانية.

وذكرت لـ"العرب" أن تعلم اللغة اليابانية أسهل كثيرا من الصينية، وعدد المتعلمين أقل كثيرا، ما يتيح فرصا جيدة في وظائف شركات يابانية أو مصرية أو عربية لها علاقات تجارية مع اليابان.

وأوضحت أن هناك طرقا عديدة لتعلم اللغة اليابانية في مراكز رسمية تابعة للسفارة اليابانية بالقاهرة، ومراكز أخرى خاصة، فضلا عن وجود برامج مبسطة وسهلة لتعليم اللغة متاحة على شبكة الإنترنت.

وتعد أسعار تعلم اليابانية مناسبة للكثير من الأسر المتوسطة، ويبلغ متوسط سعر المستوى الواحد نحو 500 جنيه (30 دولارا).

ويرى البعض أن تعلم لغات الدول المتقدمة الأقرب إلى الشرق يُسهل عملية محاكاتهم ونقل تجاربهم إلى البلاد الساعية نحو التقدم، وهو ما يطرح أفكارا للإصلاح التعليمي والإداري المطبقة في اليابان والجديرة بالتتبع، ما يعدّه الشباب جسرا للتعرف على الثقافة بشكل مباشر.

ولا يتوقف الاهتمام باليابانية عند العوامل الاقتصادية لدى الشباب، لكن تملك الثقافة اليابانية بشكل عام جاذبيتها الخاصة في مجال الآداب والفنون.

ومع التدهور الاقتصادي في بعض الدول العربية، وحالة الفوضى التي نمت حلم الهجرة لدى الكثير من الشباب، أضحى تعلم لغات دول شرق أوروبا، مثل التشيكية والمجرية والسلوفاكية والبولندية والبلغارية، الطريق الأسهل للوصول إلى تلك البلدان، والحصول على إقامة شرعية فيها.

وكشف طلاب سعوا للحصول على منح دراسية في أوروبا أن بعض جامعات شرق أوروبا متميزة في علوم بعينها، وتتيح منحا للدارسين، مع دعم خاص لمتقني لغاتهم المحلية. ويحكي شهاب علي، طالب بكلية علوم الحاسب الآلي بجامعة 6 أكتوبر، لـ"العرب" أنه اضطر إلى تعلم اللغة التشيكية بعد أن وجد جامعات في دولة التشيك متميزة في مجال دراسته، وأن رسوم التعليم فيها ترتفع بشدة، إن كانت باللغة الإنكليزية أو الفرنسية، لكن شبه مجانية لمَن يجيد اللغة التشيكية.

ويخطط علي، البالغ من العمر تسعة عشر عاما، للهجرة إلى التشيك لاستكمال تعليمه وتحقيق أحلامه في بلد آخر يعتبره مهجرا مناسبا، بعد أن تعلم اللغة في المركز الثقافي التشيكي بالقاهرة، لافتا إلى أن التشيكية قريبة من السلوفاكية والبولندية، وتعلمها يُسهل تعلم باقي لغات الدول في شرق أوروبا.

> رغبة الشباب في إجادة اللغة الصينية تعززت مع الصعود الصيني السريع في مجال الاقتصاد، ونمو شركات الصينيين في الشرق الأوسط

وتساهم حكايات الحب في دفع بعض الشباب إلى تعلم لغات بعينها، إذ تنتمي فتاة تعرف عليها شاب عربي في الغالب إلى دولة أجنبية، فيسعى الشاب للهجرة إلى تلك الدولة، ويتعلم لغتها كخطوة أولى.

وقال شهاب علي، إنه تعرف قبل سنوات على فتاة تشيكية من خلال إحدى الألعاب الإلكترونية على شبكة الإنترنت، وزارت القاهرة قبل أشهر واتفقا على أن يستكمل التعليم في بلادها، بعد أن يهاجر إليها ويستقر هناك.

كما أكد نادر عبدالعظيم، طالب بكلية الهندسة في جامعة القاهرة، في تصريح لـ"العرب" أنه بدأ تعلم اللغة المجرية في المركز الثقافي المجري، رغم كونها إحدى أصعب اللغات في أوروبا.

وأشار عبدالعظيم إلى أن إتقان اللغة ييسر عليه مزاولة دراسات عليا في فروع متخصصة في الهندسة الميكانيكية بإحدى الجامعات المجرية.

وأكد أن التخطيط للهجرة إلى أوروبا شهد تغيّرا في الآونة الأخيرة، ووجد الكثير من الشباب في دول شرق أوروبا بيئة أكثر قربا للمجتمعات العربية، وهي تشهد نموا اقتصاديا واستقرارا سياسيا.

لغات جديدة دخلت على خارطة اللغات المطلوبة عالميا

الاستقلالية المالية للمرأة خيار بديل عن التبعية للرجل

نساء يفضلن العزوبية والتمسك بطموحهن المهني على الارتباط برجل متواكل

عوامل بالجملة أدت لإنتاج ظاهرة اجتماعية جديدة في المجتمعات العربية، تسمى عزوف المرأة عن الزواج، وهذا يعني تخليها عن أشياء كانت حتى وقت قريب حلم كل امرأة، وهي الأسرة والأولاد.

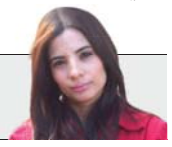

أمنة جبران
صحافية من تونس

❑ **تونس** – حققت امرأة أميركية شهرة واسعة مؤخرا على إنستغرام بعد نشر صور تتباهى فيها بيدها الخالية من خاتم الزواج أو الخطوبة. وقد قامت ماري مكارثي البالغة من العمر 30 عاما بإنشاء حساب "لست مرتبطة"، في عام 2016. ومنذ ذلك الحين أصبحت مكارثي تحتفل بعزوبيتها من خلال مشاركة لقطات ليدها اليسرى الخالية من خاتم الخطوبة.

والتقطت مكارثي العديد من الصور وهي تتسوق أو تمشي بمفردها في شوارع مدينة نيويورك أو تستمتع بوجباتها، كما التقطت صورا ليدها في متاجر متخصصة لبيع أغراض الزفاف أو في حفل قران أشخاص آخرين.

لا يبدو أن مكارثي الأميركية نموذجا شاذا للمرأة التي فضلت العزوبية على الزواج، ففي المجتمعات العربية أيضا بدأ يتزايد أنموذج المرأة التي تشتغل وتعيل نفسها بعد أن أصبحت فكرة الزواج وتكوين أسرة مستبعدة لدى الكثيرات من اللواتي يجدن في الدراسة والطموحات المهنية أفضل بديل عن الزوج الذي سيصادر حريتهن.

> الزواج بعد أن كان يمثل للمرأة التقليدية «سترا» وحماية، أصبحت المرأة خاصة في الأوساط الحضرية على قدر كبير من الندية مع الرجل وتمثلاتها للزواج مختلفة

وتعتقد معظم النساء أن الاستقلالية المادية للمرأة قد أصبحت اليوم أمرا ضروريا أكثر من ذي قبل وخاصة في ظل عزوف الشباب عن الزواج وعدم توفر العائل الذي يمكن أن تعتمد عليه في حياتها مستقبلا.

وقد أصبحت المرأة العربية تعمل في وظائف كانت حكرا على الرجال في السابق، سواء في المناصب الإدارية أو المهنية، وعلى الرغم من هذه التغيرات الاجتماعية والاقتصادية السريعة، مازال التغير في النظرة الاجتماعية، التي تميز على أساس الجنس، بطيئا، ما جعل الكثيرات يتمردن على الصور النمطية للمرأة التي يقتصر دورها على تشجيع الزوج من دون أن يكون لها طموحات مهنية خاصة بذاتها. وتقول البعض ممن استطلعت "العرب" آراءهن إنهن لسن عازفات عن الزواج فقط، لكنهن لا يرغبن بأن ينتهي بهن الحال بالزواج، فيحجر الرجل على أحلامهن ولا يوفر لهن المال الكافي ولا يلبي احتياجاتهن.

المراهنة على الوظيفة

ترى هاجر غماقي وهي فتاة تونسية في سن الثلاثين أن "الاستقلالية المادية أولوية بالنسبة إليها قبل الزواج.. إذا تعتمد عليها لتحقق طموحاتها كما تمنحها الثقة والقوة في تعاملاتها مع الآخرين". وتضيف لـ"العرب" أن "الكثير من رغبات المرأة تتحقق حين تتمتع باستقلاليتها المالية، كالترفيه ومستوى عيش أفضل". لكن الأهم من مستلزمات الحياة اليومية، تعتقد هاجر أن "الاستقلالية المالية تحمي المرأة من تقلبات الحياة والظروف الطارئة كحالات الطلاق أو وفاة الزوج أو حتى عند اختيارها البقاء عزباء في سن متقدمة فهي لن تكون عبئا على عائلتها".

ويتسق رأي هاجر مع رأي ابنة بلدها إيناس الأطرش الثلاثينية، التي تشير إلى أن خطوة الزواج تبدو أصعب بعد تخطي سن الثلاثين، فأمام نماذج الزواج في محيطها لا ترغب في التخلي عن العزوبية إذ أن نساء كثيرات أعربن عن ندمهن من الارتباط برجل استغل راتبهن الشهري ليتراخى عن مسؤوليته كعائل أول للأسرة لتقوم المرأة بهذا الدور عوضا عنه، كما أن مشروع الزواج ينهار في صورة اختارت المرأة التمسك بوظيفتها وعدم المكوث في المنزل.

وتقول إيناس لـ"العرب"، "الوظيفة الأهم بالنسبة للمرأة اليوم إذ لم تجد ذلك الرجل القادر على إعالتها وتحمل المسؤولية". وبينت إيناس أن من"أسباب عزوفها عن الزواج مخاوفها من تجربة فاشلة ورجل متواكل". وتعتقد إيناس أنه على الرغم من الحاجة العاطفية للرجل تستطيع المرأة في حال حققت استقلاليتها المالية الاستغناء عنه.

واستطاعت المرأة العربية أن تتخطى قيود العائلة والمجتمع اللذين يطرحان أكثر من سؤال إذا تجاوزت سنا معينا ولم تدخل قفص الزوجية، لكن بنجاحها في دراستها وتحملها المسؤولية في مجالات مهنية شتى، تحررت من الصورة التقليدية التي تحصر إنجازات المرأة في زوج وأولاد.

سند المرأة العاملة الراتب وليس الزوج

ولم يعد يحتل الرجل بالنسبة لمعظم النساء الأولوية كهدف وطموح، إذ باتت ترى في الوظيفة والدراسة سندين لها بعد أن تراجعت الثقة في إيجاد شريك مسؤول قادر على إعالة عائلته المستقبلية، إضافة إلى أسباب أخرى تعود إلى تجارب شخصية.

وفسر خبراء الاجتماع تغير نظرة المرأة لمؤسسة الزواج، وأوضحوا أنها تعود لتطور المجتمع مع تطور مستواها التعليمي.

وقال الطيب الطويلي المختص في علم اجتماع لـ"العرب"، إن "الزواج بعد أن كان يمثل للمرأة التقليدية سترا وحماية على المستوى المادي والاجتماعي، لكن بعد أن أصبحت المرأة خاصة في الأوساط الحضرية على قدر كبير من الندية مع الرجل، اختلفت رؤيتها للزواج". ولفت الطويلي إلى أن " المرأة لم تعد تبحث عن من يسترها وينفق عليها بقدر ما أصبحت تبحث عن علاقة تشاركية وتكاملية مع الرجل". مشيرا إلى أن "مكاسب المرأة التعليمية والاجتماعية مكنتها من كسب شخصية ثقافية متميزة، كما أنها اكتسبت شخصيتها المادية المستقلة باعتبار خروجها إلى معترك العمل ومقدرتها على الإنفاق الذاتي".

ولا يرجع تأخر سن الزواج لدى المرأة في تقدير الطويلي إلى العزوف أو عدم الرغبة في الزواج بقدر ما يعود إلى "انتقائية المرأة للشريك ورغبتها في اختيار المخصب الأفضل، بعد أن كانت المرأة العربية طيلة قرون لا حول لها ولا قوة تزف لأول الخاطبين بحجة 'الستر' أو 'الصون'". وتجمع الكثير من النساء باختلاف أعمارهن أو الطبقة الاجتماعية أن النجاح في العمل والدراسة بات شغلهن الشاغل ويقف وراء قرارهن العزوف عن الزواج.

رفض التبعية للذكر

هذا العزوف عن الزواج والشغف بالعمل عند الكثير من النساء لا يحصره المختص في علم النفس عبدالباسط الفقيه بالرغبة في الاستقلالية المالية. ويشير الفقيه لـ"العرب"، إلى أن "المرأة التي حققت ذاتها في عملها وتفوقت مهنيا تضيف إلى شخصيتها أبعادا جديدة تجعلها ترفض واقع التبعية للرجل، الأمر الذي يجعلها تفضل العزوبية على أن تخضع لإرادة الذكر الذي يستفيد من هذا التصنيف الاجتماعي لقيادة أمر الأسرة".

ويقول الفقيه "المرأة التي بذلت جهدا في المجال المهني والدراسي من الصعب عليها أن تتنازل من أجل ارتباط زوجي قد يقلب الوضعية الإدارية التي هي عليها". ويتابع "الزوج يخضع المرأة إلى تراتبية أخرى في المنزل فهي سيدة في العمل لكن تابعة له في البيت.. وينطبق هذا التمشي على الرجل ذي مستوى الفكري والثقافي الضعيف".

ولا يعني ذاك أن المرأة بوسعها أن تلغي أو تنكر حاجتها العاطفية للرجل غير أن المرأة العاملة غير مستعدة أن تقبل بشريك دون شروط محددة. وأمام تجارب الزواج الفاشلة المحيطة بها تبدو المرأة غير مستعدة لخوض مغامرة غير مضمونة النتائج.

الخطوبة شعر والزّواج نثر

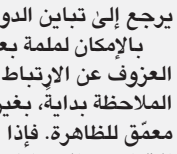

سمية عزام
كاتبة وأكاديمية من لبنان

❑ تتعدّد أسباب العزوف عن الزّواج في المجتمعات، وإن تبدّت الظاهرة بصورة واحدة مؤتلفة، إلّا أن الاختلافات تعود إلى الفرد نفسه، بقطع النظر عن جنسه أو المنظومة الثقافيّة التي ينتمي إليها، كما يرجع إلى تباين الدوافع لدى كلا الجنسين.

بالإمكان لملمة بعض ما يخصّ ظاهرة العزوف عن الارتباط برباط الزواج عن طريق الملاحظة بدايةً، بغير تمحيص أو تحليل معمّق للظاهرة. فإذا تأخّر أحد الشبان في الإقدام عن الارتباط بفتاة في مجتمع يثمّن قيمة الزّواج المبكر، فسوف تذهب الأفكار باتّجاه الوضع الاقتصادي المحبط له، أو العجز النّفسيّ–الجنسيّ ما لم يكن الدّافع الأوّل مقنعًا. أمّا الدّوافع لدى الفتاة فغالبًا ما تكون مغايرة.

بعض الفتيات يبقين في دائرة الوحدة لأسباب تعود إلى حظوظهنّ بما يتمتّعن به من صفات خارجيّة أو داخليّة، من حيث الشكل والمظهر غير الجاذبين للجنس الآخر، أو البيئة غير المتجانسة مع الجو العام للمجتمع. هذا لجهة عين الآخر – الرجل والمحيط، أيّ أنّ هذه الأسباب تصنّف في باب الإكراه، وحزن الفتاة في أن تبقى بغير شريك في ما لو توفّرت فرص لارتباطها.

أمّا من وجهة نظر ذاتيّة تخصّ المرأة وحدها، بتقدير حرّيّتها الشخصيّة وحقّها في الاختيار؛ فنرصد اتّجاهين، أحدهما منبعه "العشق الإلهي"، أو النّزعة التصوّفيّة الدّافعة أحيانًا للرّهبنة وطلب النّسك في بعض المجتمعات التي تدين بالمسيحيّة، ولدى بعض الفرق الإسلاميّة الباطنيّة. واتّجاه آخر يقوم على مبدأ مشروعيّة الاختلاف، ورفض الارتباط لكراهية التّبعيّة لسلطة الرجل وأهوائه ومزاجيته، والرغبة في الاستقلالية المعنوية، بعد تحقيق استقلالها المادي. إذًا، للوضع الاقتصادي دور في تحديد الكثير من الخيارات لدى المرأة. هذا الاتجاه الأخير يستحق التوقّف للنظر فيه، لا سيما أنه حدث مستجد، ينمو باطراد لتنامي الفرص المتاحة أمام المرأة كي تتبوّأ مراكز رفيعة في عملها.

غالبًا ما يشكّل الزواج لدى المرأة عامل استقرار عاطفيّ. فحين أقدمت على الارتباط، فوجئت بموقف إحدى الصّديقات الرّافضات لفكرة وجود الرجل بحياتها، وقد تخطّت سنّ الزّواج، على الرّغم من أناقتها وسعة ثقافتها. وحين استوضحتها عن الأمر، قالت إنّ الرّجال شعراء في مرحلة الخطوبة، وبعد الزّواج يتحوّل الشعر نثرًا. وأجمل الشعر أكذبه... وبعد برهة من التفكّر، رتّبت كلامها في ما يشبه المثل: "الخطوبة شعر، والزواج نثر".

كلامها هذا جعلني أذهب في تصوّري باتّجاه تجربة غير ناجحة مرت بها، وكذلك إلى تحليل معاني الشعر والنثر في الصورة التشبيهية التي رسمتها. لم تكن صديقتي بعيدة عن الحقيقة الممكنة في وصفها. في شاعرية الكلام نداء البعيد ليقترب، وفي جماليّات الصّور التعبيريّة أحلام تتجسّد، والشعر أقدر على التصوير الكلامي بتكثيفه وإيحاءاته. التودّد للحبيبة عبر الكلمة بغية الاقتراب والقبول، والإغراق في الغزل، ووصف الأشواق لها، تتضاءل وظيفتها حين يتحقّق حلم اللقاء؛ فيسود غالبًا، الصمت، بل تبدأ وظيفة النثر، بحسب تعبير صديقتي. وهو يعني بتفاصيل الحياة اليوميّة وشجونها، أي "بالمعاني التعيينيّة"، إذا ما استعرت لغة النقد. إن كانت مرحلة الخطوبة شعرًا يصوّر بيت الزوجية أحلامًا وردية، واللقاء المستديم فردوسًا، فالواقع ربما لا يأتي على مستوى هذه الرّوعة من الحلم المتصوَّر. فهل هو القلق من الخيبة والخذلان، أو تكشّف السّراب في عذوبة الكلمات جعل بين صديقتي وبين الرّجل–الزّوج أميالًا؟!

للحفر في معاني الحياة الحلميّة وضرورتها الوجوديّة والنّفسيّة لدى المرأة بخاصّة، فإنّ سيكولوجيّتها تشير إلى أنّها تعشق الحبّ لذاته بقدر ما تعشق الحبيب في مودّته ورحمته. لذا، فإن ترك مسافة زمنيّة ومكانيّة تبقي الأشواق متّقدة؛ تُدفئ ولا تحرق، بل تفسح المجال للحلم كي يتنفّس.

ازدياد اقتراب الشّريكين من بعضهما البعض، قد لا يجعلهما يريان الجمال في العلاقة؛ إذ يتلاشى الحلم في القرب. مثل الثّبات في المكان يفقدنا الحنين إليه؛ وأجمل من المكان الرنوّ إليه، كما يعبّر بعض الأدباء. للحلم، وفلسفة الحياة عبره، رؤى تتقاطع.. ينشد فرناندو بيسوا: "أريد أن أحلم بك، لا أن أحبّك". ويعلن غاستون باشلار أنّه يحلم؛ فالعالم إذن، موجود كما يحلم به. ويميّز هايدغر بين الواقع والحلم بوصف ما يمكن اختباره يوميا ليس سوى اللاواقعيّ، والشعر هو الواقعيّ فعليًا، ويبعث على ما هو خياليّ، وما هو حلم في مواجهة الواقع الصّاخب. كما يضيف بأننا لسنا سوى حلم بالحياة. لكن، أليس بالإمكان صناعة خليط من الاثنين لإتقان فنّ العيش: الحلم بالحياة، وعيش الحياة بوصفها أجمل حلم، وأجمل من أيّ حلم؟ وثالثهما أنّ الآتي سيكون أجمل، فما أروع ما لم يكن بعد!

إخراج صديقتي قولها الذي قد يجري مجرى المثل يعود بي إلى ظاهرة الأمثال الشّعبيّة، وعلاقتها بالفلسفة. فالسبيل الذي يستخدمه الإنسان لإطلاق الأحكام، يفسّر اجتراح الأمثال التي تغدو ثقافة مجتمع أو فلسفة حياة، بوصف المثل تصويرًا موجزًا ومكثّفًا لعلاقات الإنسان بذاته وعالمه، وبالمفاهيم والمعتقدات. وموقفه يرتبط بوعيه ولاوعيه، وكلّ منهما جزء من الوعي واللاوعي الجماعي، الأمر الذي يظهر تناقض دلالات الأمثال الشعبيّة من دون بذل جهد، ولا نعجب لذلك، لأنّها تبريرات لحالات متعاكسة. ويخفي هذا التعارض نقضًا فلسفيًا أصيلًا.

ولتوضيح ذلك، فإنّ المثل الشعبي اللبنانيّ "وجود الزلمي بالبيت رحمة ولو كان فحمة" يثمن العلاقة الزوجية مهما اعترضتها من تحدّيات، وضرورة وجود الرجل في حياة المرأة، ما يناقض ما تعتقده العازفة عن الزواج في مقولتها "الخطوبة شعر والزّواج نثر" بدلالتها السلبيّة.

إنّما أصول الفلسفة الكلاسيكيّة هي الدهشة والشك، بينما المفكّر الشعبي لا يعرف مثل هذه الأصول لأنّه دائم المراقبة للواقع. ويعمل على نقده واتخاذ موقف منه انطلاقًا مما يخصه من إيمان، وطلبًا للاستقرار الاجتماعي، وهو يبتعد من روح التحليل الذي يشكّل جوهر الفلسفة الكلاسيكيّة.

بالعودة إلى سرديّتي، كان أمامي رصد سوسيو–نفسي لجذور تشكيل صورة المرأة لنفسها انطلاقًا من علاقتها بأمّها. حيث تواجه الفتاة أمها، وتكافح لخلق هويّة مختلفة عنها. قد تعيش خبرات الاكتئاب، إلى أن تقرّر إتباع نموها الداخلي الخاص بها.

هكذا، تحرّر نفسها من ميثولوجيا الحب الجنسي، وحاكميات المنظومة الاجتماعيّة. تتغيّر صفة المرأة بانتقالها من وضع اجتماعي إلى آخر، فلا تحتفظ بكنية معينة، وتنسب دومًا إلى رجل تحمل اسمه، لا اسمها. فهي "ابنة فلان" حين تكون عزباء، لتصبح "زوجة فلان" حين تنتقل إلى بيت زوجها، "فأمّ فلان" حين تنجب أوّل ذكر. لا تسمّى باسمها. والتسميّة نداء ودعوة وحضور. وبتغييب اسمها وإبراز الكنيات الرديفة دلالة على تبعيّتها للرجل والانتقاص من كيانها. لذا، قد يأتي قرارها بالعزوف عن الزّواج بمنزلة آليّة دفاعيّة من آليّات النفس لدفع هذا التبخيس بحقّها في الفرادة والتّمايز. لم يأتِ ردّي على المثل المقترَح من بطلة قصّتي، سوى من المعجم النقديّ ذاته؛ إذ فطنت إلى مقولة أبي حيّان التوحيدي في أبهى توصيف للشعر والنثر معًا، بأنّ أحسن الكلام ما قامت صورته بين نظم كأنّه نثر، وبين نثر كأنّه نظم. ماذا، يا صديقتي، لو جاءت العلاقة بين الحبيبين سرديّة في الشعر، وتصويرًا شعريًا في السّرد، ليتلاشى الحدّ الزّمني بين الما قبل والما بَعد، ويتوحّد الثّنائي في الزّمن بدلًا من أن يؤسّس لمأزقهما.؟!

فضول الزوج مصدر إزعاج للزوجة رغم التبريرات

الأزواج لا يعترفون بالفضول ويعتبرون من حقهم معرفة كل شيء يخص الزوجة

عادة ما يُربط الفضول بطباع المرأة ويعتبر من الصفات التي تزعج الزوج ويتذمر منها كثيرا، لكن عندما تنقلب الآية ويصبح الفضول عادة عند الزوج فإن الكثيرين في المجتمعات العربية يرونه أمرا عاديا معتبرين أنه من حق الرجل أن يسأل زوجته عن كل شيء وأن يتدخل في كل ما يخص الأسرة حتى وإن كان ذلك من المسائل التافهة أو التي لا تعنيه.

سلمى جمال

❑ **القاهرة** – لا يعترف أغلب الرجال بأنهم فضوليون خصوصا عندما يتعلق الأمر بفيض الأسئلة التي يلقونها على زوجاتهم لمعرفة كل شيء من الأمور التي تهمهم والتي قد لا تضيف لهم معرفتهم بها شيئا. ويعتبر بعض الأزواج أن التدخل في كل شيء من مشمولاتهم كأزواج مشرفين ومسيرين للعلاقة الزوجية وللأسرة ولا يعترف بعضهم بأن للزوجة أمورا تخصها وحدها بعد الزواج.

ويقول جمال عبدالحميد، مدرس ثانوي، "بصراحة أنا زوج فضولي، وتدخلي في شؤون أسرتي ليس وليد اليوم، فأنا أطّلع على كل أمور البيت منذ بداية حياتي الزوجية. وأريد أن أوضح أنني لا أرى نفسي 'حشريا' بالمعنى السلبي للكلمة، وإنما يمكن القول إنني متابع جيد ليوميات أسرتي، ولا سيما زوجتي وأبنائي، وكل ما له علاقة بالبيت، أما بالنسبة إلى زوجتي، فهي طبعا ليست سعيدة بهذا السلوك وتتمنى أن أترك لها حرية التصرف ومعالجة الأمور، لأن تدخلي واستفساراتي المستمرة يزعجانها".

> بعض الأزواج يعتبرون أن التدخل في كل شيء من مشمولاتهم كأزواج مشرفين ومسيرين للعلاقة الزوجية وللأسرة

ويؤكد رمضان رضوان، محاسب، أنه من حقه الاطلاع على كل تفاصيل حياة أسرته، ولا سيما تصرفات زوجته وطريقة تربيتها لأبنائها وأسلوب تدريسهم، إضافة إلى شكل الحياة الاجتماعية لأسرتي، موضحا "أنا أكره أن تمرّ حادثة مع زوجتي أو أحد أبنائي ولا أعلم بها حتى وإن كانت عابرة، وأرفض أن تفلت الأمور من سيطرتي لكي لا أفاجأ في ما بعد بتداعيات أمر لم أكن على علم به من قبل، لذلك لا بدّ من أن تبلغني زوجتي بكل التفاصيل سواء سألتها أم لم أسألها".

من جانبها تفيد سعاد (متزوجة منذ 15 عاما) "أنا لا أسمح بأن يحتل حياتي زوج فضولي، ربما لأني أكره الفضوليين بشكل عام، سواء أكان من الرجال أم النساء، ولا أحتمل العيش مع زوج من هذا النوع، لذلك كنت واضحة وصريحة في هذا الشأن منذ فترة الخطبة". وتضيف أنها لاحظت أن معظم الفتيات يستهنّ بأشهر الخطبة ويعتبرنها فرصة للمرح والتعارف، ويغفلن أن غايتها في الأصل التعرف جيدا إلى سلوكيات الشريك وطباعه، وما إذا كانت تتناسب مع شخصية كل منهن أم لا، مؤكدة أنه بالنسبة إليها فقد كان من ضمن أولوياتها ألا يكون زوجها فضوليا ومتطفلا.

أوقات الترفيه تتيح الفرصة لطرح الأسئلة

وبرأي سعاد لا يوجد رجل لا يقوم بين فترة وأخرى بتقصي بعض الأمور التي تخطر في باله، والتي تهم البيت والأسرة والزوجة ولكن في المجمل يجب أن يكون إنسانا مريحا ومتفهما ولا يسأل أبدا عن أمر لا يعنيه، إذ يتبع مبدأ "من حسن إيمان المرء ترك ما لا يعنيه"، وحينها يتعين على الزوجة أن تخبره من تلقاء نفسي عن الأمور المهمة التي تخصها وتهم الأبناء والبيت، وبهذه الطريقة يفتح باب النقاش حول المسائل المشتركة.

ويقول محمود البنا، مهندس بشركة اتصالات "لم تمر على زواجي أشهر معدودة، ومع ذلك أحب أن أدقق في كل المواقف التي تواجه زوجتي خلال كامل اليوم، وذلك عبر الاستفسارات البسيطة التي تفتح لي مجالا واسعا للحوار.

وأفعل ذلك من منطلق حبي لها واهتمامي بها، ولا أنظر إلى الأمر على أنه تطفل لأنني لم أتدخل في شؤون أحد غريب، فهذه زوجتي ثم إن المرأة بطبعها تسعد بوجود زوجها بشكل دائم في تفاصيل حياتها". وشرح البنا أنه حسب رأيه يحق للزوج أن يتدخل في خصوصيات زوجته، فالرجل لا يعترض على مظهر زوجته عندما تخرج من البيت بزي محتشم، لكنه يشعر بالإحراج في حال ارتدت ملابس لا تناسب ذوقه، وهنا لا بد أن يكون له تعليق على الأمر فالزوج مطالب بأن يعوّد الإنسانة التي يعيش معها على توجهاته ورغباته ويطّلع على شؤونها ليمنحها الموافقة أو الرفض، وإلا فلن يستطيع قيادة السفينة بنجاح.

في حين يدافع حازم محمود، مهندس مدني، عن سلوكه بقوله "أنا لا أقحم نفسي في ما لا يعنيني، سواء أكان ذلك في علاقتي بزوجتي أم بالمقربين مني لكني في المقابل أصر على معرفة بعض الأمور، من باب الحرص وتلافي وقوع المشكلات.

وفي حال لاحظت أي توتر عند زوجتي لا بد أن أطّلع على السبب، بداية أسألها بشكل مباشر، فإذا لم تردّ أتركها حتى تهدأ ثم أعيد الكرة مرة واثنتين وثلاثا إلى أن أحصل على الإجابة المقنعة، وبعد ذلك أسعى إلى مساعدتها في حل المشكلة".

بينما تقول نهى جلال (متزوجة منذ 6 أعوام) "من خلال تجربتي مع زوجي الفضولي، استخلصت حكمة مفادها أنه على المرأة الذكية أن تسير مع التيار لتسلم، وإلا خسرت الكثير، وعليه قررت أن أجيب عن كل تساؤلات زوجي من دون أن أبدي له أي انزعاج أو توتر، فالحشرية من طبعه ولا أستطيع تغييره فلماذا أشغل نفسي؟ في السنتين الأوليين، من زواجي، كنت أثور كلما لمست نبرة الفضول في عباراته أو كلما استفسر عن أمر ما في لباسي أو في كلامي وزياراتي للأهل والأصدقاء، حتى أنني في مرات كثيرة لا أرد عليه، وفي المقابل كان يتضايق إلى أبعد الحدود، لذلك تعلمت من أخطائي وفضلت أن أشتري راحتي ببعض الأجوبة التي لا تقدم ولا تؤخر".

وتعتبر الباحثة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية بالقاهرة كريمة محمود أن قضية الزوج الفضولي تفهم أحيانا بطريقة خاطئة، لأنه من حق الزوج أن يعرف ويسأل ولا بد للزوجة أن تمده بالاستفسارات والإجابات، وترضي رغبته في المعرفة.

والزوج بطبعه يعتبر نفسه مسؤولا عن كل ما يحدث في بيته أو لأسرته وأنه الوحيد الذي يستطيع حل المشاكل والتصرف، ويرى أن الزوجة رغم تعلمها ستكون مواقفها محدودة، ولذلك لا بد للرجل أن يعرف كل شيء وواجب الزوجة أن ترضيه لأنه المسؤول الأول عن كل شيء.

أما إذا كان تطفل الزوج يتجاوز حده عندما يسأل عن أشياء لا تخصه فهذا لا تقبله عادة الزوجة، وعليها أن تثير معه المسألة لأنه ليس من حقه تجاوز حدود معينة في علاقاتها وخصوصياتها وتبعا لذلك من حق الزوجة أن تعترض على ذلك.

الفقراء ومحدودو الدخل أول المتضررين من الأزمات الاقتصادية

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❑ تعيش جل بلدان العالم أزمات اقتصادية تتفاوت حدّتها من بلد إلى آخر بحسب درجة التطور والنمط الاقتصادي وحجم المشاركة في الاقتصاد العالمي، ولكن هذه الأزمات اشتدت وطأتها على المجتمعات الأقل تطورا اقتصاديا والتي تحتكم إلى اقتصادات هشة استهلاكية، كما هو الشأن بالنسبة للبلدان العربية التي تتفاوت فيها حدّة الأزمة الاقتصادية بمعيار مدى امتلاك الثروات الطبيعية والبترولية بالخصوص.

لسنا بصدد دراسة أسباب الأزمة ومظاهرها اقتصاديا وماليا، ولكننا بصفتنا مواطنين عاديين نشتغل في السلك الوظيفي أو نمارس أنشطة حرفية أو تجارية صغيرة، يبدو علينا التعب والانهيار أحيانا ونحن نصارع من أجل الحفاظ على تماسك عائلاتنا وأسرنا في هذا الخضمّ الذي أسدل ظلاله الكثيفة على القدرة الشرائية وعلى الإيفاء بالتعهدات العائلية الملحّة، على مستوى الاحتياجات اليومية الروتينية؛ الأكل والشرب والدراسة والصحة دون اعتبار الجانب الترفيهي الذي أضحى من الكماليات في هذه الأيام.

الكثير منا –بمن فيهم من الطبقة المثقفة والمتعلمة– لا يفقهون شيئا في مصطلحات ومفاهيم متعلقة بمجالي الاقتصاد والمال، كمفهوم التضخّم وتعويم العملة وتحرير الدينار ونسبة الفائدة والعجز التجاري ونسبة النموّ.. ولكنهم يكثفون البحث ويجتهدون لفهمها ليس من باب التعلّم أو المعرفة المحضة، ولكن لاستيعاب الارتدادات المالية بالخصوص على مستوى عيشهم كأفراد أو كأسر. انخفضت قيمة العملة، الدينار التونسي مثلا أو الليرة التركية أو الجنيه المصري، وانعكس ذلك مباشرة على المقدرة الشرائية التي أضحت في أسوأ حالاتها، خاصة بالنسبة للشرائح الاجتماعية الفقيرة أو محدودة الدخل.

وانخفاض قيمة العملة يساهم في ارتفاع نسبة التضخّم وكلما ازداد هذا الارتفاع كلما ساءت أحوال الناس، ويبدأ مستوى العيش في الانحدار والتدني بدءا بالانتقاء عبر التخلص من المصاريف المخصصة لبعض "الكماليات الضرورية في عصرنا" كالهاتف والسيارة أو الترفيه والسياحة. ثمّ يعمد البعض إلى التقشف القسري في ما هو ضروري كالأكل الذي يفقد تنوعه وثراءه الغذائي ما ينقص من قيمته الغذائية وهو ما يؤثر سلبا خاصة على نمو الأطفال الصغار، فحينما يختلّ التوازن باختلال الكميات من البيض واللحوم والأسماك والحليب.. تصبح هذه المواد موسمية على الموائد.

ويمتدّ الأمر ليمسّ مجالات حيوية أخرى في حياة الناس وفي هذا الإطار أسوق مثال الدواء الذي شهدت كمياته نقصا حادا، وفي بعض الأحيان تنعدم أدوية معينة من السوق رغم تضاعف أثمانها بحجة أنها مستوردة بالعملة الصعبة، فحين تفقد أدوية حيوية لمداواة الأمراض المزمنة كالسكري وضغط الدم أو الأمراض المستعصية كالسرطان عافاكم الله، يصبح القطاع الصحي يعاني أزمة حقيقية نتيجة الأزمة الاقتصادية الخانقة.

في هذا الخضمّ من المعاناة اليومية المترتبة عن الأزمات الاقتصادية والتي استفحلت إلى درجة أنها أصبحت لا تطاق وأضحى الناس –خاصة في ما سمي ببلدان الربيع العربي التي شهدت ثورات– يعانون من ضيق الآفاق المعنوية والمادية ما جعل الآمال كلها تنحصر في تحسين مستوى العيش، حيث غابت الأحلام الكبيرة بالديمقراطية والحرية وغابت معها الدوافع الإيجابية للحياة. هذا الوضع "الكارثي" في أغلب واجهاته غيّر حتى الأفكار التقدمية الرائدة كما غيّر الانتظارات والقيم، وأصبح كل فرد يفكّر فقط كيف يتجاوز الضغط الأسري المسلط عليه، كيف سيواجه متطلبات أولاده المادية، وكيف سيتحكم في مخلفات التضخم وانحدار قيمة العملة في مقابل ارتفاع صاروخي للأسعار؟

كان البسطاء ينتظرون من الساسة تخليصهم من مخلفات الاستبداد والدكتاتورية وعلى رأس ذلك الوعود برفاهية العيش التي قدموها في كل المناسبات الانتخابية، وبعدها يتضح العجز وخاصة في المجال الاقتصادي الحيوي والذي يتصل مباشرة بمستوى العيش اليومي فيزيد من وطأة هذه الحياة ويعمّ التشاؤم وينعدم الأمل ما يجعل الإدمان ينتشر بين صفوف الشباب، كما الهجرة السرية التي أودت بحياة المئات منهم، كما الجريمة التي تفشت ففقد الناس الأمن والأمان.

ماذا يفعل أولياء الأمور لإقناع منظوريهم بالاجتهاد في الدراسة والتحصيل العلمي وهم يشاهدون حافلات البطالين تتعاظم وأعدادهم ترتفع في اطّراد مخيف، فحين تشحّ الموارد المالية يصيب العجز كلّ تفاصيل الحياة اليومية، حتى التفكير الممنهج والمنطقي يصاب بالشلل، وتتعطل دوافع الفعل الإيجابي.

ليس مطلوبا منا أن نكون متضلعين في نظريات الاقتصاد لنفهم –وبأقل مجهود ممكن– أن السياسة هي التي أفسدت الاقتصاد، وأن المتضرر الأساسي في كل هذا من انتمى إلى الطبقات الوسطى والفقيرة والمعدمة، ومن كان من ضمن العائلات محدودة الدخل، فكل هؤلاء ضحايا الإفلاس التنظيمي والتسييري للموارد الطبيعية والبشرية في أي مكان في العالم.

حين تفكّر كل التوجهات الاقتصادية والمالية في إشباع بطون كل الجائعين، وحين تخفّ وطأة الأنانية والجشع والانتهازية ومحاولة الإثراء بأي شكل كان، وحين تخفف الأنظمة المالية ومؤسسات الإقراض العالمي من قيودها على الشعوب الفقيرة، وقتها فقط ينعم الناس بالحدّ الأدنى من الاستقرار المادي والغذائي والنفسي، وربما يتجدد الأمل بغد أفضل.

طبق اليوم

لحم مشوي في الفرن

* **المقادير:**
- (2) كلغ من لحم الخروف الطري.
- (2) بصلتان من الحجم الكبير.
- (4) أربعة حبات ثوم.
- (2) حبتات جزر.
- (2) حبتان من الطماطم.
- 1 حبّة من الفلفل الحلو كبيرة الحجم.
- (1) ملعقة كبيرة من الفلفل الأبيض، وملعقة صغيرة من البهارات المشكلة.
- (1) ملعقة من الفلفل الأسود، وملح حسب الرغبة، ملعقة من حب الهال.
- (2) ورقتان من الغار، وملعقة صغيرة من القرفة وملعقة صغيرة من الزنجبيل المطحون.
- (2) لتران من الماء، وعصير حبة ليمونة.

* **طريقة الإعداد:**
- نقطّع اللحم إلى قطع متوسطة الحجم، ثم نضعها في الماء الدافئ على النار إلى أن تغلي لمدة عشر دقائق، ثم نخرجها من الماء ونتركها تنشف قليلا، ثم نقطع البصلتين إلى قطع صغيرة.

ونرمي المكونات في صينية الفرن، ونقطع بقية الخضار مكعبات صغيرة ونضيفها إلى الفرن، نخلطها ثم نضيف التوابل ونحرك ليندمج الخليط جيدا بعصير الليمون.
- نأخذ قطع اللحم ونضعها مع الخليط المتجانس، ونحرك الكل إلى أن يأخذ اللحم نكهة البهارات.
- بعد ذلك يضاف الماء وتغطى الصينية بورق الألومنيوم ثم تدخل إلى الفرن في درجة حرارة عالية إلى أن تغلي، بعدها نخفض درجة الحرارة ونتركها لحوالي ساعتين إلى أن ينضج الطعام.
- وفي الأخير نخرجه من الفرن ونقدمه مع المقبلات التي اخترناها له.

موضة

مفهوم جديد لـ«صنع في الصين» خلال أسبوع الموضة في شنغهاي

❑ انطلقت دورات أسبوع الموضة في شنغهاي منذ عام 2003، وتميزت عروض هذا العام بسعي المصممين الصينيين إلى ترك بصمتهم في عالم الموضة.

وعمل المصممون ومنظمو عروض هذا العام في أسبوع شنغهاي للموضة على إعطاء تعريف وسمعة جديدَيْن لعبارة "صنع في الصين". وحاول مصممو الأزياء الصينيون أيضا وضع بصمة صينية على تصاميمهم.

ونظمت العلامة التجارية "أنجل شان" عرضا لافتاً ذا خلفية بتصميم من النيون، كما تعاونت العديد من علامات الموضة مع علامات تجارية لزيادة جهودها التسويقية، إذ تعاونت "كونفرس" مثلا مع مصممة الأزياء الرجالية، فينغ تشين وانغ، من أجل إحدى مجموعاتها، بحسب موقع الـ"سي.أن.أن.

وسعى قطاع الأزياء إلى تحديد ما الذي يجعل التصميم الصيني صينياً، وذلك رغبة في تغيير مفهوم "صنع في الصين" المرتبط بالمنتجات المزيفة ورديئة الجودة.

وقامت شبكة تلفزيونية دولية ببث برنامج يشجع المصممين الناشئين على استخدام رموز من التراث الصيني في أعمالهم. وتزينت منصة أسبوع الموضة في شنغهاي بتصاميم تعكس التراث الصيني بطريقةٍ عصرية.

موقعة برج العرب.. الاختبار الحقيقي لتونس ومصر

تحديات كبرى تشعل الصراع بين البنزرتي وأغيري

أسدل الستار على منافسات الجولة الرابعة من تصفيات أمم أفريقيا 2019، وسط تباين في نتائج المنتخبات العربية، ما بين أفراح البعض بالصعود، وتعثر منتخبات أخرى في تحقيق الانتصار. ويشارك في البطولة المقبلة في الكاميرون 24 منتخبا لأول مرة، بدلا من 16، وهو ما يمنح فرصة لتأهل عدد أكبر من المنتخبات العربية. وشهدت هذه الجولة تأهل 4 فرق رسميا إلى نهائيات أمم أفريقيا، وهي مصر وتونس ومدغشقر والسنغال، إلى جانب الكاميرون الدولة المضيفة.

أغيري يهندس لبرنامج الفراعنة لأمم أفريقيا

❑ **تونس** – حقق منتخبا تونس ومصر، بفوزين خارج الديار، التأهل المبكر عن المجموعة العاشرة، والتواجد في نهائيات البطولة قبل جولتين من نهاية التصفيات. وعاد نسور قرطاج بفوز مهم من النيجر، ليحقق أبناء المدرب فوزي البنزرتي العلامة الكاملة، بـ4 انتصارات، دون خسارة أي نقطة. واحتاج منتخب تونس لمجهودات لاعبه فراس شواط، الذي سجل هدفين، ولم يتأثر بهدف تقليص الفارق للنيجر، ليحصد النقاط الثلاث، وتصبح مباراته المقبلة أمام الفراعنة على تحديد متصدر المجموعة.

وقال البنزرتي "بعد مواجهة الذهاب أمام النيجر حرصت على ترميم معنويات اللاعبين وطلبت منهم أن يخوضوا المباراة دون ضغوط وأن يستمتعوا". وتابع "بالفعل كان أداء منتخب تونس اليوم أفضل رغم أننا لعبنا في نيامي، ورغم ارتفاع درجات الحرارة والأخطاء التي قام بها اللاعبون في مباراة الذهاب فقد تم تفاديها في النيجر". وواصل فوزي البنزرتي تقييمه لمنتخب تونس قائلا "كل اللاعبين قدموا ما كان مطلوبا منهم كما أن خطوطنا كانت مترابطة وأدت دورها على الوجه الأكمل".

وحدد الاتحاد المصري لكرة القدم يوم 16 نوفمبر المقبل موعدا لمباراة مصر وتونس ضمن الجولة الخامسة لتصفيات المجموعة العاشرة المؤهلة لنهائيات الأمم الأفريقية بملعب الجيش ببرج العرب، وذلك في بيان رسمي أصدره اتحاد الكرة. كما اتفق الاتحادان المصري والتونسي لكرة القدم على إقامة مباراة ودية بين منتخبي البلدين الأولمبيين يوم 15 نوفمبر المقبل على هامش لقاء منتخبي البلدين يوم 16 من الشهر نفسه. وذلك في انتظار الجولة الأخيرة المقررة في 22 مارس حيث يحل "الفراعنة" الذين يحلمون بلقبهم القاري الثامن، ضيوفا على النيجر، فيما يلعب "نسور قرطاج" الذين توجوا بلقب واحد عام 2004 على أرضهم، ضد سوازيلاند بين جماهيرهم.

بات من الواضح أن منتخب تونس بحاجة لتقوية صفوفه بلاعبين مؤثرين تحسبا لمسابقة أمم أفريقيا، ويتابع المدرب فوزي البنزرتي ثلاثة لاعبين مزدوجي الجنسية قادرين على قيادة "نسور قرطاج" للفوز بنسخة 2019.

لعل أبرزهم راني خضيرة لاعب وسط أوغسبورغ الألماني القادر على أن يشكل إضافة قوية لمنتخب تونس في مركز الوسط المدافع خاصة وأن إلياس السخيري لم يقدم مستويات قوية في مختلف مشاركاته. إضافة إلى مهاجم إشبيلية الإسباني وسام بن يدر الذي مازال بإمكانه تمثيل منتخب تونس باعتباره لم يظهر في أي مناسبة مع منتخب فرنسا الأول. وفرض هذا الأخير نفسه كواحد من أفضل الهدافين في الدوري الإسباني. فضلا عن كريم مرابطي مهاجم ديوغاردنيس السويدي الذي بإمكانه أن يشكل ورقة جديدة لمنتخب تونس خاصة وأنه قادر على اللعب في جميع مراكز خط الهجوم.

ضمان العبور

عاد منتخب الفراعنة من سوازيلاند، بالفوز 2–0، عن طريق قلب الدفاع أحمد حجازي والمهاجم مروان محسن، ليحقق الانتصار الثالث توالي مع مدربه الجديد خافيير أغيري. ورفع المنتخب المصري رصيده لـ9 نقاط في المركز الثاني، بفارق 8 نقاط عن النيجر وسوازيلاند، في قاع المجموعة ليضمن العبور إلى النهائيات.

وقال المدرب المكسيكي إننا "قدمنا مباراة قوية واللاعبون نفذوا تعليماتي. كان بإمكاننا تسجيل العديد من الأهداف لكننا لم نستغل الفرص التي أتيحت لنا".

وتألق المنتخب المصري هجوميا منذ وصول أغيري إذ سجل 12 هدفا في المباريات الثلاث التي خاضها تحت إشراف المكسيكي في التصفيات، وهو ما تطرق إليه الأخير بالقول "أن تخرج بشباك نظيفة مع تسجيل هذا العدد من الأهداف منذ أن توليت المسؤولية، فهذا أمر مهم للغاية".

وفي تحليله للمباراة، رأى أغيري أن منتخب سوازيلاند "فريق قوي ومقاتل ويركض طوال المباراة. لم يكن من السهل استخلاص الكرة منهم"، كاشفا "لعبنا بنفس طريقة مباراة الذهاب بالضغط على دفاعهم من أجل الفوز، وهذا ما حققناه في نهاية المطاف". ورأى قائد مصر أحمد المحمدي أن الفوز على سوازيلاند كان مهما لضمان التأهل وبدء الاستعداد من الآن للفوز على تونس، وكذلك الاستعداد للنهائيات، مؤكدا "لدينا رغبة في تحقيق الفوز على تونس والنيجر لضمان صدارة المجموعة وهدفنا الصدارة والتقدم في التصنيف". وفي سياق متصل رفض الجهاز الفني بقيادة أغيري، ضم لاعبين جدد خلال الفترة المقبلة، قبل مباراة الفراعنة مع المنتخب التونسي. من جانبه، قال هاني رمزي، المدرب العام للمنتخب، إن مباراة تونس مهمة للغاية، حيث إنها ستحسم صدارة المجموعة، وليس صحيحا ما يشاع عن أنها مباراة تحصيل حاصل بعد صعود الفريقين، ولذلك سيخوض الفراعنة المباراة بالقوام الأساسي للمنتخب، وسيكون من الصعب إدخال عناصر جديدة خلال الفترة المقبلة.

وقال رمزي في تصريحات صحافية "مباراة تونس قوية جدا، كونها ستحدد متصدر المجموعة والذهاب إلى البطولة الأفريقية في تصنيف جيد، ومن المتوقع أن نضم عناصر جديدة عقب مباراة تونس، عن طريق ترتيب مباريات ودية لمتابعة اللاعبين الذين يحظون باهتمام الجهاز الفني، لدينا ثلاثة أشهر سنعمل فيها على إقامة بعض المباريات الودية لمتابعة اللاعبين الصغار والمتألقين في الدوري عن كثب".

ورغم تأهل كل من الفريقين قبل جولتين من نهاية التصفيات، إلا أن مواجهة مصر أمام تونس التي تقام الشهر المقبل بالقاهرة تشهد العديد من التحديات، حيث يأتي على رأسها رغبة كلا الفريقين في الفوز بهدف اقتناص صدارة المجموعة التي تحتلها تونس برصيد 12 نقطة، ومن خلفها مصر برصيد 9 نقاط، والفوز يقرب الفراعنة من الصدارة، فيما يحافظ التعادل أو الفوز على آمال نسور قرطاج بتصدر المجموعة. كما تشهد مباريات مصر وتونس حماسا دائما بسبب الصراع الشمال أفريقي، وهو ما يزيد من صعوبة المباراة رغم تأهلهما. أحد الأمور التي تزيد من صعوبة المباراة، هو رغبة الفراعنة في الثأر من هزيمتهم في الجولة الأولى من التصفيات التي أقيمت في تونس. آخر الأمور التي تشعل المباراة، هي أنها ستكون اختبارا حقيقيا للمكسيكي أغيري المدير الفني الجديد للمنتخب المصري، حيث خاض 3 مباريات فاز على النيجر، ثم تغلب على سواتيني ذهابا وإيابا ليضمن التأهل، وتعد مواجهة تونس الاختبار الحقيقي للمدرب المكسيكي.

أداء باهت

عقب الفوز المتواضع قبل أيام قليلة على جزر القمر، 1–0، في الوقت بدل الضائع، استمر المغرب في تقديم أداء غير مقبول لجماهيره، وتعادل مع نفس المنافس بنتيجة 2– 2، ليفشل في انتزاع بطاقة التأهل. المغرب ظل متقدما حتى الدقيقة 91، لكنه لم يستطع الحفاظ على تقدمه، لتتواصل الانتقادات ضد المدرب الفرنسي هيرفي رينارد.

وارتفع رصيد أسود الأطلس لـ7 نقاط، من 4 مباريات، في مجموعة ضمن فيها المنتخب الكاميروني التأهل، بصفته البلد المنظم، ويحتاج الأول إلى تحقيق نتيجة إيجابية الجولة المقبلة أمام الكاميرون، قبل الدخول في حسابات معقدة مع مالاوي، الذي يملك 4 نقاط، ولديه مباراة سهلة الجولة المقبلة أمام جزر القمر. وتعد فرصة ممثل العرب الثاني في المجموعة، وهو منتخب جزر القمر، شبه مستحيلة، حيث يملك في رصيده نقطتين.

وتعرض المنتخب المغربي، لعدة انتقادات، بسبب المستوى المتواضع الذي قدمه لاعبو الأسود، بجانب الفوز الباهت على جزر القمر، في إطار الجولة الثالثة، خلال الوقت القاتل من لقاء السبت الماضي. إذ بات معدل أعمار المنتخب المغربي مرتفعا، نظرا لاعتماد المدرب الفرنسي هيرفي رينارد، على بعض المخضرمين. ولوحظ تراجع مستوى لاعبي منتخب المغرب بشكل ملحوظ، أمثال مبارك بوصوفة ومروان داكوستا ونبيل درار وخالد بوطيب وصلاح الدين السعيدي.

وبدا واضحا أن رينارد، مدرب الأسود، قد دخل مرحلة التخبط باستدعاء لاعبين خارج أجواء المنافسة مع أنديتهم. ورغم الانتقادات التي تعرض لها رينارد، إلا أنه أصر على استدعاء مبارك بوصوفة، الذي لا يلعب حاليا لأي فريق، منذ مونديال روسيا. وكان لهذا التخبط، الأثر الأكبر على مستوى المنتخب المغربي، حيث تراجع الأداء بشكل كبير، مقارنة بما قدمه في الفترة السابقة.

وسيكون رينارد، مجبرا خلال المرحلة المقبلة، على إعادة ترتيب أوراقه ومراجعة المستوى الذي بات يقدمه منتخب المغرب. وهناك مجموعة من اللاعبين المغاربة في الدوريات الأوروبية، مما يفرض على رينارد، متابعتهم وتوجيه الدعوة لبعضهم، أمثال سفيان بوفال لاعب سيلتا فيغو، ونبيل الزهر لاعب ليغانيس.

وفي سياق متصل أوضح محمد مقروف، الناطق الرسمي لاتحاد الكرة المغربي، حقيقة الأنباء التي ترددت مؤخرا، حول البحث عن مدرب جديد. وكانت صحيفة "أبولا" البرتغالية قد أكدت مؤخرا، أن الاتحاد المغربي مهتم بخدمات كارلوس كيروش، مدرب منتخب إيران، لتعويض المدير الفني الفرنسي، هيرفي رينارد. وردا على ذلك، قال مقروف، خلال تصريحات إعلامية "نتعجب من هذه الأخبار، التي تخدم أجندات نجهلها.. لا صحة لهذا الخبر، وأنفيه نفيا قاطعا".

وتابع "ثقتنا كبيرة في المدرب رينارد، ويستحيل التفكير في قرار من هذا النوع.. نحن مقبلون على مباراة مهمة أمام الكاميرون، في تصفيات بطولة أفريقيا، ونأسف لهذا التشويش حول المنتخب المغربي". وأردف "لسنا مضطرين في كل مرة، للرد على مثل هذه الادعاءات.. لسنا مهتمين بكيروش أو غيره من المدربين، ورينارد سيواصل مهامه".

> مهمة المنتخب الليبي أصبحت صعبة للغاية، إذ يحتاج إلى الفوز في مباراتيه المقبلتين أمام جنوب أفريقيا وسيشيل، إلى جانب تعثر منتخب الأولاد أمام نيجيريا

وسقط المنتخب الجزائري، بهزيمة مفاجئة أمام بنين، بنتيجة 0–1، ليتأجل تأهل محاربي الصحراء إلى النهائيات مؤقتا. المنتخب الجزائري، لم يقدم العرض الذي يرضي جماهيره، بقيادة مدربه جمال بلماضي، وتجمد رصيده عند 7 نقاط، ليتقاسم الصدارة مع بنين، فيما تمتلك توغو 5 نقاط، لتتعقد حسابات المجموعة.

مفاجأة العرب

واصل المنتخب الموريتاني عروضه القوية، بعد فوزه على أنغولا 1–0، ليتصدر مجموعته، على حساب منتخبات قوية مثل بوركينا فاسو وأنغولا وبوتسوانا، ليصبح مفاجأة التصفيات. ورفعت موريتانيا رصيدها إلى 9 نقاط في الصدارة، وتحتاج إلى الفوز على ملعبها، في الجولة المقبلة، في مباراة سهلة نسبيا، أمام بوتسوانا، لضمان التأهل.

ورفع المنتخب السوداني الراية البيضاء، وتنازل عن حلمه في بلوغ النهائيات، بعد تلقيه الخسارة الرابعة توالي، والتي جاءت هذه المرة على أرضه ووسط جماهيره، أمام أسود السنغال. السودان فقد كل حظوظه في بلوغ النهائيات، عن المجموعة الأولى، التي حسمت رسميا بتأهل السنغال ومدغشقر، والأخير سيشارك في النهائيات لأول مرة في تاريخه.

وتعقدت مهمة المنتخب الليبي، بعدما تلقى هزيمة جديدة على ملعبه، أمام نسور نيجيريا، ليتجمد رصيده عند 4 نقاط خلف نيجيريا بـ9 نقاط وجنوب أفريقيا بـ8 نقاط. مهمة المنتخب الليبي أصبحت صعبة للغاية، إذ يحتاج للفوز في مباراتيه المقبلتين أمام جنوب أفريقيا وسيشيل، بجانب تعثر منتخب الأولاد أمام نيجيريا.

> منتخب نسور قرطاج عاد بفوز مهم من النيجر، ليحقق أبناء المدرب المخضرم فوزي البنزرتي العلامة الكاملة، بـ4 انتصارات، دون خسارة أي نقطة

نزهة لمانشستر سيتي في مرمى بيرنلي بالبريمرليغ

تشيلسي يخطف نقطة من مانشستر يونايتد بهدف قاتل

خطف فريق تشيلسي، السبت، نقطة في الوقت القاتل بالتعادل مع ضيفه مانشستر يونايتد بهدفين لكل منهما في الجولة التاسعة للدوري الإنكليزي لكرة القدم، في حين استطاع مانشستر سيتي أن يحقق فوزا كبيرا على بيرنلي بخمسة أهداف نظيفة، في مباراة شهدت تألق النجم الجزائري رياض محرز.

❑ **لندن** – تمكن مانشستر سيتي حامل اللقب، السبت، من الفوز على مضيفه بيرنلي بنتيجة ساحقة استقرت على (5 – صفر)، في المرحلة التاسعة من الدوري الإنكليزي الممتاز.

وشهدت المباراة عودة نجم سيتي الدولي البلجيكي كيفن دي بروين الذي دخل في الدقيقة 58 بعد غياب منذ مطلع الموسم بسبب الإصابة.

وبعدما أهدر لاعبو سيتي عدة فرص، افتتح الأرجنتيني سيرخيو أغويرو التسجيل بيسراه من داخل المنطقة بعد عرضية من أرضية من الإسباني دافيد سيلفا في الدقيقة 17. وضاعف البرتغالي برناردو سيلفا النتيجة بعد لغط داخل المنطقة نتيجة سقوط الألماني لوروا سانيه ومطالبة لاعبي سيتي بركلة جزاء في الدقيقة 54.

> اليونايتد كاد أن يحقق انتصارا ثمينا يخفف محنته ومديره الفني البرتغالي جوزيه مورينيو، بعد فترة معاناة من تذبذب النتائج

وهز لاعب الوسط البرازيلي فرناندينيو شباك بيرنلي بتسديدة صاروخية من حافة المنطقة مضيفا الهدف الثالث في الدقيقة 56. وتابع الجزائري رياض محرز المهرجان مضيفا الهدف الرابع بتسديدة لولبية رائعة من خارج المنطقة سكنت المقص الأيمن لحارس مرمى سيتي السابق جو هارت في الدقيقة 83.

وختم سانيه المهرجان بتسجيله الهدف الخامس بعد عرضية من الجهة اليسرى للظهير الفرنسي بنجامان مندي في الدقيقة 90. وحقق توتنهام اللندني فوزه الرابع توالياً على حساب جاره وست هام يونايتد (1 – صفر)، وارتقى إلى المركز الثالث مبقيا على فارق النقطتين مع مانشستر سيتي.

ويدين توتنهام بالفوز إلى لاعب وسطه الأرجنتيني إريك لاميلا صاحب هدف الفوز برأسه في الدقيقة 44.

وفي باقي المباريات فاز برايتون على مضيفه نيوكاسل يونايتد (1 – صفر)، كما تغلب كارديف سيتي على ضيفه فولهام (4 – 2)، وواتفورد على مضيفه وولفرهامبتون (2 – صفر) وتعادل بورنموث مع ساوثهامبتون سلبيا.

وأفلت تشيلسي من الهزيمة على ملعبه أمام مانشستر يونايتد، وتعادل معه (2–2) السبت في مباراة مثيرة في افتتاح منافسات المرحلة التاسعة من البريمرليغ.

وافتتح أنتونيو روديجر التسجيل لتشيلسي في الدقيقة 21، ثم قلب مانشستر يونايتد موازين المباراة لصالحه بهدفين سجلهما أنتوني مارتيال في الدقيقتين 55 و73، قبل أن ينجو تشيلسي من الهزيمة بهدف التعادل (2–2) وسجله روس باركلي في الثواني الأخيرة من الوقت المحتسب بدل الضائع للمباراة.

ورفع تشيلسي رصيده إلى 21 نقطة، كما رفع مانشستر يونايتد رصيده إلى 14 نقطة في المركز الثامن حيث أنه التعادل الثاني له في الموسم مقابل أربعة انتصارات وثلاث هزائم.

وكاد مانشستر يونايتد أن يحقق انتصارا ثمينا يخفف محنته ومديره الفني البرتغالي جوزيه مورينيو، بعد فترة معاناة من تذبذب النتائج، لكن تشيلسي رفض الهزيمة وخطف التعادل في الثواني الأخيرة.

ووجه تشيلسي تركيزه في الدقائق الأولى إلى الاستحواذ على الكرة، وفرض حصارا على مانشستر يونايتد في وسط ملعبه، لكن دون خطورة حقيقية على المرمى.

وحصل إيدين هازارد، مهاجم تشيلسي، على ضربة حرة في الدقيقة العاشرة من نقطة خطيرة أمام منطقة الجزاء، وتقدم زميله ويليان لتنفيذ الضربة، لكنه سدد كرة مرت بعيدا عن المرمى.

ورغم محاولات مانشستر يونايتد المتكررة للدخول في أجواء المباراة بشكل أكبر، واصل تشيلسي تفوقه في الاستحواذ والضغط الهجومي وتألق هازارد بشكل كبير، حيث شكلت مراوغاته وتحركاته داخل منطقة الجزاء مصدر الإزعاج الرئيسي لدفاع مانشستر.

السيتي يواصل تألقه

وفي الدقيقة 21، ترجم تشيلسي تفوقه بافتتاح التسجيل عن طريق المدافع أنتونيو روديجر، الذي تلقى الكرة من ضربة ركنية سددها ويليان، وصوبها برأسه إلى داخل الشباك ببراعة معلنا تقدم تشيلسي (1 – صفر).

وحاول مانشستر يونايتد الحفاظ على توازنه وكثف تركيزه على السيطرة على الكرة وهو ما نجح فيه بالفعل لدقائق، وشن أكثر من هجمة خطيرة لكنه وجد صعوبة في تهديد المرمى، ليستعيد تشيلسي دفة المباراة بعدها من جيد.

وفي الدقائق الأخيرة من الشوط الأول، استعرض لاعبو تشيلسي مهارة كبيرة في الاحتفاظ بالكرة وحاصروا لاعبي مانشستر يونايتد داخل منطقة الجزاء لدقائق، لكن تشيلسي افتقد الجدية والسرعة في اللمسات الأخيرة أمام المرمى، ليكتفي بإنهاء الشوط الأول متقدما (1 – صفر).

وكاد ألفارو موراتا أن يضيف الهدف الثاني لتشيلسي بعد دقيقة واحدة من بداية الشوط الثاني، حيث تلقى طولية وهيأ الكرة لنفسه ببراعة، ثم سدد كرة زاحفة قوية لكن ديفيد دي خيا حارس مرمى يونايتد تصدى لها.

وفي الدقيقة 11، أدرك مانشستر يونايتد التعادل، حيث سدد خوان ماتا كرة قوية تصدى لها الحارس وأخفق الدفاع في تشتيت الكرة بالشكل المطلوب، لتصل الكرة في النهاية إلى أنتوني مارتيال المتمركز أمام المرمى، ليسددها داخل الشباك معلنا تعادل يونايتد (1–1).

بعدها ضغط تشيلسي بقوة بحثا عن استعادة تقدمه، لكن التسرع وكذلك الحذر الدفاعي من قبل لاعبي مانشستر حالا دون الوصول إلى الشباك. وكاد ديفيد لويز أن يتقدم لتشيلسي في الدقيقة 66، حيث تلقى كرة عالية سددها ويليان من ضربة حرة، وسددها برأسه لكنها مرت بجوار القائم مباشرة.

وكاد أنجولو كانتي أن يباغت مانشستر يونايتد في الدقيقة 71 عندما تلقى عرضية وسدد كرة قوية باتجاه الزاوية البعيدة من المرمى، لكن الحارس دي خيا تصدى للكرة ببراعة.

وفي الدقيقة 73، دفع تشيلسي ثمن الفرص الضائعة، حيث تقدم مانشستر يونايتد بالهدف الثاني، عندما انطلق ماتا وحافظ على الكرة بمهارة في هجمة مرتدة سريعة ثم مرر إلى ماركوس راشفورد الذي هيأ الكرة إلى مارتيال ليصوب الكرة ببراعة شديدة إلى داخل الشباك معلنا تقدم مانشستر يونايتد (2–1).

وكثف تشيلسي ضغطه الهجومي بحثا عن إنقاذ فرصه في المباراة وكاد اندفاعه الهجومي أن يكلفه هدفا آخر في شباكه. وكادت المباراة أن تنتهي بفوز يونايتد (2–1)، لكن تشيلسي أفلت من الهزيمة في اللحظات الأخيرة من الوقت المحتسب بدل الضائع، حيث تصدى القائم للكرة ثم تصدى الحارس لها، لكنها وصلت إلى روس باركلي الذي أسكنها الشباك معلنا تعادل تشيلسي (2–2) .

حذاء سندريلا في مسرح الأحلام

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❑ ثمّة في ذلك المكان نار موقدة، تكاد ألسنتها تبلغ عنان السماء، لا شيء في الأفق يوحي بأن مطرا آت قد يحيل المكان القاحل جنة غناء.

هذا المكان لا يعدو أن يكون مسرح "الأولد ترافورد" معقل مانشستر يونايتد الذي يعاني منذ زهاء ست سنوات، وتحديدا إثر رحيل المدرب الأسطوري للنادي أليكس فيرغسون من سوء النتائج والتراجع المحير في الأداء.

تهافت المدربون وتعاظم الحلم بحمل إرث فيرغسون، لكن لا أحد إلى اليوم أظهر أنه قادر على إعادة ترتيب البيت. فقد جاء في الأول المدرب ديفيد مويس، بيد أنه غادر سريعا بعد فشل ذريع، تبعه في ذلك فان خال، قبل أن يأتي المحنك مورينهو غير أنه لم يستطع بدوره السيطرة على الواقع الصعب الأليم.

بالأمس القريب جاء بوغبا ولوكاكو، قدما إلى "الأولد ترافورد" بمبالغ طائلة غير أن هذين "الخطافين لم يصنعا الربيع"، بحث مورينيو عن لاعبين أكثر مهارة وتأثيرا لكن دون جدوى، بدت كل الأبواب موصدة، والخناق بدأ يضيق يوما بعد يوم على مورينهو.

هو مشهد سريالي موغل في العبثية داخل "قلعة الشياطين الحمر"، ثمة جمرة مستعرة حرارتها تضرب في المكان فتلسع الجميع ويكتوي كل فرد بنارها، فلا أحد بدا هانئا داخل المعسكر ولا أحد يبدو متفائلا بمستقبل "اليونايتد".

الفريق ابتعد منذ سنوات عن الصفوف الأمامية في الدوري الممتاز، وتراجع كثيرا أوروبيا ولم يعد من ضمن الفرق المنافسة على دوري الأبطال.

إذا، ما الذي حلّ في القلعة الحمراء؟ أي عطل أصاب مدافع "الأولد ترافورد"؟ وأي لعنة ضربت مسرح الأحلام؟

ربما قد يحتاج البحث عن أجوبة لهذه الأسئلة القليل من "الكوميديا السوداء" التي باتت السمة البارزة في أغلب العروض المقدمة بمسرح الأحلام طيلة السنوات الماضية، الأمر قد يتطلب بعض العبثية التي أحالت كل جهود التطوير والإصلاح إلى مشهد "سيزيفي" يستنزف الجهود.

كوميديا سوداء وعبثية ربما تربط بينهما لعنة "النار اللاسعة"، هي لعنة بدأت منذ سنة 2009، لعنة ارتبطت بكل من يرتدي القميص رقم 7.

سبق وأن كتبنا عن قسوة هذا القميص المغري في مانشستر يونايتد، ففي السابق كان هذا القميص الأكثر رمزية في الفريق، لقد حمله أساطير مرّوا على "الأولد ترافورد" فتركوا إرثا كبيرا، لقد تقمصه الأسطورة جورج بيست أيام عز "اليونايتد" في السبعينات.

وحمل إرث القميص رقم 7 بعد ذلك نجوم آخرون مثل الفرنسي إيريك كونتونا الذي ساهم في تعبيد طريق النجاح أمام المدرب فيرغسون في التسعينات.

ديفيد بيكهام كان أيضا علامة فارقة في التاريخ المجيد للنادي، حيث أثبت كفاءته بأن يكون الخليفة الشرعي لبيست وكونتونا، تبعه بعد ذلك "الدون" كريستيانو رونالدو الذي عرف بدوره المجد وحمل القميص رقم 7 ببراعة متناهية، كان آخر الناجين من لسعات نار هذا القميص، كان آخر أمراء "مسرح الأحلام".

لكن ليت رونالدو لم يخرج، فلا أحد من بعده فك "لعنة" هذا القميص، وكان جديرا بارتدائه.

لقد فشل مايكل أوين، حيث كان مروره صوريا في "مسرح الأحلام"، وكأنه مجرد كومبارس أدى الدور في وقت وجيز قبل أن يغادر.

فشل أيضا الأوكوادوري فالنسيا، هذا اللاعب بالكاد يتذكره اليوم عشاق مانشستر، أما البرتغالي لويس ناني فقد عرف المصير ذاته، رغم أنه يحمل الجينات نفسها التي يحملها مواطنه رونالدو.

جاء الدور على أنخل دي ماريا، حيث وعد الجميع بالتألق الساحق، فحمل القميص رقم 7 ليختفي بعد موسم واحد من "مسرح الأحلام" بعد أن اكتوى بلسعات نار هذا القميص "الساحر" الذي لا يقدر على ارتدائه سوى "الجهابذة" القادرين على تطويع اللعنة.

مصير دي ماريا عرفه أيضا الهولندي ديباي الذي قدم نجما من بلده ليتجرأ على حمل القميص المربك، لكنه سرعان ما أخفق وفرّ بجلده من لدغات النار الملتهبة.

> الحذاء الشهير للأميرة سندريلا، الذي لا تقدر أي قدم على انتعاله، بدا شبيها بالقميص رقم 7 في مانشستر يونايتد الذي لا يصلح إلا لعدد نادر من «أمراء» الكرة

بعد رحيل ديباي بحث الجماعة في الفريق عن "ساحر" جديد عله ينجح في المهمة ويطوّع القميص، فالخروج من الأزمة قد يكون مرتبطا أساسا بالنجاح في إيجاد اللاعب الذي يلائم جسده هذا القميص، هذا القميص الذي غدا أشبه بذلك الحذاء الشهير للأميرة سندريلا، فكما الحذاء الأخّاذ الذي لا تقدر أي قدم على انتعاله، فإن القميص رقم 7 في مانشستر لا يصلح إلا لعدد نادر من "أمراء" الكرة.

خيّل لإدارة مانشستر يونايتد أن التشيلي أليكس شانسيس الذي تألق مع برشلونة ثم الأرسنال قد يكون "الأمير" الجديد، لكن هيهات، فاللعنة أصابته، و"الشلل" الكلي منذ بداية تجربته مع الفريق كاد يقضي عليه.

أليكسيس لم يقدم إلى اليوم ما يشفي الغليل ولم يقدر بعد على فك الرموز، كل المؤشرات بعد حوالي العام من بداية مغامرته مع الفريق تبدو سلبية، اليوم تبدو أيامه معدودة وقد لا ينهي الموسم في مسرح الأحلام، من الصعب أن يكون هو العريس، ومن شبه المستحيل بسبب ضعف مستواه وقلة تأثيره أن يقتدي بالأولين ويفك الشفرة، لن يكون أبدا مثل سندريلا، فالقميص رقم 7 ليس على المقاس.

كاساتكينا تحرم جابر لقبها الأول

❑ **موسكو** – فشلت التونسية أنس جابر في الفوز ببطولة كأس الكرملين للتنس، بعدما خسرت في النهائي، السبت، أمام الروسية داريا كاساتكينا، المصنفة 14 عالميا.

وخسرت جابر النهائي بعد ساعتين و3 دقائق من اللعب، بواقع مجموعتين لمجموعة (2–6) و(7–6) و(6–4).

ودخلت اللاعبة التونسية (24 عاما) المواجهة بقوة وسيطرت على المجموعة الأولى التي فازت بها دون أدنى صعوبة، وتقدمت في المجموعة الثانية (1–4)، لكن الروسية عادت من بعيد، وفازت بالمجموعة (7–6).

ومع انطلاق المجموعة الثالثة، تقدمت داريا (0–2)، قبل أن تعدل أنس النتيجة إلى (2–2)، ووصلت المجموعة إلى التعادل (3–3).

وتقدمت الروسية (3–5)، لكن جابر كسرت إرسالها لتصبح النتيجة (4–5)، قبل أن تخسر إرسالها والمباراة بنتيجة (4–6)، لتفوز الروسية باللقب أمام الجماهير الروسية العريضة التي دعمتها.

ورغم الخسارة، أصبحت أنس جابر أول لاعبة تونسية تتمكن من الوصول إلى ختام بطولة تابعة لرابطة اللاعبات المحترفات، وذلك بعد تأهلها إلى نهائي كأس الكرملين في موسكو الجمعة، كما باتت جابر أيضا أول لاعبة قادمة من الأدوار التمهيدية في تلك البطولة، تصل إلى النهائي.

وسترتقي أنس جابر إلى المركز 63 في التصنيف العالمي الاثنين في أعلى تصنيف في مسيرتها الاحترافية التي انطلقت عام 2010.

وحققت كاساتكينا الانتصار في المواجهة الوحيدة السابقة أمام أنس جابر، حيث تمكنت البالغة من العمر 21 عاما من قلب تأخرها بمجموعة، إلى الفوز بمجموعتين، في دورة الألعاب الأولمبية ريو 2016.

وكانت جابر، الصاعدة من التصفيات، حققت أفضل نتيجة في مسيرتها بعد فوزها الأربعاء على الأميركية سلون ستيفنز المصنفة ثالثة في الدورة والثامنة عالميا بمجموعتين، وذلك بعد إطاحتها الروسية إيكاتيرينا ماكاروفا في الدور الأول، ثم أضافت الإستونية أنيت كونتافيت الثامنة إلى قائمة ضحاياها الخميس بالفوز عليها (5–7) و(1–6).

إلى المركز 63

نصف معروضات متحف اللوفر آثار إسلامية

تشكل الحضارة الإسلامية جزءا هاما من متحف اللوفر في العاصمة الفرنسية باريس حيث تستأثر الآثار الإسلامية، التي يعود تاريخها إلى الفترة ما بين القرنين السابع وأواسط التاسع عشر الميلادي، بنصف معروضات هذا المتحف الشهير مما يجعلها المجموعة الأكبر من نوعها حول العالم.

روائع الفن الإسلامي

❏ **باريس** – يحتضن متحف اللوفر الشهير في العاصمة الفرنسية باريس، نحو 17 ألفا و500 قطعة أثرية من روائع الفن الإسلامي، ضمن مجموعة هي الأكبر من نوعها حول العالم.

واستقبل المتحف، الذي يبلغ مجموع الآثار المعروضة فيه حوالي 35 ألفا، العام الماضي 8.1 مليون زائر.

ويعود تاريخ الآثار الإسلامية المعروضة في المتحف إلى الفترة بين القرنين السابع وأواسط التاسع عشر الميلادي.

ويعود افتتاح قسم الآثار الإسلامية بمتحف اللوفر إلى عام 1905 عندما تم تخصيص مساحة صغيرة في المتحف لهذا الغرض.

وعقب الحرب العالمية الثانية (1945) زادت أعداد الآثار الإسلامية، ما دفع القائمين على اللوفر إلى تخصيص قسم أكبر للآثار الإسلامية. وفي عام 2003 تم تخصيص قسم خاص أكبر للآثار الإسلامية ضمن المتحف، واستمرت أعمال بناء هذا القسم بين عامي 2008 – 2012، ليتم افتتاحه بعد ذلك رسميا بحضور الرئيس الفرنسي آنذاك فرنسوا هولاند.

وعند مدخل قسم الآثار الإسلامية، وضعت صورة للجامع الأموي بالعاصمة السورية دمشق، إلى جانب مقطع مصور يُعرّف بالمتحف وبالقسم المذكور.

وفي القسم نفسه يوجد سيف السلطان العثماني سليمان القانوني (1520 – 1566) إضافة إلى قطع من البلاط الإزنيقي. ومن بين الآثار الأخرى التي تحظى باهتمام كبير في هذا القسم، وعاء يعود إلى العهد المملوكي وصُنع في الفترة بين عامي 1320- 1340 للميلاد. ويتميز هذا الوعاء بأنه القطعة الأثرية الوحيدة حول العالم التي تضم 6 توقيعات تعود إلى صانعيها.

وقال منسّق قسم الآثار الإسلامية في متحف اللوفر يانيك لينتز، في حديثه للأناضول، إن ما يُعرض في هذا القسم يشكّل جزءا من الثقافة العالمية. وأضاف أن القطع الفنية الإسلامية باتت جزءا من الثقافة الفرنسية في عهد مبكر، عندما كان لويس الرابع عشر يجمع قطعا منها ويضمها لمجموعته الخاصة. وأوضح لينتز أن المجموعة التي تضم القطع الفنية والآثار الإسلامية في متحف اللوفر، تعد الأكبر من نوعها حول العالم.

وأشار إلى أن القسم المذكور افتُتح بدعم من رؤساء فرنسا المتعاقبين على الحكم، مبينا أنه لعب دورا كبيرا في إظهار الوجه الحقيقي للإسلام عقب الهجمات الإرهابية التي شهدتها البلدان الغربية.

وتابع "لاحظنا انخفاضا في أعداد زوار المتحف عقب الاعتداء الإرهابي الذي استهدف باريس في 2015. إلا أننا حصلنا على رسائل إيجابية من زوار القسم. إذ أن الاشتغال بالفن الإسلامي في يومنا هذا، يعني في الوقت ذاته مكافحة الأحكام المسبقة تجاه الإسلام".

تجدر الإشارة إلى أن متحف اللوفر يعد أشهر المتاحف الفنية في العالم وأكثرها أهمية. وقبل أن يتحول اللوفر إلى متحف، كان عبارة عن قلعة بنيت عام 1190م، من قبل فيليب أوغوست، ثم تحولت القلعة إلى قصر ملكي أطلق عليه اسم قصر اللوفر. وقد سكنه لويس الرابع عشر، آخر ملوك فرنسا، وكان مقرا دائما له، قبل أن ينتقل إلى قصر فرساي. وبعد ذلك، أصبح اللوفر مقرا للمنحوتات والتحف الملكية،عام 1692م. وافتتحت أول صالة عرض في اللوفر عام 1699م.

مركبة فضاء تبدأ رحلة إلى عطارد تستغرق 7 سنوات

❏ **طوكيو** – انطلقت مركبة فضاء أوروبية يابانية في رحلة صعبة تستمر سبع سنوات إلى كوكب عطارد أصغر كواكب المجموعة الشمسية وأقلها استكشافا.

وبحسب وكالة استكشاف الفضاء اليابانية فقد أقلعت بعثة بيبي كولومبو، وهي ثالث بعثة فقط تزور عطارد، من الميناء الفضائي الأوروبي في جيانا الفرنسية على متن صاروخ أريان 5 الساعة 10:45 مساء الجمعة بالتوقيت المحلي (01:45، السبت بتوقيت غرينتش).

وقال المدير العام لوكالة الفضاء الأوروبية يان فيرنر في بيان "إطلاق بيبي كولومبو إنجاز ضخم لوكالة الفضاء الأوروبية ووكالة استكشاف الفضاء اليابانية وسيكون هناك الكثير من النجاحات العظيمة". وأضاف "إلى جانب إكمال الرحلة الصعبة، ستعود هذه البعثة بمكسب كبير للعلم".

ويبعد عطارد عن الشمس أقل من 60 مليون كيلومتر بينما تبعد الأرض عنها نحو 150 مليون كيلومتر، مما يجعل انطلاق أي رحلة إلى هناك تحديا. ويمكن أن تزيد درجات الحرارة على سطح الكوكب على 400 درجة مئوية صباحا وتنخفض إلى سالب 170 درجة مئوية ليلا.

وستخرج المركبة، المسماة تيمنا بعالم الرياضيات والمهندس الإيطالي جوزيبي (بيبي) كولومبو الذي عاش في القرن العشرين، من مجال جاذبية الأرض بعد عام ونصف العام ثم تزداد سرعتها خلال الرحلة.

وستمر المركبة بكوكب الزهرة مرتين ثم تحلق مرورا بعطارد ست مرات قبل أن تدخل إلى مداره في ديسمبر 2025 تقريبا.

الترخيص لكاتدرائية في برشلونة بعد 130 عاما من بدء البناء

❏ **برشلونة** (إسبانيا) – قال مجلس مدينة برشلونة ومدونة رسمية لكاتدرائية ساغرادا فاميليا إن الكاتدرائية الشاهقة ستحصل أخيرا على ترخيص بناء وذلك بعد أكثر من 130 عاما من بدء أعمال البناء.

وما زالت الرافعات والسقالات تحيط بالأبراج المزخرفة للمبنى الأكثر شهرة للمهندس المعماري الإسباني أنطوني جاودي الذي يجذب حوالي 20 مليون زائر سنويا.

وتم تركيب نوافذ الزجاج الملون في اللحظة الأخيرة قبل زيارة بابوية في عام 2010.

وبموجب اتفاق أعلن عنه، الخميس، ستدفع الكاتدرائية لسلطات المدينة 36 مليون يورو (41 مليون دولار) للمساعدة في تمويل نظام النقل العام في برشلونة وإعادة تنظيم الشوارع المجاورة بما يؤدي إلى إنهاء الخلاف حول قانونية المبنى.

ومن المقرر أن يكتمل بناء كاتدرائية ساغرادا فاميليا التي تعني "العائلة المقدسة" بالإسبانية في عام 2026 وهي الذكرى المئوية لوفاة جاودي. وصدم ترام، جاودي في عام 1926 في وقت لم يكتمل سوى ربع المبنى وظل العمل بطيئا ومتقطعا منذ ذلك الحين، وتسارعت وتيرة البناء في السنوات الأخيرة.

وبمجرد منح الترخيص سيتم تشكيل لجنة أشغال تضم سكانا محليين لإنهاء المشروع.

تعامد الشمس على وجه رمسيس الثاني

❏ **الأقصر (مصر)** – استعدت وزارة الآثار المصرية للاحتفال بتعامد الشمس على قدس أقداس بمعبد الملك رمسيس الثاني في مدينة أبوسمبل جنوبي أسوان، صباح الاثنين، وهي الظاهرة الفلكية الفريدة التي يشهدها المعبد يومي 22 من أكتوبر، و22 من شهر فبراير في كل عام.

وتكتسب احتفالات مصر بظاهرة تعامد الشمس على أبوسمبل هذا العام أهمية خاصة، حيث تتزامن مع مرور 50 عاما على إنقاذ آثار النوبة وأبوسمبل من الغرق، بعد إقامة السد العالي وبحيرة ناصر جنوبي أسوان. ونقل معبدا أبوسمبل يوم 22 سبتمبر 1968.

وتتزامن مع إصدار الجمعية المصرية للتنمية السياحية خلال الشهر الجاري، أول قائمة بالعجائب الفلكية السبع لمصر القديمة، حيث تصدرتها ظاهرة تعامد الشمس بمعبد الملك رمسيس الثاني بأبوسمبل.

وتضم أبوسمبل معبدين منحوتين في الصخر الرملي للجبل الغربي بأسوان، ويطلان على نهر النيل، وتزينت واجهة معبد أبوسمبل الكبير الذي خصص لعبادة إله الشمس "رع. حور.أختي" بأربعة تماثيل ضخمة للملك وهو في وضع الجلوس.

شاركت الفنانة الأميركية كاتي بيري في عرض افتتاح ليلة لوس أنجلس «دير إيفان هانسن» (عزيزي إيفان هانسن) في مسرح أهمانسون مساء الجمعة في لوس أنجلس بكاليفورنيا

صباح العرب

عدلي صادق

أهل الأرض.. أهل الحارة

❏ لكل امرئ شكايته من مستبد فاسد. وتتنوع القصص في أحجامها ومسارح أحداثها. والمظلومون هم طلاب الحرية والعدالة والكرامة!

في النطاق الصغير لشكاية العبد لله، لم يتوقف الشاكي عن هز قلمه لكي يزجر المشتكى منه، وهو عند بعض أهل الأرض، الأنموذج البشري لـ"الجبلاوي" القرين الرمزي لرب العالمين، في رواية "أولاد حارتنا"، ليس بتجليات مظالمه، وإنما بتجليات ضعف الناس وخوفهم وهوانهم.

كان نجيب محفوظ قد أتم كتابة الرواية الإشكالية في العام 1959، ولم يُسمح له بنشرها في بلاده، إلا في سنة موته بعد ثماني سنين من حصوله على جائزة نوبل للآداب. فقد رأت المرجعيات الدينية أن "أولاد حارتنا" تمثل مروقا على الدين، وكان في هذا الرأي بعض المنطق، لوضوح الهوية المقصودة من الرمز، ولتخليق أوصاف له ليست فيه. فقد كان بمقدور الروائي أن يتحاشاها، وأن يكتفي بشخصية "الناظر" المكلف بأوقاف الحارة، وهو منصب يحسم في الرواية وجهة الخير والشر، وتناوب عليه "نظّارٌ" كثيرون، ظلوا على امتداد الرواية ينافقون الحاكم ويفسدون باسمه ويتغالظون، حتى ورثوا "الجبلاوي" بعد موته!

نجيب محفوظ من جانبه، رأى السرد دفاعا عن أهل الأرض، وأن العلم وحده ليس كافيا بغير دين، بدلالة دور "عرفة" الذي ظن أن السعادة والعدل يأتيان بالعلم دون الدين. فقد مات "الجبلاوي" وورثه "الناظر" الخطير. والقصد في السياق هو القول إن الرسالات السماوية بمثابة سلسلة من حركات المقاومة الساعية إلى تكريس العدل وإنهاء الظلم والطغيان، لكن مفعولها ينتهي بموت الأنبياء، موسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) وهم الثلاثة الذين يقدم محفوظ أدوارا مشابهة وموازية لأدوارهم في قصص الأنبياء، من خلال الشخصيات الثلاث: جَبل ورفاعة وقاسم!

ردا على موجة النقد، قال محفوظ "رغم أن الرواية مستوحاة من قصص الأنبياء إلا أن هدفها ليس سرد حياتهم في قالب روائي، بل الاستفادة من قصصهم لتصوير تطلع المجتمع الإنساني للقيم التي سعى الأنبياء لتحقيقها كالعدل والحق والسعادة!".

على أي حال، ليس من الحق والعدل، أن يصبح أي "جبلاوي" معادلا رمزيا لرب السماء. فالدكتاتور هو التجسيد البشري الحي لظلم الإنسان للإنسان. فـ"جبلاوي" أوقاتنا، هو المخلوق البشري الذي يقفز من قاع القفة إلى أذنها، ويشك في ولاء الرعايا ويتطلب رضوخهم. أما الذين يعترضون على سلوك المستبد البشري، فليسوا أبالسة يشبهون "إدريس" الذي أغضب "جبلاوي" نجيب محفوظ، بصياحه واعتراضاته، فطرده من الدار إلى الحارة، وإلى حيث يعتدي الأقوياء على الضعفاء. إن دعاة الحرية والعدالة، هم المبشرون، بين أهل الحارة، بالخير والعدل والكرامة الإنسانية!